جامعة وهران 2
كلية العلوم الاجتماعية

مذكرة

لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع الثقافي

التحولات الثقافية و الرمزية لمراسيم الزواج في الأسرة التلمسانية

إعداد الطالبة
لبلق أسمـــاء

تشكيلة لجنة المناقشة :

اسم و لقب الأستاذ	الرتبة	الصفة	مؤسسة الانتماء
يزلي بن عمر	أستاذ	رئيس	جامعة وهران 2
سبع رابح	أستاذ	مقرر	جامعة وهران 2
بوشيخاوي اسمهان	أستاذة محاضرة	مناقش	جامعة وهران 2
بلحسن مباركة	أستاذة محاضرة	مناقش	جامعة وهران 2

الموسم الجامعي
2015/2014

الملخص:

حاولنا من خلال هذه الدراسة إبراز الطقوس الاحتفالية للزواج بمنطقة تلمسان بين الماضي و الحاضر من خلال مقارنة داخلية مع التركيز على التحولات الثقافية و الرمزية التي مست العادات و التقاليد باعتبارها نتاج هذا المجتمع بما في ذلك تأثير هذه التحولات على نظام الأسرة التلمسانية ، و مدى استمرارها في ظل الثقافة الجديدة.

مفتاحية كلمات: الأسرة، الزواج، الطقوس الاحتفالية، التحولات الثقافية و التحولات الرمزية.

Résumé :

Nous avons essayé à travers cette étude de mettre en évidence la cérémonie du mariage de Tlemcen entre le passé et le présent à travers une comparaison interne , en mettant l'accent sur les changements culturels et symboliques, qui a touché les coutumes et les traditions en tant que produit de cette société, y compris l'impact de ces changements sur le système de la famille Tlemcenienne, et l'étendue de la continuité dans le vertu de la nouvelle culture.

***Mots clés** : Famille, le mariage, cérémonies rituelles, changements culturels , changements symboliques*

Abstract :

We tried through this study highlights the Tlemcen marriage ceremony between the past and the present through an internal comparison, focusing on cultural and symbolic changes, which affected the customs and traditions as a product of the company, including the impact of these changes on the system of Tlemcenienne family, and the extent of continuity under the new culture.

***Key words** Family, marriage, ritual ceremonies, cultural changes, symbolic changes.*

شكر و عرفان

الحمد لله أوّلا صاحب النعمة الذي وفقني لإتمام هذا العمل

و لا يسعني في هذا المقام إلاّ أن أتقدم بجزيل الشكر و

العرفان إلى أستاذي المشرف "رابح سبع" الذي تكرم بقبول

الإشراف و الذي استفدت من توجيهاته العلمية و لم تمنعه

أعماله و مشاغله العديدة من متابعة هذا العمل المتواضع

بكل روح علمية و تواضع كبير

إلى الهيئة المناقشة التي ستفيدني بتوجيهاتها و ملاحظاتها .

كما أتقدم بالشكر إلى كل من قدم إليّ المساعدة لإنجاز

هذا البحث

إهـــداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى من سهرت على رعايتي،

ضحت بحالها من أجل إسعادي و روتني بحنانها و عطفها

وساعدتني بدعواتها..إلى التي مهما كتبت لن أوفيها حقها

إلى " أمّي الغالية" أطال الله في عمرها

إلى روح " أبي" الطاهرة رحمه الله و أسكنه فسيح جنانه

إلى الزّوج العزيز الذي شدّ بيدي و أعانني في طلب العلم

إلى أبني هشـــام

إلى والدي زوجي حفظهما الله

إلى أخواتي العزيزات و أبنائهن

إلى جميع الأهل و الأصدقاء

إلى كل الناس الطيبين الذين ساعدوني و لو بكلمة طيبة

الفهرس

فهرس المحتويات

شكر و عرفان...

إهداء...

فهرس المحتويات...

مقدمة.. أ.ب.ج

1. تحديد الإشكالية.. 01

2. الفرضية.. 02

3. أسباب اختيار الموضوع,,...... 02

4. الهدف من الدراسة.. 03

5. الدراسات السابقة... 03

6. المفاهيم المستعملة... 05

7. صعوبات الدراسة.. 07

الفصل الأوّل : تعريف الأسرة و أشكالها

تمهيد.. 09

المبحث الأوّل: تعريف الأسرة... 10

1. تطوّر الأسرة.. 12

2. تطور الأسرة.. 15

أ. في الجاهلية 15

ب. في الإسلام 16

3. تصنيف الأسرة.. 18

4. وظائف الأسرة.. 20

المبحث الثاني: نظريات الأسرة... 23

المبحث الثالث: الأسرة الجزائرية و تطورها.. 26

المبحث الرابع: التنشئة الاجتماعية.. 29

1. تعريف عملية التنشئة الاجتماعية... 29

2. أهداف التنشئة الاجتماعية.. 30

3. عناصر عملية التنشئة الاجتماعية.. 31

4. نظريات التنشئة الاجتماعية... 32

5. مؤسسات التنشئة الاجتماعية... 36

,6 التنشئة الاجتماعية في المجتمع الجزائري.. 37

المبحث الخامس: المجتمع الجزائري – دراسة سوسيولوجية..................................... 38

1. الثقافة الجزائرية و صراع القيم.. 38

2. التحول في نظام الزواج في الجزائر.. 40

3. عمل المرأة في الجزائر.. 41

4. التغير الاجتماعي و العولمة في المجتمع الجزائري.. 42

الخلاصة..... 44

الفصل الثّاني : الإطار الاجتماعي و الثقافي لظاهرة الزواج

تمهيد..... 46

المبحث الأول: الزواج و أشكاله..... 47

1. أشكال الزواج..... 50

المبحث الثاني: الاختيار الزواجي..... 55

1. أساليب الاختيار..... 55

2. الاختيار الزواجي في الإسلام..... 56

المبحث الثالث: نظريات الاختيار الزواجي..... 59

المبحث الرابع: مراحل الزواج..... 66

الخلاصة..... 70

الفصل الثّالث : الإطار النظري المتعلق باتجاهات التحول الثقافي

تمهيد..... 72

المبحث الأول: مفهوم التغير و التحول..... 73

1. بعض المفاهيم المقاربة لمفهوم التغير..... 74

المبحث الثاني: مفهوم التغير الثقافي و طبيعته..... 76

1. عوامل التغير الثقافي..... 78

2. ديناميات التغير الثقافي..... 80

المبحث الثالث: النظريات المعاصرة و المفسّرة للتغير الاجتماعي و الثقافي..... 81

المبحث الرابع: مفهوم الرمز..... 85

1. تعريف الرمز..... 85

2. وظيفة الرمز..... 87

الخلاصة..... 89

الفصل الرّابع : تلمسان بين الأمس و اليوم

تمهيد..... 91

المبحث الأول: تلمسان تاريخيا (نشأة مدينة تلمسان و تطورها التاريخي) :..... 92

1. ما قيل قديما عن تلمسان..... 92

2. أصل التسمية..... 93

3. المراحل التي مرت بها مدينة تلمسان..... 95

المبحث الثاني: تلمسان جغرافيا..... 105

1. الموقع الجغرافي..... 105

2. مميزاتها الطبيعية..... 105

المبحث الثالث: تلمسان ثقافيا و حضاريا..... 109

أ. تلمسان حضاريا..... 109

ب. تلمسان ثقافيا و اجتماعيا..... 117

الخلاصة..... 116

الفصل الخامس : الدراسة المنهجية

أولاً. مجال الدراسة..... 118

1. المجال الجغرافي..... 118

2. المجال البشري..... 118

3. المجال الزماني..... 118

ثانيا: أسلوب اختيار العينة..... 119

1. العينة..... 119

ثالثا: أدوات الدراسة..... 119

1. الملاحظة..... 119

2. المقابلة..... 120

رابعا: منهج الدراسة..... 120

الطّقوس الاحتفالية للزواج في مدينة تلمسان بين الماضي و الحاضر

تمهيد..... 123

المبحث الأول: الأسرة التلمسانية بين الماضي و الحاضر..... 124

1. مميزات الأسرة التلمسانية..... 124

2. طبيعة العلاقات الأسرية..... 126

3. أسباب التحولات في الأسرة المعاصرة..... 129

4. التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة..... 131

المبحث الثاني: طقوس الاحتفالية للزواج التلمساني بين الماضي و الحاضر..... 135

1. الاختيار للزواج..... 135

2. الخطبة..... 143

3. الملاك..... 151

4. عقد القران..... 157

5. الزفاف..... 158

لوشي أو (ليلة الحناء)..... 161

الدّخلة..... 166

يوم السّابع..... 167

الحمام..... 168

6. التحولات في العادات المتبعة بين الماضي و الحاضر..... 169

الخلاصة..... 178

الخاتمة 179

الملاحق..... 181

المراجع..... 184

مقدمة

مقدمة:

يعتبر الزواج من الآليات الاجتماعية و الدينية و الدعامة الأساسية في تكوين و بناء المجتمع ككل، كما يعتبر أساس تكوين الأسرة، و هي بمفهومها الاجتماعي تعمل على استمرار بقائها ورسوخها واستقرارها عن طريق استمرار العلاقات الاجتماعية والثقافية من خلال التعليم والتدريب و التي تعمل أيضا على نقل الموروث الثقافي و التنشئة الاجتماعية.إنّ المجتمع يحافظ على وجوده و استمراره عبر عملية تنظيم اجتماعية دائمة للعلاقات الجنسية التي تقوم بين الذكر و الأنثى، و تتم هذه العملية عبر عادات و تقاليد التي تتيح لمجتمع أن يتجدد عبر فعاليات الإنجاب المنظم في صورته الاجتماعية الزوجية، فالزواج هو الصورة الاجتماعية التي تضمن تحقيق التواصل الجنسي و الاجتماعي و الثقافي بين الذكور و الإناث في المجتمع. ويمر هذا عبر عدة مراحل كالخطبة و عقد القران و الاتفاق على شروط الطقوس احتفالية بين العائلتين ، و تسمى هذه الحفلة بحفلة الزفاف أو العرس و تكون بمثابة الإعلان الذي يعد من الشروط الرئيسية في إتمام عملية الزواج.

يعد الزواج أحد أهم مظاهر الحياة الاجتماعية، حيث تتمحور حول منظومة من الطقوس و الأعراف و العادات و التقاليد التي تسعى إلى تنظيمه و تحديد أشكاله واتجاهاته في إطار منظومة من العقائد و القيم السائدة في المجتمع. و لعلّ التغيرات التي مست ميدان الزواج في الجزائر عموما، و في منطقة تلمسان خصوصا، يمكن إرجاعها إلى ظروف اجتماعية و اقتصادية وثقافية و سياسية، بما في ذلك تحولات طرأت على معايير الزواج معظمها تتمحور في الطقوس الاحتفالية و مدى التمسك بها، و ما صاحبه من تحولات في رموزه و دلالته.

و عليه ففي هذا البحث سنحاول تحليل الممارسات الاحتفالية و ما انجر منها من تحولات على مستوى الطقوس و القيم و العادات و التقاليد المتعارف عليها في منطقة تلمسان الذي هو ميدان بحثنا و

مدى تأثير هذه التحولات على نظام الأسرة التلمسانية نتيجة توافد ثقافات دخيلة عليها الذي أدى ربما إلى طمس الثقافة المحلية، كذلك محاولة منا تفسير هذه الرموز و الدلالات الجديدة إن صحّ التعبير في ظل هذه التحولات.

جاءت هذه الدّراسة المعنونة بـ "التحولات الرمزية و الثقافية لمراسيم الزواج بالأسرة التلمسانية" وهي من النوع الوصفي الذي يلقي الضوء على مظاهر التحولات الرمزية و الثقافية التي طرأت على الطقوس الاحتفالية بما فيها العادات و التقاليد في المجتمع التلمساني، و للوصول إلى هذه النتيجة قسمنا بحثنا إلى خمس فصول:

الفصل الأوّل: المعنون بـ **' الأسرة'** ، حيث تطرقنا إلى تعريف الأسرة و تطورها ، وبعض أنماطها،و وظائفها و نظرياتها ، أيضا التعريف بالأسرة الجزائرية وتطورها، كما تطرقنا إلى المجتمع الجزائري (دراسة سوسيولوجية) بإيجاز.

الفصل الثاني: المعنون بـ **' الإطار الاجتماعي و الثقافي لظاهرة الزّواج'**، تعرضنا في هذا الفصل إلى الإطار الاجتماعي و الثقافي لظاهرة الزواج، من حيث مفهومه و أشكاله و الاختيار الزواجي ونظرياته.

الفصل الثالث: المعنون بـ **' الإطار النظري المتعلق باتجاهات التحول الثقافي'** و فيه تطرقنا إلى مفهوم التّحول و التغير و طبيعته، و كذا النظريات المعاصرة المفسرة للتغير الثقافي، كما تعرضنا إلى مفهوم الرمز مع تحديد وظائفه.

الفصل الرابع: المعنون بـ **' تلمسان بين الأمس و اليوم'** حيث حاولنا في هذا الفصل التعرف على مدينة تلمسان ماضيا و حاضرا من خلال تتبعنا لمسارها التاريخي لمختلف الحضارات و التغيرات التي مرت بها، كما تطرقنا إلى التعرف بهذه المنطقة مع إبراز مميزاتها الجغرافية و الحضارية و الثقافية.

الفصل الخامس: المعنون بـ **' الدراسة الميدانية'**، تم في الجزء الأوّل من هذا الفصل توضيح الإجراءات المنهجية التي اعتمدت عليها في الدراسة، ثم عرضنا في الجزء الثاني من هذا الفصل إلى تحليل البيانات و عرض نتائج الدراسة.

1. تحديد الإشكالية:

الأسرة هي اللبنة الأولى في البناء الاجتماعي ،قديمة قدم الإنسان، و هي نظام اجتماعي تقوم على نسق من المعايير و القيم و القواعد تضبط سلوك أفرادها، وباعتبارها جزء أساسي من المجتمع فهي لا تستثني من التغيرات التي قد تمس المجتمع، فكل تغير يتعرض له المجتمع تكون الأسرة مَعنية به سواء كان تغير اقتصادي أو اجتماعي أو ثقافي أو غيرها من التغيرات.

و الأسرة الجزائرية عرفت لكثير من التغيرات و التحولات نتيجة التراكمات التاريخية من خلال الحضارات التي تعاقبت على هذا المجتمع خاصة مرحلة الاستعمار الفرنسي الذي ترك بصمة عميقة في المجتمع الجزائري من خلال سياساته المنتهجة و المتمثلة في تحطيم وتشويه الهوية الوطنية في جميع المجالات السياسية ، اقتصادية، ثقافية و اجتماعية، بشتى الطرق و محاولة القضاء على اللغة العربية و الثقافة الإسلامية.

إن موضوع التغيرات و التحولات كان و لايزال أكبر اهتمامات علماء الاجتماع و الأنثروبولوجيا خاصة ما تعلق بموضوع القيم و حركتها في المجتمعات، و باعتبار الزواج قيمة من القيم الاجتماعية و الثقافية فهو لا يخلو من هذه التغيرات.

و لعل التغيرات التي مست موضوع الزواج في الجزائر كبيرة و متشعبة، أردنا اختيار زاوية من زواياه لدراسة هذا الموضوع باعتبار أن عادات الزواج و قيمه تخضع لعملية التغير، و فضلنا أن تكون دراستنا لموضوع الزواج في منطقة تلمسان التي طالما اعتبرت المراسيم الاحتفالية للزواج من القيم الثابتة، لها وظائفها و دلالاتها و رموزها في المجتمع التلمساني. و من هذا المنطلق هدفنا من خلال هذه الدراسة هي محاولة منا معرفة العوامل الرئيسة المسببة لهذه التحولات في الممارسات الاحتفالية و ما صاحبه من تحولات على مستواه الرمزي و الدلالي و تأثيراته على الأسرة التلمسانية ذلك من خلال طرح التساؤل التالي:

كيف يمكن أن يعبر التغير الحاصل في الطقوس الاحتفالية للزواج على التغيرات الثقافية في الأسرة التلمسانية؟

2. الفرضيـــة:

و بغية وضع دراستنا في المسار الصحيح لجأنا إلى أجوبة مؤقتة يتم التحقق منها من خلال الدراسة الميدانية كما يفصح عنها الواقع الاجتماعي:

إن الممارسات الاحتفالية للزواج في المجتمع التلمساني يخضع لسلسة من التحولات والتغيرات الثقافية عميقة نتيجة العصرنة و الحداثة، و هو تعرض الثقافة المحلية للأسرة التلمسانية لتنوع ثقافي متفاوت أدى إلى التغيير في بعض الطقوس الاحتفالية من حيث مدلولها الاجتماعي والرمزي و انجر عن ذلك بروز ثقافات جديدة حلت محل الثقافة القديمة.

3. أسباب اختياري لهذا الموضوع:

ما دفعنا لاختيار موضوع "**التحولات الثقافية و الرمزية لمراسيم الزواج في الأسرة التلمسانية**" عدة أسباب منها:

- ✓ محاولة إثراء الساحة الانثروبولوجية بمثل هذه المواضيع خاصة في ظل نقص مثل هذه المواضيع.
- ✓ كون أننا ننتمي لهذا المجتمع و محاولة منا إبراز سيرورة هذه التحولات الثقافية والرمزية بالدراسة و التحليل لظاهرة الزواج من خلال الممارسات الاحتفالية .
- ✓ محاولة منا معرفة أسباب استمرار أو تراجع عن نفس الطقوس و الممارسات ورموزه و دلالاته التي تعتبر نتاج هذا المجتمع.

4. الهدف من الدراسة:

تتجلى أهمية هذا الموضوع في كون الزواج في المجتمع التلمساني في ممارسته من حيث الجوانب الثقافية ، كان يخضع كثيرًا للعادات و التقاليد و القيم الثابتة و المحلية الموروثة على مرّ السنين ، و لكن هذا المجتمع فقد الكثير من هذه القيم وهذه المعايير الشيء الذي أدّى إلى تخلخل بنيته الثقافية، فيعتبر موضوعا انثروبولوجيا يحتاج إلى دراسة معمقة لكشف أغواره ، و محاولة إبراز سيرورة هذه التحولات الثقافية.

5. الدراسات السابقة:

تُعد الدراسات السابقة بمثابة قاعدة علمية تسهم في توضيح الرؤية لدى الباحث، حيث تعتبر نتائجها فرضيات أو انطلاقة لدراسة علمية، و من الدراسات التي تناولت موضوع " التحولات الثقافية و الرمزية لمراسيم الزواج في الأسرة التلمسانية" نجد:

أ. من الدراسات المحلية:

1. دراسة **مصطفى بوتفنوشت** بعنوان " العائلة الجزائرية التطور و الخصائص الحديثة" باستعمال الملاحظة بالمشاركة و تحليل الوثائق، توصل الباحث إلى أن البنية العائلية المركبة في طريقها إلى الاختفاء من جيل إلى جيل مع أن نمط التنظيم التقليدي الذي كان سائدا بالماضي عوض أن ينافس نمط التنظيم المعاصر فإنه يتعامل معه.

2. دراسة دراسة **ناصر قاسيمي** بعنوان "سوسيولوجية العائلة و التغيير الاجتماعي"، حيث ينطلق الباحث بالبحث عن أسباب و عوامل تغير خصائص العائلة الجزائرية من خلال وصف و تحليل البنى الاجتماعية و الثقافية و الدينية لهذا المجتمع عبر المراحل التاريخية التي مرّ بها إلى يومنا هذا، و كيف أثر تغير هذه البنى في خصائص هذه العائلة.

ب. من الدراسات الأكاديمية:

3. رسالة دكتوراه للباحث **الطاهر بوشلوش** بعنوان " التحولات الاجتماعية و الاقتصادية وآثارها على القيم في المجتمع الجزائري (1967-1999) ، بالوصف و التحليل و هي دراسة ميدانية تحليلية حاول من خلالها الباحث التعرف على أثر التحولات الاجتماعية و الاقتصادية التي عرفها المجتمع الجزائري خلال أكثر من ثلاث عقود من الزمن على النسق القيمي من خلال عينة من الشباب الجامعي ، إذ توصل إلى أن المجتمع الجزائري يعيش اليوم حالة من التغيرات الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية و السياسية ، فإن هذه التحولات ستترك بلا شك أثراً على النسق القيمي.

4. دراسة **شعبان هوارية** بعنوان " المرجعية الثقافية و الطقوس الاحتفالية للزواج" – منطقة تلمسان نموذج- رسالة ماجستير بتلمسان سنة 2007-2008، بالمنهج الكيفي و التحليلي و هي دراسة ميدانية قامت بها الباحثة في قبيلة (أولاد ورياش) بمنطقة تلمسان، حيث توصلت إلى أنها في ممارستها لطقوس الزواج فهي تقوم على النسق الثقافي التقليدي الأصيل و بتدخل العناصر و القيم العصرية و العقلانية في تحديد نمط الزواج، كما تقوم على المزيج بين النمطين الثقافي التقليدي و الثقافي العصري.

5. دراسة **دحماني سليمان** بعنوان " ظاهرة التغير في الأسرة الجزائرية " رسالة لنيل ماجستير في الأنثروبولوجيا بتلمسان سنة 2005-2006، بالمنهج الشمولي التكاملي و هي دراسة ميدانية نظرية تحليلية مكتبية قام بها الباحث للوصول إلى رؤية تكاملية حول واقع الأسرة الجزائرية المعاصرة و تغيراتها، حيث توصل أن المجتمع الجزائري شهد احتكاك ثقافته التقليدية بالثقافة الغربية الحديثة و انخراطه في مسيرة التحديث و التغيير، و كانت لهذه التغيرات انعكاسات على بنية و حجم الأسرة و على منظومة العلاقات بداخلها، و على قيمها الاجتماعية. و توصل أيضا أن الأسرة الجزائرية اليوم و إن تأثرت بعوامل التحديث، فإنها لا تزال تتمسك ببعض عناصرها التقليدية في جميع هذه المجالات.

6. المفاهيم المستعملة:

- **التحوّل**: فهو لفظ يرتبط بالتغيير، فهو يعني في اللغة التبدل و التغير و التنقل، و "نقطة التحول هي الحد الفاصل بين أمرين يكون الأمر الثاني أحسن حالاً من الأول". فالتحول " تغير يلحق الأشخاص أو الأشياء، و هو قسمان تحول في الجوهر و تحول في الأعراض"[1].

التحول ثابت من ثوابت الحياة، و هو ظاهرة اجتماعية ملازمة للمجتمعات البشرية منذ القدم و يحدث بقوة الفعل[2].

- **التغير الثقافي**: هو كل صور التنوع الذي يطرأ على الظواهر الثقافية كالمعرفة و الأفكار و الفن و المذاهب الدينية و الأخلاقية[3].

يعتبر التغير الثقافي أحد مصادر التغير الاجتماعي و ذلك ما توصلت إليه الدراسات التي تناولت التغير الاجتماعي، و على الرغم من كل ذلك فلا يزال الباحث في مجال التغير الاجتماعي يلاحظ قدراً من الخلط بين مفهومي التغير الاجتماعي و التغير الثقافي، بل أن بعض النظريات التي حاولت تفسير التغير الاجتماعي كانت تدور حول التغير الثقافي دون تمييز واضح بين المفهومين، و قد يرجع ذلك إلى الارتباط الشديد بين مفهومي الثقافة و المجتمع باعتبارهما من المفاهيم الأساسية في الدراسة الاجتماعية[4].

إن التغير الثقافي يشير إلى التحولات التي تطرأ على ما ينتجه من أشياء مادية(تكنولوجية) أو غير مادية كالقوانين و الفنون، و بمعنى آخر هو التغير الذي يحدث في محتوى الثقافة التي يتفاعل معها أبناء المجتمع، و بالتالي يصبح التغير الثقافي أوسع في مضمونه و أشمل في مجاله من التغير الاجتماعي[5].

---

[1]- جيلالي أبو بكر، البناء الحضاري عند "مالك بن نبي"، دار المعرفة للنشر و التوزيع، ب ط، بدون طبعة، 2010، ص74

[2]- محمد العليوات، القيم و الأعراف – قراءة في التحولات الاجتماعية-، دار المحجة البيضاء، ط 1، بيروت، 2003، ص 11

[3]- سمير سعيد الحجازي، معجم المصطلحات الحديثة في علم النفس و الاجتماع و نظرية المعرفة، دار الكتب العلمية، ط1، 2005، بيروت، ص 173

[4]- فادية عمر الجولاني، التغير الاجتماعي، مدخل للنظرية الوظيفية لتحليل التغير، مركز الكتاب، الاسكندرية، ب ط، 1997، ص 20

[5]- المرجع نفسه، ص 21

- **الثقافة** :هناك اختلاف بين الباحثين في تحديد المعنى الدقيق لمفهوم الثقافة، و قد قام كل من (**كروبل و كلوكهون**) بفحص ما يزيد عن مائتي و ستين تعريفا صاغها علماء الأنثروبولوجيا و لم يجدا بينها تعريفا مقبولاً، لكونها لا تميز بين المفهوم من ناحية، و الأشياء التي يشير إليها من ناحية أخرى. و لعلّ من أشهر التعاريف و أشملها تعريف (**تايلور – Taylor 1971**) حيث يرى أن الثقافة هي " ذلك الكل المركب، الذي يتضمن المعارف، و العقائد، و الفنون، و الأخلاق، و القوانين، و العادات و أية قدرات و خصال يكتسبها الإنسان نتيجة لوجوده كعضو في المجتمع"[1].

كذلك نجد لفظ ثقافة تدل على معنى الحضارة في اللغة الألمانية، فالثقافة أو الحضارة ذات دلالتين: ذاتية و هي ثقافة العقل، موضوعية و هي سائر العادات و الظروف الاجتماعية و التراث الفكري و العلمي و الفنون و الآداب و ألوان التفكير و القيم الرائعة في مجتمع معين، "أو طريقة حياة الناس و كل ما يملكونه و يتداولونه اجتماعيا لا بيولوجيا"[2].

- **الطّقوس**:. كما يعرفها (دوركايم) بأنه " قواعد للسلوك تصف لنا الإنسان مع الأشياء المقدسة"[3].

قد تقام الطقوس في بعض المناسبات الخاصة، أو تحت طلب الأفراد أو المجتمعات. وقد يؤدي الطقوس شخصٌ واحدٌ، أو مجموعة من الأشخاص، أو مجتمعٌ بأكمله؛ في أماكن محددة، أو في أماكن محجوزة مخصصًا لذلك، سواء في الأماكن العامة، أو الخاصة، أو من قبل أشخاص معينين. وقد تقتصر الطقوس على جزء معين من المجتمع، أو قد تجتاز الطريق بين المؤسسات الدينية والمؤسسات المجتمعية[4].

- **الزواج**: يشير الجانب اللغوي لمفهوم الزواج "إلى الاقتران و الازدواج، و يكثر استخدامه للدلالة على اقتران شخصين من جنسين مختلفين (رجل و امرأة) على سبيل الدوام و الاستمرار، و لكن مؤخرا

---

[1]- **بوفلجة غيات، تحولات ثقافية، دار الغرب للنشر و التوزيع، ط1، 2005، وهران، ص 7- 8**

[2]- **جيلالي أبو بكر، المرجع السابق، ص46**

[3] - **SEGALENE, Martine , Rite et rituels contemporains, ed NATHAM, Paris, 1998, P 11**

[4]- **ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، مفهوم الطقوس**

عرفت بعض الدول الغربية مفهوما جديدا للزواج يتناقض مع المفهوم السابق و هو الزواج الذي يتم فيه الاقتران مع جنس واحد"، أما من الجانب الاجتماعي " الزواج هو وسيلة لاستمرار الحياة، و دوامها في إنجاب الذرية و هو حجر الأساس و الدعامة الكبرى التي يقوم عليها بناء الأسرة، و هو رابطة مقدسة لما تقوم عليه من المعاني الإنسانية و العاطفية أكثر مما يقوم على أي معنى آخر"[1].

أما الزواج بالمعنى القانوني عرفت المادة الرابعة من قانون الأسرة الجزائرية الزواج بأنه " عقد يتم بين رجل و امرأة على وجه الشرعي، و من أهدافه تكوين أسرة أساسها المودة و الرحمة و تعاون و إحصان الزوجين و المحافظة على الأنساب"[2].

- **الأسرة:** هي نتاج اجتماعي يعكس صورة المجتمع التي توجد و تتطور فيه، ففي مجتمع سكوني تبقى البنية الأسرية مطابقة له، و في مجتمع تطوري فإن الأسرة تتحول حسب إيقاع و ظروف التطور لهذا المجتمع. **تعريف كلود ليفي ستراوس:** يرى "أن الزواج هو مصدر جماعة الأسرة، و هذه الأخيرة تتكون من نواة تحتوي على الزوج و الزوجة و أطفالهما كذلك من أولياء آخرين مرتبطين بهذه النواة[3].

7. صعوبات الدراسة:

إن ما يميز العلوم الاجتماعية أنها علوم نسبية النتائج وبالتالي وجب على الباحث الوصول إلى أكثر درجة من الصدق و الثبات في النتائج،ولتحقيق ذلك فانه الباحث يواجه الكثير من الصعوبات ، ولذا فقد واجهتنا بعض الصعوبات منذ بداية البحث إلى نهايته ،ويمكن ايجاز هذه الصعوبات فيما يلي:

- نذرة الدراسات السابقة حول الموضوع.
- نقص المادة العلمية و المتمثلة في الصور الفوتوغرافية و أشرطة فيديو الخاصة بالزواج في منطقة تلمسان ماضيا، ما صعب علينا إعطاء نظرة شاملة حول الموضوع.

---

[1]- **محمد يسري ابراهيم دعبس، الأسرة في الثرات الديني و الاجتماعي، دار المعارف، مصر، 1995 ، ص 16**
[2]- **وزارة العدل ، قانون الأسرة ، (المادة الرابعة)، ديوان الوطني للأشغال التربوية، ط3 ، 2002، ص 5**
[3]- **مصطفى بوتفنوشت، مجلة شبكة العلوم النفسية، العدد 21-22، 2009، ص 45.**

الفصل الأول

(الأسرة)

الفصل الأوّل: تعريف الأسرة و أشكالها

تمهيد

المبحث الأول: تعريف الأسرة

المبحث الثاني: نظريات الأسرة

المبحث الثالث: التنشئة الاجتماعية

المبحث الرابع: تطور الأسرة الجزائرية

المبحث الخامس: المجتمع الجزائري – دراسة سوسيولوجية–

الخلاصة

تمهيد:

الأسرة هي نواة المجتمع ينمو فى رحابها الصغار حتى يبلغون مرحلة البلوغ والنضج ، ومنذ ولادة الطفل يتلقى خلاصة الخبرة من أسرته ، وبفضل رعاية أسرته له صحيا واجتماعيا يشب وينمو وتكتمل ملكاته وقدراته الذهنية. ولقد عرفت المجتمعات بأشكالها المختلفة (سواء بدوية أو ريفية أو حضرية) الحياة الزوجية والحياة الأسرية . والأسرة بمفهومها الاجتماعي تعمل على استمرار بقائها ورسوخها واستقرارها عن طريق استمرار العلاقات الاجتماعية والثقافية ، ومن خلال التعليم والتدريب. وتنظم الأسرة سلوك النشء وتراقب علاقاته بغيره من أفراد المجتمع ، فهي إذًا الخلية الأساسية الأولى للمجتمع تتكون من أشخاص تجمع بينهم روابط مختلفة ومصالح مشتركة و الصلة الزوجية و صلة القرابة.

المبحث الأول: تعريف الأسرة و أشكالها:

من الصعوبة تعريف الأسرة نظرًا لاختلاف أنماطها و لتواجدها في كل المجتمعات مهما كانت صغيرة أو كبيرة، بدائية أو متطورة، لكن بشكل عام ينشأ كل الأفراد ضمن أسرة و يتربون في أحضانها و هي تتكون في مجموعها من ثلاث أعضاء فما فوق ينتمون إلى جيلين مختلفين على الأقل (جيل الآباء و جيل الأبناء) و تضم شخصين بالغين ذكر وأنثى يُعرفان على أنهما الأبويين البيولوجيين أو البديلين للأطفال و يقومان نحوهم بمختلف الالتزامات الاقتصادية و الاجتماعية و يضمنان تجاه الوحدة الأسرية.

يجمع أغلب الباحثين على اعتبار الأسرة الخلية الاجتماعية الأساسية في لحمة الحياة الاجتماعية، و هي الوحدة التي يستمدّ منها المجتمع وجوده، لكن اختلافهم حول تعريفها يعود حين يركز كل فريق على جانب معين من الحياة الأسرية، فالبعض يركز على العلاقات الأسرية و آخرون على وظائفها.. و لا وجود لتعريف دقيق شامل، لكن من خلال التعاريف المتعددة يمكن إدراك حدودها وصورتها[1].

حسب **'ميردوك،Murdock'** " هي عبارة عن جماعة اجتماعية تتميز بمكانة إقامة مشترك، و تعاون اقتصادي، و وظيفة تكاثرية، و يوجد بين اثنين من أعضائها على الأقل علاقة جنسية يعترف بها المجتمع، و تتكوّن الأسرة على الأقل من ذكر بالغ و أنثى بالغة و طفل سواءًا من نسلهما أو بالتبني»[2].

و يعرفها مصطفى بوتفنوشت " العائلة هي المؤسسة الأساسية التي تشمل رجلاً أو عدد من الرجال يعيشون زواجياً مع امرأة أو عدد من النساء و معهم الخلف الأحياء و أقارب آخرين و كذلك الخدم"[3].

---

[1]- **عبد العزيز خواجة، مبادئ في التنشئة الاجتماعية، المرجع السابق، ص 123**

[2]- **عبد القادر القصير، الأسرة المتغيرة في المدينة العربية، دار النهضة العربية، ط 1، بيروت، 1999 ص 35**

[3]- **مصطفى بوتفنوشت، العائلة الجزائرية تطور و الخصائص الحديثة، ترجمة أحمد دمري، ديوان المطبوعات الجامعية،ب ط، الجزائر، 1984، ص 14**

أما 'بيرجس و لوك ، **E.W. Burgess.H & H.J Loock**' فقد عرفاها " أنها جماعة من الأشخاص يرتبطون بروابط الزواج و الدم و التبني، و يعيشون معيشة واحدة و يتفاعلون كل مع الآخر في حدود أدوار الزوج و الزوجة، الأم و الأخ و الأخت ، و يشكلون ثقافة واحدة و مشتركة"[1].

أما "سناء الخولي" فتعرف الأسرة على انها تشير إلى جماعة مكونة من الزوج و زوجة و أولادهما غير متزوجين الذين يقيمون معا في مسكن واحد[2].

و قد ذهب ' ميـر و نيكمفون ' في كتابهما " الزواج و الأسرة" إلى أنّ الأسرة « هي رابطة قوية بين زوج و زوجة بينهما أبناء»، كما أنّ ' سمنر و كلير' عرّفا الأسرة " بأنها تنظيم اجتماعي مصغر ينطوي على جيلين على الأقل و يتميز تشكيله بالاعتماد على رابطة الدم"[3].

كما يمكن تعريفها بأنها " وحدة اجتماعية اقتصادية ثقافية بيولوجية تتكوّن من مجموعة من الأفراد الذين تربطهم علاقات من الزواج و الدور و التبني و يوجدون في إطار من التفاعل عبر سلسلة مراكز و أدوار، تقوم بتأدية عدد من الوظائف التربوية و الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية"[4].

من خلال التعاريف السابقة نلاحظ أن أهم مكوّنات الأسرة:

1) تتكوّن ماديا من أفراد كالزوج و الزوجة و الأطفال يعيشون في مكان واحد.
2) وحدة اجتماعية اقتصادية ثقافية تربط بين أفرادها علاقات تعاون روحية.
3) لها وظائف بيولوجية (إنجاب) و تربوية (التنشئة) و اقتصادية (ضمان الحاجات المادية).
4) لها مراكز و أدوار من أب، و أطفال، زوجة ، أخ، و أخت بينهم علاقات تفاعل.
5) للأسرة نمط معين من المعايير و القيم الموجّهة لسلوك أفرادها و علاقاتهم[1].

---

[1]- **نخبة من الأساتذة قسم علم الاجتماع، المرجع في مصطلحات العلوم الاجتماعية، المعرفة الجامعية، بدون طبعة و تاريخ ، الاسكندرية، ص 177**
[2]- **سناء الخولي، الأسرة و الحياة العائلية، دار المعرفة الجامعية ،ب ط، الأزاريطة، 2008، ص 40**
[3]- **فادية عمر الجولاني، الأسرة العربية – تحليل اجتماعي لبناء الأسرة و تغير اتجاهات الأجيال- ،ب ط، الإسكندرية، 1995، ص 12**
[4]- **عبد العزيز خواجة، المرجع السابق، ص 125**

و يمكننا القول أنّ الأسرة هي المؤسسة اجتماعية، و نظام اجتماعي ذو نظام عالمي، يعتمد في وجوده على عناصر بيولوجية ضرورية ، و تتدخل الثقافة في توجيه و تعديل هذه العوامل بما يناسب طبيعة المجتمع و ظروفه و تحوّلاته.

1. تطور الأسرة:

مرت الأسرة بمراحل تطوّر متعددة فرضته ظروف المجتمعات البشرية و أوضاعها الاجتماعية والاقتصادية و الدينية و التنظيمية بشكل عام، و قد كان لظروف المجتمعات تلك في كل فترة من فترات تطوّرها أثر واضح على تحديد طابع الأسرة و شكلها و تكوينها و الوظائف التي تقوم بها، ونمط القرابة الذي يميزها. و نظام الزواج تنهض عليه الأسرة كرابطة أو كوحدة اجتماعية مميزة في نطاق المجتمع. و قد اتفق علماء الاجتماع بشكل واضح حول بعض المسائل الأساسية المتعلقة بالأشكال التي اتخذتها الأسرة عبر مراحل تطوّرها[2].

فالأسرة تطوّرت منذ بداياتها مع سيدنا آدم و حواء و ذريتهم، و قد جرت العادة عند بعض علماء الاجتماع و الانثروبولوجيا أن يعتبروا بعض الشعوب البدائية، و خاصة السكان الأصليين (أستراليا و أمريكا) ممثلة إلى حد ما لما كانت عليه الإنسانية في نشأتها الأولى، و هذا راجع إلى كون هذه الشعوب ظلت فترة من الزمن معزولة عن التيارات الحضارية، و هذه العزلة جعلتها تحتفظ بقدر واسع من النظم التي كانت سائدة في المجتمعات الإنسانية في أقدم عهودها و بملاحظة الأسرة في ذلك الوقت نجد أنها كانت واسعة النطاق و الفرق بين مفهومي الأسرة و العشيرة لم يكن واضحاً بل كان أفراد العشيرة واحدة يرتبطون بعضهم البعض روابط قوية ليست قائمة على صلة الدم بل كانت قائمة على أساس أنهم ينتمون جميعا إلى

---

[1]- عبد العزيز خواجة، المرجع السابق، ص 126
[2]- فادية عمر الجولاني، المرجع السابق، ص 13

"طوطم" واحد، و الطوطم عبارة عن نوع من الحيوان و النبات تتخذه العشيرة رمزاً لها و لقبًا لجميع أفرادها، و يعتقدون أنهم يؤلفون مع هذا الطوطم وحدة أو جماعة اجتماعية.

و قد عثر العلماء على هذا النظام في أمم كثيرة غير العشيرة الطوطمية، مثل ما كان عليه نظام الأسرة عند اليونان و الرومان، حيث تضم جميع الأقارب و كل من يعترف بهم الرئيس، حيث أنّ كل عشيرة لها رئيس و كانت العضوية في الأسرة تقوم على أساس قبول أو اعتراف الرئيس بذلك. و قد تطورت الأسرة من حيث الرئاسة و مرّت بعدد من الأشكال نجملها فيما يلي[1]:

1) المرحلة الإباحية:

خلال نمو الإنسان نشأت الأسرة عن مرحلة فوضى جنسية بدائية تشبه إلى حد كبير الحالة التي يحيا عليها الحيوان، ثم انتقل إلى الزواج الجماعي، ثم لم يلبث الأبناء أن التفوا حول الأم و ظهر النظام الأموي[2].

2) المرحلة الأموية (Matriarcale):

و هي الأسرة التي تكون فيها السلطة بين يديّ الأم، و من خصائصها:

- ✓ يتم تتبع الأصل العرقي و الانحدار فيها من خلال الأم.
- ✓ المسكن يكون في بيت الأم أو أحد أقاربها.
- ✓ لا تعود السلطة في الغالب إلى الأم بقدر ما تعود إلى أحد أقاربها كالأخ الأكبر كما في **جزر الملايو** و هنود **أوماها** أو إلى أب الزوجة كما في هنود **لبرادو**.

---

[1]- **مكاك ليلى، دور وكالة التنمية الاجتماعية في تحسين ظروف الأسرة الجزائرية، رسالة ماجستير في علم الاجتماع العائلي، جامعة باتنة ، 2010، ص 26**

[2]- **محمود حسن، الأسرة و مشكلاتها، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، ب ط، بيروت، 1981، ص 03**

✓ يميل هذا النظام إلى إدماج جماعة أقارب الأسرة بداخلها ممّا يضعفها، و قد حدا ذلك ببعض المجتمعات إلى الاعتقاد بعدم وجود حقيقة أبوّة كما في **جزر التروبرياند**.

3) المرحلة الأبوية (Patriarcal):

تعود السلطة في هذا النوع من الأسرة إلى الأب، و قد توجد عاشقات إلى جانب الزوج كما في الصين القديمة، و في المجتمع **الكابيلي** حيث يحيط الأبناء بالأسر في منازلهم، و تشكل هنا قاعدة المسكن الركيزة المحدّدة لهذا النوع، و تعتبر من أكثر الأشكال انتشارًا، و درجات ممارسة الأب لسلطته متباينة من مجتمع إلى آخر، و قد تكون الأسرة الأبوية أحادية الزوج، كما قد تكون متعددة الزوجات، كما بينت ذلك أبحاث **ميردوك J.Murdock و مورغان L .Morgan**[1] .

4) المرحلة الاستقلالية:

جاءت هذه المرحلة نتيجة لمتطلبات الوضع الاقتصادي الذي تطور خاصة في المجتمعات الأوروبية أو الأمريكية، حيث أصبح الزوجان يعيشان حياة مستقلة في مسكن خاص لا يلتقيان إلاّ في الليل و حتى الطعام أصبحا يتناولانه في المطعم فكل منهما يقضي معظم وقته في العمل بينما يقضيه الأولاد في المدارس أو الحضانة و خاصة بالنسبة للمرأة العاملة التي أصبحت مستقلة في دخلها الاقتصادي و بالتالي ضاعت سلطة الرجل و انهار النظام الأبوي، و إذا كان هذا الكلام ينطبق على كافة المجتمعات إلاّ في حدود الضيقة، كما أنّ المراحل السابقة أيضًا ليست حتمية بالنسبة لجميع الشعوب[2].

---

[1]- **عبد العزيز خواجة، المرجع السابق، ص 131-132**
[2]- **مكاك ليلى، المرجع السابق، ص 27**

5) تطور الأسرة:

أ- في الجاهلية:

كانت الأسرة قبل الإسلام تقوم على التعسف والظلم ، فكان الشأن كله للرجال فقط أو بمعنى أصح الذكور، وكانت المرأة أو البنت مظلومة ومهانة ومن أمثلة ذلك أنه لو مات الرجل وخلف زوجة كان يحق لولده من غيرها أن يتزوجها وأن يتحكم بها ، أو أن يمنعها من الزواج ، وكان الذكور الرجال فقط هم الذين يرثون وأما النساء أو الصغار فلا نصيب لهم ، وكانت النظرة إلى المرأة أماً كانت أو بنتاً أو أختاً نظرة عار وخزي لأنها كانت يمكن أن تسبى فتجلب لأهلها الخزي والعار فلذلك كان الرجل يئد ابنته وهي طفلة رضيعة كما قال تعالى : ﴿ **وَإِذَا بشِّرَ أَحَدُهُمْ بالأُنثَى ظَلَّ وَجْهَهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظيم يَتَوَارَى منَ القَوْم منْ سُوءِ مَا بَشَرَ بِهِ أَيُمْسكُهُ عَلَى هَوْن أَم يَدُسُهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ سَاءَ مَا يَحكُمُونَ**﴾[1] .

و كانت الفتاة لمن يختاره أبوها لها حتى و لو مازالت في سن الطفولة و تتزوج من كهل أو حتى شيخ و في كثير من الأحيان يكون هذا لسبب مادي يعود على الأسرة من وراء هذا الزواج وكانت المرأة في أغلب الأحيان تتزوّج من الأقارب خاصة أبناء الأعمام.

و الأسرة في ذلك الوقت هي أسرة ممتدة يتزعمها شخص كبير في السن قد يكون الأب أو الجد...الخ و يحق له التصرف في أمور الأسرة و حتى الأفراد ، بينما المرأة فقد كانت توكل لها مهمة تنظيم البيت و تربية و رعاية الأبناء ناهيك عن عملها إلى جانب الرجل في المجال الزراعي أو الرعي مثلا فمنذ ذلك الوقت كانت المرأة تستغل استغلالا مزدوجا داخل البيت و خارجه .[2]

---

[1]- سورة النحل، الآية 58

[2]- مكاك ليلى، المرجع السابق، ص 30

ب- في الإسلام:

لقد اهتمّ الإسلام اهتماما كبيراً بشأن الأسرة و أسس تكوينها ، و أسباب دوام ترابطها، وأداء لوظيفتها على خير وجه و أكمله، فما ترك القرآن و السنة صغيرةً و لا كبيرةً يكون فيها سعادة الأسرة و استقرارها إلاّ و بينها تفصيلاً [1].

لقيت الأسرة اهتمام القرآن الكريم على عدة أسس ثابتة أهمها:

1- **وحدة الأصل والمنشأ**: فجميع أفراد الأسرة من أصل واحد, وأن الرجل والمرأة من منشأ واحد، وجاءت الآية الكريمة مؤكدة لذلك: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً** ﴾ [2] ، ﴿ **وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ**﴾ [3].

2- **المودّة و الرّحمة**: فمن أهداف الأسرة تحقيق المودة والرحمة لإقامة مجتمع قوى متماسك فاضل لقوله تعالى: ﴿ **هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ** ﴾ [4].

3- **العدالة والمساواة**: فقد وزع القرآن الكريم الحقوق والواجبات على كل فرد من أفراد الأسرة بالعدالة والمساواة، وذلك فى قوله تعالى، ﴿ **وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ** ﴾[5]،**وقوله تعالى**: ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [6].

---

[1]- بنان الطنطاوي العطار، "الأسرة في الإسلام"، مجلة الرائد، العددان 54-55، 1981
[2]- سورة النساء، الآية 01
[3]- سورة الأنعام، الآية 98
[4]- سورة البقرة، الآية 187
[5]- سورة البقرة، الآية 188
[6]- سورة النحل، الآية 97

4- **التكافل الاجتماعي**: حيث ينظر القرآن الكريم للأسرة على أنها مجموعة متراحمة تقوم على أساس التعاون بين جميع أفرادها وعلى هذا الاعتبار شرعت أحكام النفقات والميراث والوصية بقوله تعالى: ﴿ **لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ**﴾ [1].

ومن خلال الآيات البينات والسنة النبوية وما استنبطه الفقهاء من أحكام، تتحدد الحقوق والواجبات لكل من الزوجين التي يجب أن تكون واضحة حتى تستقيم حياة الأسرة. ولذلك اهتم القرآن الكريم بأحكام الأسرة، حيث وردت معظمها حول الميراث والزواج والطلاق والوصية مفصلة غير مجملة. وذلك فيما عدا الأمور التي من شأنها أن تتغير وتتبدل بحيث جاءت أحكامها في القرآن مجملة بمبادئ عامة وقواعد كلية وترك للزمن أمر تطورها وتطبيقها مثل أحكام المعاملات ونظام الحكم..... وغير ذلك. ولقد ربط الإسلام أحكام الأسرة بالعقيدة. ووصف الزواج بأنه من آيات الله, وشواهد قدرته وعظمته, وجعل الزوجة كالزوج في الحقوق والواجبات, إلا ما جاء النص على خلاف ذلك في أصل المساواة, حق الزوج على زوجته الطاعة وحقها عليه النفقة كما جاءت أحكام الأسرة في القرآن الكريم، وجعل أحكام الأسرة وحدة متكاملة وأحاطها بإطار يمنع الاعتداء عليها بمخالفة أحكامها أو المس من كرامتها وسمعتها, فشرع من القواعد ما يكون وقاية لها, وما يكون علاجا, وما فيه التحذير والتوجيه والإرشاد. ولم يكتف القرآن الكريم بجعل الضمير والوازع الديني رقيبا وحده وكفيلا لتطبيق أحكام الأسرة, بل أعطى للقاضي ممثل المجتمع الحق في الإشراف والتوجيه لحسن تطبيق هذه الأنظمة لأنه يجب أن نفرق دائما بين هذه التشريعات كنظام وبين واقع المسلمين كتطبيق [2].

---

[1]- **سورة البقرة، الآية 177**

[2]- **مهدي محمد القصاص، علم الاجتماع العائلي، عامر للطباعة و النشر، ب ط، المنصورة ، 2008، ص 82**

وإذا كان ما سبق يوضح بعض الأسس التي بينها القرآن الكريم، فان تأكيد الإسلام على أهمية الأسرة جاء تأكيدا لما تحققه الأسرة من أهداف اجتماعية واقتصادية وخلقية وصحية وسياسية وروحية [1]

2. تصنيف الأسرة:

عرفت البشرية أمثالاً كثيرة للأسرة نذكر منها:

أ. الأســـرة النّووية أو (النواة):

هي الأسرة المكونة من الزوجين وأطفالهم وتتسم بسمات الجماعة الأولية، وهي النمط الشائع في معظم الدول الأجنبية وتقل في أغلب الدول العربية، وتتسم الوحدة الأسرية بقوة العلاقات الاجتماعية بين أفراد الأسرة بسبب صغر حجمها، كذلك بالاستقلالية في المسكن والدخل عن الأهل، وهي تعتبر وحدة اجتماعية مستمرة لفترة مؤقتة كجماعة اجتماعية، حيث تتكون من جيلين فقط وتنتهي بانفصال الأبناء ووفاة الوالدين، وتتسم بالطابع الفردي في الحياة الاجتماعية.

ب. الأسرة الممتدّة:

هي الأسرة التي تقوم على عدة وحدات أسرية تجمعها الإقامة المشتركة والقرابة الدموية، وهي النمط الشائع قديماً في المجتمع ولكنها منتشرة في المجتمع الريفي، بسبب انهيار أهميتها في المجتمع نتيجة تحوله من الزراعة إلى الصناعة، وتتنوع إلى أسرة ممتدة بسيطة تضم الأجداد والزوجين والأبناء وزوجاتهم، وأسرة ممتدة مركبة تضم الأجداد والزوجين والأبناء و الأبناء وزوجاتهم والأحفاد والأصهار والأعمام، وهي تعتبر وحدة اجتماعية مستمرة لما لا نهاية حيث تتكون من ثلاث أجيال وأكثر، وتتسم بمراقبة أنماط سلوك أفراد الأسرة والتزامهم بالقيم الثقافية للمجتمع، وتعد وحدة اقتصادية متعاونة يرأسها مؤسس الأسرة، ويكتسب أفرادها الشعور بالأمن بسبب زيادة العلاقات الاجتماعية بين أفراد الأسرة

[1]- المرجع نفسه، ص82

ج. الأسرة المركّبة:

تـرتبط الأسـرة المركبـة بنظـام تعـدد الزوجـات الـذي شـرّعه الإسـلام حيـث توجـد في المجتمعـات الإسلامية بصفة خاصة و في المجتمعات الشّرقية بصفة عامة.و يتألف هذا النوع من الأسر من رجل و زوجاته و أطفاله منهنّ.

الأسرة المركبة ما هي إلاّ مجموعة من الأسر البسيطة التي ترتبط معًا لتكون وحدة قرابية يكون الزوج فيها عضوًا مشتركًا يربط بينهما جميعاً و تتميز عن الأسرة النّووية في تعدد الزوجات و في وجود نوعين من الإخوة هما الإخوة الأشقاء و الإخوة غير أشقاء الذين ينحدرون من الأب نفسه و من أمهات مختلفات.و من هنا فإنّ الزوج في الأسرة المركبة ينتمي إلى أسرتين مختلفتين و لكنه يؤدي الدور نفسه حيث يقوم بوظيفة الزوج لأكثر من زوجة واحدة و وظيفة الأب لكل أبنائه من هؤلاء الزّوجات

د. الأسرة المشتركة :

تتكون من أسرتين نوويتين أو أكثر يرتبطان ببعضهما البعض من خلال خط الأب و أغلب هذه الأسر تتكون من أخ و زوجته و أطفالهما و أخ آخر و زوجته و أطفالهما يتقاسمون منزلا مشتركا والتزامات متبادلة وهذه هي الأسس الرئيسية التي تميز هذه الوحدة القرابية.

هـ. الأسرة المتحوّلة :

و هي الأسرة التي حدث لها تبدل على ملامحها و لكنه ليس شاملا فقد يصيب هذا التحول العنصر الاقتصادي و تبقى الأسرة محافظة على القيم و العادات الموروثة مثلا فهذه أسرة متحولة و قد يصيب التحول عنصرها الإيديولوجي فتتبنى قيما و مفهومات معاصرة و لكنها تبقى محافظة على المستويين الاجتماعي و الاقتصادي فعندئذ تعتبر هذه الأسرة أسرة متحولة

.

و. الأسرة المتعدّدة :

يقصد بها الأسرة التي يتعدد بها الأزواج و الزوجات، فقد أباحت الشريعة الإسلامية تعدد الزوجات لكن حرمت تعدد الأزواج لحماية الأسرة والأنساب وبتالي شكل الأسرة متعددة الزوجات هو الشكل الأكثر انتشارا.

و في الأخير يمكننا أن نقول أننا ذكرنا أغلب الأنماط الأسرية الموجودة و هذا نظرا لتباين هذه الأنماط و اختلافها من مجتمع لآخر كما أن هذا الاختلاف كان مصحوبا باختلاف في وظائف الأسرة حيث أنها فقدت البعض من وظائفها في ظل التغيرات الاجتماعية المختلفة فبعدما كانت تؤدي الوظائف الدينية و السياسية و الاقتصادية والقانونية و الأخلاقية... الخ أصبحت تقتص على بعضها فقط [1].

3. وظـائف الأسرة:

على الرغم من أنّ الأسرة وحدة اجتماعية صغيرة إلاّ أنها أساس وجود المجتمع وأقوى نظمه، فهي المهد الحقيقي للطبيعة الإنسانية، فالأسرة تقوم بوظائف عديدة تتصف بالتكامل و التداخل.

كانت الأسرة في الماضي تقوم بكثير من الوظائف التي تقوم بها المجتمعات حالياً، ففي المجتمعات البدائية كانت هيئة اقتصادية تقوم بإنتاج ما تحتاج إليه و تشرف على شؤون التوزيع و الاستهلاك و الاستبدال الداخلي و غيره. و كانت هيئة سياسية تنفيذية تشرف على تحقيق سياستها العامة و تنظيم علاقاتها بما عداها من العشائر و تتعّهد تنفيذ ما تضعه من شرائع، و كانت هيئة تشريعية تضع القوانين و ترسم الحدود و تمنح الحقوق و تفرض الواجبات.

و لعلّ أهم وظائف الأسرة و أكثرها وضوحًا يمكن أن نلخّصها كالآتي:

[1]- مكاك ليلى، المرجع السابق، ص 34- 35

أوّلاً . الوظيفة البيولوجية:

الأسرة هي الوسط الطبيعي و المجال المشروع اجتماعياً لإشباع الرغبات الجنسية وتختلف هذه المعتقدات من مجتمع إلى آخر و داخل المجتمع الواحد، حيث أن المجتمعات العربية على سبيل المثال لا تسمح بالعلاقات الجنسية خارج نطاق الأسرة أي قبل الزواج وتسمى هذه الوظيفة كذلك في بعض المراجع بوظيفة تنظيم السلوك الجنسي أو الوظيفة الجنسية.

ثانيًا. وظيفة الإنجاب و التكاثر:

الأسرة هي التي تمد المجتمع بالأعضاء الجدد و تحافظ على بقاء النوع البشري، كما تتولّى مهمّة الإشراف على رعاية الأطفال و إعدادهم للقيام بوظائفهم في المجتمع، إذ أنّ الأطفال الذين يولدون خارج نطاق الأسرة يعدون أطفال غير شرعيين بينما الأطفال الذين يولدون داخلها فهم أطفال مقبولون من طرف المجتمع [1].

ثالثًا. الوظيفة الاقتصادية:

حيث كانت الأسرة في الماضي وحدة اقتصادية مكتفية ذاتيًا لأنها تقوم باستهلاك ما تنتجه، و بالتالي لم تكن هناك حاجة للبنوك أو المصانع أو المتاجر [2]، و نلاحظ أن الأسرة الريفية لا تزال أسرة ممتدة أو مركبة تشمل أكثر من جيلين و تمارس كثيراً من جوانب الوظيفة الاقتصادية فلا تزال العمليات الإنتاجية تتمّ في البيت و تقوم الأسرة بإنتاج عدد كبير من السّلع في داخل الأسرة، كما تشرف على التوزيع و الاستهلاك و التبادل الداخلي، و لا تستهلك عادة إلاّ بقدر إنتاجها.

و قد قضى الإنتاج الصناعي الكبير على وظيفة الأسرة الاقتصادية في المجتمعات الحضرية، و تحوّلت الأسرة فيها إلى وحدات استهلاكية خالصة بدرجة كبيرة بعد أن هيّأ المجتمع منظّمات جديدة تقوم

---

[1]- **مكاك ليلى، المرجع السابق، ص 37-38**
[2]- **سناء الخولي، الأسرة و الحياة العائلية، المرجع السابق، ص 57**

بعمليات الإنتاج الآلي و توفير السّلع و الخدمات بأسعار أقل نسبيا، و لما كانت الصناعة الحديثة تعتمد على الأيدي العاملة المدربة فقد عجزت الأسرة على تزويد أفرادها بقدر ملائم من التدريب المهني يمكنهم من منافسة إنتاج الآلات الحديثة، و هكذا أجبرت الحياة الصناعية الحديثة أفراد الأسرة على السعي للعمل خارج محيط الأسرة [1].

رابعًا. الوظيفة التربوية و التعليمية:

تلعب الأسرة دورا هاما في عملية التنشئة الاجتماعية، فالمجتمع بحاجة ماسة إلى تعلم أفراده للعناصر الأساسية لثقافته حيث تعتبر المحيط الأول الذي يلعب دورا أساسيا في تكوين شخصية الطفل عن طريق التفاعل العائلي الذي يتم بداخلها.

كما تتولى الأسرة تعليم أفرادها القيم و العادات الموروثة عن الأجداد ، و نقل التراث و غرسه في نفوسهم إلاّ أن ذلك تغير مع التطور العلمي و التكنولوجي ، وظهور المدارس و الجامعات التي أصبحت تقوم بتنشئة الأجيال و لكن يبقى هذا من الناحية الخارجية فقط لأن المدارس و الجامعات وجدت لمساعدة الأسرة فقط و تبقى هذه الأخيرة هي التي تعمل على جعل الكائن الإنساني كائن اجتماعي يتكيف مع متطلباته كشخص و متطلباته كفرد في المجتمع [2].

خامسًا. الوظيفة النفسية:

للأسرة روابط نفسية تتجلى في صور الحب و الحنان و التآلف ، و الاهتمام المتبادل ، وهذه الوظيفة تعد بمثابة الحبل القوي الذي يشد أفراد الأسرة بعضهم إلى بعض. و من خلال العلاقة الأولية المبكرة بين الأم والطفل ، يحصل الطفل على حاجته في الرعاية والأمن، فتتحول فيه الأم من أم بيولوجية إلى أم سيكولوجية.

---

[1]- **محمود حسن، المرجع السابق، ص13**
[2]- **مكاك ليلى، المرجع السابق، ص 38**

سادسًا. الوظيفة الاجتماعية:

الأسرة هي الخلية الأولى في بناء المجتمع إذا صلحت صلح المجتمع ، و إذا فسدت فسد المجتمع، و هنا تكمن مهامها الاجتماعية في تربية النشء على المبادئ الاجتماعية والقيم الحضارية، ومكارم الأخلاق و بذلك فهي تساعد الفرد على الاندماج في المجتمع حسب ما تمليه العادات و التقاليد و القوانين .هكذا تعمل الأسرة من اجل أن يبقى الفرد وفيًّا للمجتمع الذي ينتمي إليه ، وينمو داخله نموًا سويًّا . و قد اعتبر الفيلسوف الألماني "**هيجل، Hegel** " أن نهاية الأسرة هو الانحلال ليتحول أعضاؤها أفرادا في المجتمع.

سابعًا. الوظيفة الدّينية:

فالأسرة هي التي تضع قواعد الدين و تفصل أحكامه و فيها يتعلم الأطفال الصغار قواعد الدين و شعائره و أحكامه و مناهجه [1].

إضافة إلى وظيفة جديدة لم تهتم بها التحاليل السوسيولوجية من قبل هي "الوظيفة العاطفية" للأسرة [2].

المبحث الثاني: نظريات الأسرة:

1. الاتجاه المؤسسي:

حيث ينظر إلى الأسرة كمؤسسة تقوم بمهام و وظائف اجتماعية متكافلة مع وظائف مؤسسات انساق بناء المجتمع هذه الرؤية المنهجية تقوم على الأسلوب الوصفي و ليس التحليلي أي وصف وظائف الأسرة و سبل إنجازها، ليس هذا فحسب بل إنه يحدد كيف تتأسس مؤسسة الأسرة في المجتمع الإنساني [3]. أبرز

---

[1]- أحمد بيري الوحيشي، الأسرة و الزواج، مقدمة في علم الاجتماع العائلي، بدون طبعة، دار الجماهيرية العظمى للنشر و التوزيع، ب ط، 1998 ، ص 72

[2]- عبد العزيز خواجة، المرجع السابق، ص 134

[3]- معن خليل عمر، علم اجتماع الأسرة ، دار الشروق للنشر و التوزيع، ط 1، عمان،2000 ص 24

ممثليه هذا النهج كارل زيمرمان صاحب النظرية الدائرية الذي استخدم فيها المنهج التاريخي لكي يتعرف على مراحل تطور الأسرة في المجتمع الغربي، فنزل إلى عمق التاريخ الأسري مبتدأ من عام 1500 قبل الميلاد مستقرًا الأسرة في حضارات مختلفة كاليونانية و الرومانية و العصور الوسطى، حيث توصل إلى وضع تصنيف أسري يأخذ الأنواع الآتية: الأسرة الوكيلة، الأسرة البيتية و الأسرة النواة [1].

2. الاتجاه الوظيفي:

تعتبر النظرية الوظيفية من أكثر النظريات انتشارًا في دراسة الأسرة و خاصة تلك التي ركزت على علاقة الأسرة بغيرها من المؤسسات الاجتماعية الأخرى الموجودة في المجتمع، و على الوظائف التي تؤديها الأسرة لأفرادها أو للمجتمع الكبير ككل. و لعل أحد الأسباب كثرة استعمالها في دراسات الأسرة يرجع إلى مرونتها و قابليتها لتفسير الكثير من الظواهر الاجتماعية [2].

تركز النظرية على إبراز بناء الأسرة و وظائفها[...] و أهم سمات هذه النظرية في تشبيه المجتمع بالكائن الحي من حيث التركيب و الأداء الوظيفي، باعتبار أن الكائن الحي يتكون من أعضاء و لكل عضو وظيفة يقوم بها. و يمكننا تعريف الوظيفة بأنها الدور الذي يقوم به الجزء (العضو) من أجل استمرارية الكل (الكائن الحي) [3].

3. نظرية التفاعل الرمزي:

تعد نظرية التفاعل الرمزي من أكثر النظريات الاجتماعية استخداما في الدراسات الأسرية. إن هذه النظرية التي بدأ استخدامها في أواخر القرن التاسع عشر و أوائل القرن العشرين قد سميت كذلك بالنظرية السلوكية الاجتماعية. و يحاول إتباع النظرية الرمزية عند دراستهم للأسرة الكشف عن العمليات الاجتماعية التي تقوم داخل الأسرة، فيحاولون استقصاء أفعال محسوسة للأشخاص، و السلوك المنظور،

---

[1]- المرجع نفسه ص 24
[2]- أحمد بيري الوحيشي،المرجع السابق، ص 362-363
[3]- المرجع نفسه، ص 364

الذي يمكن ملاحظته و كذلك اتجاهات أفراد الأسرة نحو بعضهم البعض و توقعاتهم منهم و بذلك فهم يركزون على أهمية المعاني، و تعريفات المواقف و الرموز و التفسيرات، و ذلك لأن التفاعل بين بني الإنسان وفقا لهذه النظرية يتم عن طريق استخدام الرموز و تفسيرها و التحقق من معاني أفعال الآخرين [1].

يرى هربرت ميد أن البشر يعتمدون على رموز و تفاهمات و مواضعات مشتركة في تفاعلهم بعضهم مع بعض، و لأن البشر يعيشون في عالم زاخر بالرموز، فإن جميع عمليات التفاعل بين الأفراد تشتمل على تبادل الرموز [2].

4. الاتجاه التطوري:

برز هذا المنهج في العقد الثالث من هذا القرن موضحاً الأسرة كخلية اجتماعية مهمتها إنماء الطفل نفسيا و اجتماعيا و تنظيم اقتصاد المنزل، و من خلال هاتين المهمتين صور أيضاً المراحل التطورية التي تمر منها الأسرة بدأً بمرحلة زواج الخطيبين و انتهاء بوفاة أحدهما أو كلاهما.

5. نظرية الصراع:

يعد هذا النهج جديدا في أدبيات حقل الأسرة على الرغم من تناول فريديريك إنجلز عام 1902 لموضوع رأسملة الأسرة كمصدر ظلم المرأة و الجور عليها ، حيث برز بشكل قوي و فعال في علم الاجتماع الولايات المتحدة الأمريكية مع تفاقم أحداث و مشكلات سادت العقد السادس من هذا القرن، إذ ظهرت فيه حركات نسوية و تنظيمات للدفاع عن حقوقها مطالبين بتغير ميزان القوي داخل الأسرة الأمريكية بعدما كان ينظر إلى أي طرح يعبر عن النهج الصراعي بأنه يمثل رؤية مريضة و غير سوية لأنه يطالب بتقويض البناء الأسري و يهدد استقرارها ، لكنه في الواقع يرى الخلافات و النزاعات الأسرية بين (الزوج و الزوجة و الأب و الأبناء و الأم و الأبناء أو بين الأبناء أنفسهم) أمر طبيعي ناتج عن عدم

---

[1]- أحمد بيري الوحيشي،المرجع السابق ، ص 407

[2]- أنتوني غيدنز، علم الاجتماع ، ترجمة د فايز الصياغ، مركز دراسات الوحدة العربية للتوزيع، ط 1، بيروت، 2005، ص 76

المساواة في الحقوق و الواجبات و من هذه الرؤية أطلق تعميمه المشهور لا توجد أسرة خالية من نزاعات و خلافات أسرية و حتى إذا حصلت فترة تغيب فيها المشاحنات الأسرية فإن ذلك لا يعبر عن سعادة و هناء الأسرة بل إنها حالة طارئة و مؤقتة تعقبها مشاحنات قادمة[1].و يمكن القول أن أهم فروض نظرية الصراع هو فرضها بأن الصراع في كل نماذج التفاعل الانسانية شيء طبيعي و محتوم و لا يمكن تجنبه. و بالتالي فهو لا يمثل أمرًا غير طبيعي أو غير جيد و مخرب للنظام الاجتماعي و للعلاقات الانسانية أي أنه أمر متوقع في كل النظم الاجتماعية و في كل أنماط التفاعل الاجتماعي، بما في ذلك النظم الأسرية و العلاقات و التفاعلات الزوجية[2].

المبحث الثالث: الأسرة الجزائريــة و تطورهـا :

عرفت الأسرة العربية عموماً ثباتا واستقرارا منذ عدة قرون، إلا أن هذه العلاقات تشهد تغيرات سريعا في وقتنا الحاضر، كذا هو الحال بالأسرة الجزائرية التي مرت بمراحل متعددة في نشأتها وتطورها، ومنه تأثرت وظيفتها في ظل هذه التغيرات والتطورات.

أ. الأسرة الجزائرية في مرحلة الاستعمار الفرنسي:

لقد عرفت الأسرة الجزائرية اهتزازات كبيرة في زمن الاستعمار على غرار مصادرة الأراضي التي أدت إلى تفكيك الأسرة الجزائرية، والذي بدوره نتج عليه تشرد أفراد الأسرة وانتشار الفقر.

كما كان للثورة الجزائرية دورا حاسما في تغيير بعض ملامح النظام الأسرة " فالأسرة بدأت تتجدد نتيجة المستجدات الاقتصادية و الثقافية و الاجتماعية المفروضة من طرف المستعمر، كما كانت الثورة عاملاً

[1]- معن خليل عمر، المرجع السابق، ص 44-45
[2]- أحمد بيري الوحيشي، المرجع السابق ، ص 398

ديناميكياً في تغيير وضعية الأسرة الجزائرية، ذلك بالتعديل الحاصل في الأدوار و المكانات و خاصة مكانة المرأة، بحيث خرجت من المنزل، و أصبحت تشارك في العمل الثوري[1].

ب. الأسرة الجزائرية بعد الاستقلال:

بعد الاستقلال و نتيجة للتحطيم التدريجي التي تعرضت له البنية الأسرة التقليدية، برز إلى واقع المجتمع الجزائري بناءًا عائليا له بعض مميزات البناء القديم، و تتمثل هذه الخصائص الانقسام و المشاعية الملكية إضافة إلى النمط الموسع القائم على الخط الأبوي، و على الساحة السياسية تبنت الدولة الجزائرية بعد الاستقلال إنجاز المشاريع التنموية الاقتصادية، و تحسين المستوى المعيشي، و توسيع قاعدة التعليم، و هكذا أصبحت الأسرة كبنية تقليدية تتعرض لبعض التغيير نتيجة لتوسع نطاق الخدمات و سيطرة الدولة على مختلف مرافق الحياة و اتساع نطاق الوظائف البيروقراطية مما أدى بالدولة الجديدة إلى سلب مهام كثيرة كانت في الماضي القريب من اختصاص الأسرة. و كان للحركة السكانية التي شهدتها الجزائر منذ 1962 و حتى الآن و التي كانت باتجاه واحد من الأرياف إلى المدن طلبا للأجر المنتظم و العمل الصناعي في المدينة، و نتج عن هذه الحركة بالطبع تغييرا في محل الإقامة و بالتالي تغييرا في طريقة الحياة، فكان لكل هذه العوامل آثار على البنية العائلية، برزت في استقلال الأفراد و تأكيدهم على الحرية الفردية، و حق الاختيار بعيدا عن تدخل الأسرة، و على مستوى الأسرة بدأت تتقلص نحو أسرة نواة[2].

- **خصائص و مميزات عامة عن الأسرة الجزائرية التقليدية:**

تمتاز الأسرة الجزائرية بعدة خصائص نذكر منها:

- الأسرة الجزائرية هي عائلة موسعة، حيث تعيش في أحضانها عدة عائلات زواجيه تحت سقف واحد تسمى (بالدار الكبيرة).

---

[1]- **بويعلي وسيلة ، زواج الأقارب في المجتمع الحضري و انعكاساته على الأسرة ، رسالة ماجستير في علم اجتماع العائلة، جامعة باتنة ، 2005 ، ص 106**

[2]- **بويعلي وسيلة، المرجع السابق، ص 107**

- ✓ يعتبر فيها الأب أو الجد هو القائد الروحي للجماعة الأسرية وينظم فيها أمور تسيير الجماعة و له مرتبة خاصة تسمح له بالحفاظ غالبا على مركزه في الأسرة بواسطة نظام محكم على تماسك الجماعة المنزلية، وفيها النسب ذكوري، والانتماء أبوي، والمرأة يبقى إنتماءها لأبيها.
- ✓ تنتقل المسؤولية من الأب إلى الابن الأكبر حين غيابه وهذا للحفاظ على التوازن داخل الأسرة .
- ✓ إن العائلة الجزائرية هي عائلة متماسكة أي أن الأب له المسؤولية على كامل الأفراد فالبنات لا يتركن البيت إلا عند زواجهن، والأبناء لا يتركون البيت الكبير.
- ✓ العائلة مصطلح يفهم منه تماسك الجماعة الأسرية الجزائرية التي يصفها بن خلدون بالعصبية، فبواسطتها تطورت القبائل نحو السلطة وتعني بها الشرف الأكبر، والبركة الكبرى، الذي يوضح الموقع الروحي، والاقتصادي للجماعة في الأسرة[1].

➢ **خصائص و مميزات عامة عن الأسرة الجزائرية المعاصرة:**

إن التطور الأسري في الجزائر يندرج ضمن التنمية العامة التي يحاول المجتمع تحقيقها في مختلف النواحي الاقتصادية، الثقافية و الاجتماعية[2]. تتميز الأسرة الجزائرية المعاصرة (الحضرية) بتقلص حجمها، من النظام الأسري الممتد إلى النظام الأسري النّووي، فبعد أن كانت الأسرة الجزائرية في طابعا العام أسرة ممتدة، أصبحت اليوم تتسم بصغر الحجم[3].

"..رغم التحولات الاجتماعية لما بعد الاستقلال، فإن الثقافة الأبوية لازالت موجودة ظاهرة في النسب، في الشرف و الحرمة، في حين أن هذه الثقافة لم تصبح كما كانت و لم تصبح نهاية في حد ذاتها،

---

[1]- **مصطفى بوتفنوشت، العائلة الجزائرية ، المرجع السابق، ص 37-38.**
[2]- **المرجع نفسه، ص 28**
[3]- **محمد السويدي ، مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري، تحليل سوسيولوجي لأهم مظاهر التغيير في المجتمع الجزائري المعاصر ،دار الديوان للمطبوعات الجامعية ، ب ط، الجزائر ، 1999، ص 88**

و أن التغيير الكبير في هذا المجال هو تربع الأم على عرش العائلة على حساب الأب في تسييره اليومي للشؤون العامة"[1]

فيمكن القول أن الأسرة الجزائرية في العقود الأخيرة عرفت تحولات كبيرة على الأصعدة الاجتماعية و الثقافية و السياسية و الاقتصادية، مما أثّر على البناء الاجتماعي، و أن التغيرات التي حدثت كان سببها الرئيسي الاستعمار الفرنسي، التمدن، التصنيع و العولمة.

المبحث الرابع : التنشئة الاجتماعية

1. تعريف عملية التنشئة الاجتماعية:

يعتبر موضوع التنشئة الاجتماعية من المواضيع الهامة التي تناولها الباحثون في مجال علم النفس والاجتماع سواء من ناحية المضامين أو الأساليب ، نظراً لأهمية هذا الموضوع في إعداد الأجيال القادمة التي ستحافظ على استمرارية وجود المجتمع مادياً ومعنوياً، و قد تعددت تعريفها نذكر منها:

التنشئة الاجتماعية هي العملية التي يتم بها انتقال الثقافة من جيل إلى جيل، و الطريقة التي يتم بها تشكيل الأفراد منذ طفولتهن حتى يمكنهم المعيشة في مجتمع ذي ثقافة معينة، و يدخل في ذلك ما يلقنه الآباء و المدرسة و المجتمع للأفراد من لغة و دين و تقاليد و قيم و معلومات و مهارات...إلخ[2].

و ورد في معجم **'غرافيتش –Grawitz'** " بأنها العملية التي من خلالها يتم إدماج الفرد في مجتمع معين، فيستوعبون القيم و المعايير و القواعد الرمزية، و يعملون على تعلم الثقافة بشكل عام، بفضل

[1]- **ADDI Lahouari, les mutations de la société algérienne, famille et lien social dans l'Algérie contemporaine, éd la découverte, Paris, 1999 , p 12**

[2]- **أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، 1995، ص 386**

العائلة و المدرسة، و كذا اللغة و البيئة[..] فهي تمثل التعلم و التوافق، و قد استخدمت بمعنى تحويل الملكية الفردية إلى ملكية جماعية (وسائل الإنتاج) في النظام الاشتراكي"[1].

كما يمكن تعريفها بأنها عملية دمج الفرد داخل المجتمع و دمج المجتمع في الفرد، و هي عملية تعلم من حيث أصولها تؤهل الفرد للتكيف مع معايير الجماعة و تصوراتها و عاداتها و قيمها وفق المحيط العام[2].

و تعرفها **'مارغريت ميد – Margaret Mead'** " بأنها العملية الثقافية و الطريقة التي يتحول بها كل طفل حديث الولادة

إلى عضو كامل في مجتمع بشري معين. و هي عملية تقوم على التفاعل بين الفرد و المجتمع، يصبح الفرد في نهايتها مستهلكا و منتجا لثقافة مجتمعه و هذه العملية ليست مؤقتة بل مستمرة لأن الفرد يجد نفسه دائما أمام مواقف جديدة و أدوار و جماعات جديدة تتطلب سلوكيات جديدة[3].

2. أهداف التنشئة الاجتماعية:

تسعى التنشئة الاجتماعية إلى تحقيق الأهداف التالية:

1. **ضبط السلوك**: فمن خلال عملية التنشئة الاجتماعية يتم تدريب الطفل على التحكم في سلوكه و ضبط تصرفاته بداية باللغة و العادات و التقاليد، وصولا إلى كل ما يتعلق بأساليب توجيه الحاجات النفسية و الاجتماعية و القدرة على توقع سلوك آخر.

2. **اكتساب المعايير الاجتماعية**: لكل مجتمع مجموع قيم اجتماعية و نظم ثقافية يحاول إكسابها لأفراده من خلال التنشئة الاجتماعية التي تغرس اتجاهات معينة و تحدد المعايير الواجب اتباعها.

---

[1] -Madeleine GRAWITZ, Lexique des sciences sociales, 7ème ed, ed Dallez, France, 1999, P 376

[2]- عبد العزيز خواجة، التنشئة الاجتماعية، المرجع السابق، ص 16

[3]- عدنان إبراهيم احمد، محمد المهدي الشافعي، علم الاجتماع التربوي والأنساق الاجتماعية، منشورات جامعة سبها،ط 1، ليبيا، 2001، ص137

3. **تعلم الأدوار الاجتماعية**: ليحافظ المجتمع على ذاته يضع تنظيما محددا للأدوار و المراكز الاجتماعية التي يشغلها كل فرد في جماعة معينة، و تختلف هذه المراكز حسب السن و المهنة و ثقافة المجتمع.

4. **اكتساب المعرفة**: و هي تشمل خاصة أساليب التعامل و التفكير الخاصة بالجماعة أو المجتمع.

5. **اكتساب العناصر الثقافية**: من خلال تثبيت العناصر الثقافية في شخصية الفرد و تحديد نمط شخصيته و الفوارق الفردية و الاجتماعية.

6. **تحويل الطفل من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي**: و ذلك من خلال مجموع الصفات الاجتماعية داخل المجتمع، و من فرد يعتمد على الآخرين إلى فرد قادر على تحمل المسؤوليات. كما تختلف الأهداف حسب المجتمعات و الثقافات[1].

3. عناصر عملية التنشئة الاجتماعية:

أ. **الفرد**: يعد الفرد أساس البناء الاجتماعي،كما هو موضوع التنشئة الاجتماعية، حيث يولد وهو طفل حامل لاستعدادات فطرية بيولوجية و وراثية تتجاوب مع المؤثرات الاجتماعية، وتساعد في عملية التفاعل اللغة التي تنمي قدراته المعرفية وتوسع علاقاته الاجتماعية.

ب. **التفاعل الاجتماعي**: عبارة عن علاقات اجتماعية ديناميكية تحدث بين فرد وأخر أو بين فرد وجماعة أو بين جماعة وأخرى وأساس هذا التفاعل هو الفعل الاجتماعي الذي ينقسم إلى ثلاثة أنواع: منطقي معتمدا على العقل و عاطفي معتمدا على الأحاسيس والمشاعر و تقليدي معتمدا على العادات والتقاليد.

[1]- عبد العزيز خواجة، التنشئة الاجتماعية، المرجع السابق، ص 30-31

ت. **البيئة الاجتماعية:** فهي التي تتولى عملية التنشئة الاجتماعية عبر مؤسساتها الاجتماعية كالأسرة والمدرسة وجماعة الرفاق والمسجد... الخ، حيث تهتم بتنمية أفكار الفرد وشخصيته وسلوكاته بما يتوافق ويتماشى مع عادات وتقاليد المجتمع كما تسهل عليه التكيف و الاندماج فيه.

4. نظريات التنشئة الاجتماعية:

سنتناول فيما يلي أبرز النظريات التي حاولت تفسير عملية التنشئة الاجتماعية

1.4. نظرية التحليل النفسي 'سيغموند فرويد':

أن التنشئة الاجتماعية تبدأ من الأنا الأعلى الذي يتطور عند الطفل بتقمصه دور احد والديه من اجل التخلص من عقدة' أديب' عند الذكور و'الكترا 'عند الإناث،حيث يتألف عنده الجهاز النفسي للفرد من الأنا الأعلى المتمثل في الجانب الاجتماعي والثقافي و الهوا المتمثل في الحالة الفطرية من غرائز جنسية وعاطفية عدوانية والانا الذي يعمل في التوازن بينهما، وعن طريق الاحتكاك والتقمص والذي يعرفه بالعملية النفسية التي يتمثل من خلالها الفرد مظهرا من مظاهر الأخر أو خاصة من خواصه أو صفة منه، يحدث التفاعل بين الاجتماعي والفطري و عند حضور الأنا تتم عملية التنشئة الاجتماعية والتي تمر عبر مراحل نمو الطفل من الولادة حيث يكتسب الطفل القيم والمعايير من طرف والديه عن الثواب والعقاب والتقليد بما يتناسب مع المجتمع والعقل إلى مرحلة ما بعد البلوغ[1].

2.4. النظرية السوسيولوجية:

أ. **إيميل دوركايم:** يعرف عملية التنشئة الاجتماعية بأنها عملية توجيه السلوك حسب القواعد الأخلاقية، ويرى بأنها عملية تعتمد على الايحاء لتعويض الطفل على الحياة الجماعية والتدريب على النظام واحترامه، وقد رفض دوركايم تثبيت السلوك في فترة الطفولة الأولى داخل الأسرة وبين في كتابه"قواعد المنهج

[1]- عبد العزيز خواجة، المرجع السابق، ص 74

في علم الاجتماع" أن عملية التنشئة الاجتماعية تبدأ من السنوات الأولى، وتعبر عن قهر الجماعة للسلوك الشخصي، فالتنشئة الاجتماعية عملية تهدف إلى توجيه السلوك وتغييره حسب العقل الجماعي للجماعة وهذا السلوك يختلف في طور ما قبل المدرسة عن طور المدرسة ، عن طور الرشد، ويقول دوركايم أن" عملية التنشئة كلها تستهدف أن تفرض على الطفل أساليب الفكر والعاطفة والفعل، فمنذ السنوات الأولى من الميلاد يفرض عليه أن يأكل ويشرب وينام على نحو معين وفي مواعيد منظمة، وتقهر نعاته ورغباته ويجبر على تعلم النظافة والهدوء والطاعة، و أخيرا يضغط عليه ليتعلم بعض قواعد السلوك الأخلاقي في التعامل مع الأخرين[1] .

ب. تشارلز كولي: يعتبر كولي من علماء الاجتماع الذين حاولوا التوفيق بين الاتجاه الاجتماعي والاتجاه النفسي في تفسيرهم لعملية التنشئة الاجتماعية من خلال تفسيره للعلاقة بين الفرد والمجتمع، كما كانت آراؤه بمثابة رد فعل في سياق التيار الفكري لعلماء الاجتماع الأمريكيين ضد مدرسة التحليل النفسي، وفي هذا السياق يقول:"إن تصورنا الفرد منعزل هو تجريد لا تعرف به الخبرة، يعادله في ذلك تصورنا للمجتمع على أنه شيء مختلف عن الأفراد[..] ويرجع ذلك إلى أن الفرد والمجتمع لا يشيران إلى ظواهر منفصلة ولكنهما يمثلان ببساطة المظهران الجمعي والتوزيعي لشيء واحد"[2]، وبهذا التأكيد رفض آراء المدرسة الفرويدية التي ترى أن العوامل البيولوجية هي العوامل الحاسمة في تفسير دافع الشخص ومن ثم رفض الاتجاه النفسي الذي يدرس الفرد بمعزل عن الجماعة. وفي كلامه عن تنشئة الفرد يشير دائما إلى الجماعات الأولية Primary groups وتأثيرها على التنشئة من حيث أنها تقوم على علاقات المواجهة المباشرة والتعاون الواضح والصراع وحرية التعبير عن الشخصية والعواطف .وقد أكد كولي بصفة خاصة على الأسرة وجماعة اللعب والحوار، بل هو يؤكد أن الجماعات الأولية أو ما يسمى غير الرسمية Informal ظاهرة

---

[1]- نيقولا تيماشيف، نظرية علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، ط2، الأزاريطة، 1989، ص 130

[2]- المرجع نفسه، ص 154

عامة في كافة التنظيمات الاجتماعية، كولي وإن لم يصطلح تسمية عملية التربية بالتنشئة الاجتماعية، إلا أنه أشار إليها بعملية تشكيل الطبيعة الانسانية، بالإضافة أنه لم يحصرها في مرحلة عمرية خاصة بل ربطها بتفاعل الفرد مع مختلف الجماعات الأولية: أسرة، مدرسة، جماعة الرفاق، وأن اتجاهه نفسي في علم الاجتماع من خلال كتاباته المتعددة مثل " Human nature and social order - الطبيعة الانسانية والنظام الاجتماعي" الذي جعله ينظر إلى الوراثة والبيئة على أنهما كل متكامل ، حيث ساد تساؤل حول أولوية الوراثة أو البيئة في تحديد السلوك الانساني :أي أيهما يؤثر على الشخصية؟ وفي هذا السياق يقول: " حيثما تبدأ حياتنا الفردية نلاحظ أن العاملين المؤثرين في التاريخ هما الوراثة والعامل الاجتماعي يتجسمان في هذا الموقف الجديد فيبدوان كقوى منفصلة ولكن الوراثة والبيئة هما في حقيقة الأمر تجريديان لأن الشيء الواقعي يمثل عملية كلية[1].

3.4. نظرية التعلم الاجتماعي:

التعلم كما يعرفه **' جيتس – Getes'** عبارة عن عملية التي يكتسب من خلالها الفرد طرق إشباع دوافعه أو يصل عن طريقها إلى تحقيق أهدافه[2]. و نظرية التعلم نوعان:

أ. **النظريات السلوكية:**

- **نظرية التعلم بالمحاولة والخطأ (الاختبار والربط) لثورندايك:** والتي ترى أن الكائن يرتاح للحركة الناجحة فيثبتها، ولا يرتاح للحركة الفاشلة مما يحذفها، فالكائن حسب هذه النظرية يتعلم بالمحاولات التي تؤدي إلى النجاح أو الفشل لا بالتفكير.
- **نظرية الاشراط الإجرائي لسكينر:** الذي يرى أن تقديم المعزز يثبت السلوك ويضمن استمراريته، والارتباط بين سلوك معين ومعززه يسمى إشراطا إجرائيا.

---

[1]- المرجع السابق، ص 125
[2]- عبد العزيز خواجة، المرجع السابق، ص 73

- **نظرية التعلم الشرطي لبافلوف**:الذي يرى أن التعلم ظاهرة فيزيولوجية تنبني على أساس ارتباط شرطي بين المثير الاصطناعي والاستجابة الطبيعية عن طريق الجهاز العصبي[1].

ب. **النظريات المجالية**: والتي تضم:

- **النظرية المعرفية لتولمان**: الذي يرى أن أساس التعلم قصدي ويرتبط بعناصر المجال التي تنقسم إلى عوامل مسببة في السلوك (مثيرات، حوافز، خبرات، وراثة، نضج...) وعوامل تتعلق بالسلوك في حد ذاته(الاتجاه، الكمية، الكفاية) وعوامل وسيطة بينهما (قدرات عقلية، عمليات نفسية) والتي سماها بالطاقة الكامنة.

- **نظرية الجشطالت لكوهلر و كوفكا**: التي ترى أن الفرد يتعلم عن طريق الاستبصار و الإدراك وذلك بتنظيم أجزاء الموقف وربط العلاقات بينها ثم الوصول إلى الهدف المطلوب، ولا يتعلم الفرد بالعادة وإنما بالعلاقة بين الوسيلة والغاية[2].

4.4. نظرية دوركايم: يعتبر دوركايم التنشئة الاجتماعية عملية انتقال الفرد من حالة اللااجتماعية البيولوجية إلى حالته الاجتماعية الثقافية، فوظيفة التنشئة تتمثل إزاحة الجانب البيولوجي من تركيبة الطفل لصالح النماذج الخاضعة للسلوك الاجتماعي المنظم[3].

5.4. نظرية الدور الاجتماعي: تنطلق هذه النظرية من مفاهيم الموقف و الدور في تحليل عملية التنشئة الاجتماعية، فالحياة الاجتماعية مكونة من مجموعة الأدوار التي تتفاعل من خلالها الأفراد، و تتوزع هذه الأدوار إلى:

- **أدوار الحياة**: دور الطفل، المراهق، الراشد.
- **الأدوار المفروضة**: الجنس، الطبقة..

---

[1]- المرجع السابق، ص 73
[2]- المرجع نفسه، 74
[3]- المرجع نفسه، ص 77

– **الأدوار المكتسبة**: داخل العمل، المهنة، الثقافة..[1].

6.4. نظرية التفاعلية الرمزية: تؤكد هذه النظرية على أن التنشئة الاجتماعية عملية أكثر دينامكية وبصورة تسمح للناس لان يطوروا قدراتهم على التفكير وان تتطور بطرق متنوعة، حيث الناس يتعلمون الرموز والمعاني من خلال التفاعل الاجتماعي ومنهم من يستجيب لتلك المعاني والرموز بطريقة فكرية ومن خلالها أيضا يمكن فهم الماضي والمستقبل وبذلك أيضا يمكن فهم تصورات الآخرين ووجهة نظرهم وهذا ما يفهم في التفاعلية الرمزية بأخذ دور الأخر.

5. مؤسسات التنشئة الاجتماعية: نجد منها:

– **الأسرة**: هي مؤسسة اجتماعية تضم زوجين وأطفالهما و بعض ذويهما أحيانا يعيشون عيشة مشتركة واحدة و يتفاعلون معا وفقا لادوار اجتماعية محددة ويتعاونون اقتصاديا ويحملون نمطا ثقافيا واحدا وعاما يتميزون به ويقمون بتطويره والمحافظة عليه[2].

– **المدرسة**: نظام متكامل يتألف من مجموعة عناصر محددة ومتفاعلة فيما بينها، له جملة ادوار اجتماعية ووظائف محددة في إطار الحياة الاجتماعية[3] .

– **وسائل الإعلام**: تعرف بأنها أسلوب من أساليب الاتصال الجمعي عن طريق وسائله المختلفة يمكن الوصول إلى أهدافه، ومن أهم خصائصه انه ذو اتجاه واحد، إذ ناذرا ما يفسح المجال للفرد كي يرد عليه وانه يتفقد روح الألفة التي تسود بين شخصين وأخر لأنه يخاطب متلقيا افتراضيا وانه يستجيب للبيئة التي يعمل فيها ويربط فعالياته بما يقدمه من حقائق وأحداث كما هي[4].

---

[1]- المرجع السابق، ص 78
[2]- عدنان إبراهيم احمد، محمد المهدي الشافعي، المرجع السابق، ص 185
[3]- المرجع نفسه ص 173
[4]- عدنان إبراهيم احمد، محمد المهدي الشافعي، المرجع السابق، ص 262

6. التنشئة الاجتماعية في المجتمع الجزائري:

مر المجتمع الجزائري بعدة مراحل أثرت في البنى التحتية التي يرتكز عليها، شانه كشأن المجتمعات الأخرى التي أصابها التغيير في جميع ميادين الحياة ، فبعد استقلال الجزائر كان التوجه إلى إنشاء مجتمع جديد من خلال دفع بعض القطاعات مثل القطاع التربوي والاقتصادي والحضري والسياسي إلى التحول والتطور وفقا لما هي عليه باقي الدول في العالم، وهذا ما اثر على ثقافة المجتمع وتنظيماته فأصبح المجتمع الجزائري مجتمع حضري حيث أغلبية سكانه أصبحوا يتمركزون في المدن، هذا ما اثر على تكوين العائلة حيث انتقل هذا التنظيم من عائلة كبيرة أو ما يسمى بالأسرة الممتدة إلى أسرة صغيرة أو نووية، كانت العائلة تحتوي على عدد كبير من الأفراد بما فيهم الأعمام والأخوال يتزعمهم الجد بمساعدة الابن الأكبر أو الجدة أثناء غيابهما وتتميز بإنتاجها تعتمد أساسا على الزراعة وتربية المواشي وهذا بمشاركة جميع أفراد العائلة بما فيهم الأطفال ولهذا كان الزواج في سن مبكرة لكلا الجنسين، لتتحول إلى أسرة نووية تحتوي على الأب والأم وعدد محدود من الأطفال فقط، حيث أصبحت المرأة في غالب الأحيان متعلمة هذا ما ساعدها في العمل خارج البيت والمشاركة في تسيير بعض الأمور إلى جانب الرجل منها تنشئة الأطفال، أصبحت ميادين العمل تتمثل في الصناعة والإدارة والتجارة كما أصبح الأطفال يدخلون المدارس والجامعات وهذا ما زاد في المستوى التعليمي والثقافي لأفرادها وبالتالي تأخير سن الزواج و من جهة الحصول على منصب عمل كإطار في الدولة، وما يميز هذه الأسرة الحديثة هو الاستهلاك بما فيه اللباس الذي به يتم تحديد الانتماء الطبقي والاجتماعي والمستوى المعيشي للأسرة وعليه يبنى تقريبا كل شيء مثل العلاقات الاجتماعية مثل الزواج ، ميدان العمل ، المنطقة السكنية... الخ، كما يغلب على هذه الأسرة النزعة الفردانية والحرية في اخذ القرارات وطريقة عيش أفرادها وهذا لكلا الجنسين الذكور والإناث، بعدما كانت المرأة ليس لديها الحق في مواصلتها لدراسة واختيارها للزواج... الخ .وتعتبر فئة الشباب أكثر عرضة لهذا

التغير كما يقول **'مصطفى بوتفنوشت'** " ديناميكية التحول تكون واضحة خاصة على فئة الشباب، الشباب يعشون في مركز التحولات الاجتماعية، في مجال مكون من ثقافة تقليدية و ثقافة عصرية"[1].

المبحث الخامس: المجتمع الجزائري – دراسة سوسيولوجية

1. الثقافة الجزائرية و صراع القيم:

للمسألة الثقافية في الجزائر قديما و حديثا أهمية بالغة و تأثير في تصور الذات و مدلول الانتماء و تعيين الخاص و المشترك من التراث و النظرة إلى الآخر في العالم المحيط بنا و على الأصح الموجود في مخيلتنا أو في واقع الحال، و يظهر ذلك التأثير حتى بين عامة الناس في تصنيف الماضي الثقافي إلى مقاطع منفصلة يمكن بترها افتراضيا أو نكران وجودها أصلا (التعامل مع التراث ما قبل الفتح الإسلامي و ما بعده تراث ما قبل الاحتلال و تركه الكولونيالية، ملامح البناء الثقافي بعد التحرير"[2]. و ينعكس واقع المسألة الثقافية على سلوكات الأفراد و حركية المجتمع، ذلك أن الثقافة هي المحرك و المحدد لسلوك الأفراد و حركية المجتمع فيقول المفكر مالك بن نبي 'إن سلوك الفرد العربي المسلم الجزائري مشروط بشيء من السلبية أو أنه فاقد للشيء من الإيجابية، أعني لشيء أساسي من الفعالية، بينما كنت أرى في الوقت نفسه أن سلوك الآخرين ينطبع إلى حد كبير بالإيجابية و الفعالية[3].

و بهذا يمكن أن ترتقي المسألة الثقافية في الجزائر من مشكلة إلى حالة أزمة و تتجلى هذه الأزمة في التناقضات التي نلاحظها على سلوك الأفراد و حركية المجتمع، فالقيم و الأفكار و النصوص توحي بأشياء إيجابية في حين نجد السلوكات كما تنطبع بطابع السلبية و العبثية و اللاّمسؤولية، و ينطوي مفهوم

---

[1] - **Mostefa BOUTEFNOUCHET, La Société Algérienne en Transition ,Office des publications Universitaires,Alger,2004, p32.**

[2] **- عبد الله محمد عبد الرحمان، السيد رشاد غنيم، مدخل إلى علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ط1، 2008، ص 39**

[3] **- نفسه، ص 39**

الأزمة على التناقض بين الأمرين أو أكثر و ينطوي كذلك على صراع نفترض به أن يكون على درجة عالية من الشدة.

و تكون الأزمة الثقافية بالغة الشدة كلما ارتبط موضوعها بالقيم التي ترتبط بالمقدس المحرم، و كذلك عندما بتنكر المجتمع نفسه لقيمه و تاريخه، فإنه يدخل في مدار الأزمة الثقافية و التصدع الثقافي و الانهيار الثقافي، و تكمن عوامل الأزمة في وضعية تصدعات الثقافية و الانشطارات و التباينات في القيم التي تؤدي إلى صراعات عنيفة بين القيم، و لهذا فإننا نفترض أن مجتمعنا في مستوياته الجماعية و الفردية يقع في دوامات أزمة ثقافية حادة تهدد مصير الإنسان و وجوده و تنال من هويته، و إننا نفترض من البداية أن عناصر هذه الأزمة تجتمع اليوم أكثر من أي وقت مضى، و نفترض كذلك أن الأزمة الثقافية التي نعيشها اليوم تجسد منظومة أزمات أخلاقية و سياسية و قومية و حضارية و قيمية، و هي تشكل عناصر و مكونات الأزمة العامة التي أطلقنا عليها الأزمة الثقافية[1].

فإذا أردنا أن نعرج قليلا على واقع الثقافة الجزائرية التي هي جزء من لا يتجزأ من الثقافة العربية الإسلامية، فإننا نرى أنها تشكل مسرحا من الفوضى القيمية و ساحة للتناقضات بين القيم و المبادئ، بين الشعارات و الإنجازات، بين التصرفات و الممارسات، و بالتالي فإن المرء الذي ينشأ في مجتمع يحفل بكل هذه التناقضات لابد له أن يواجه معانات القيمية و أن يعيش هذه الفوضى الفكرية التي تستلبه في مستوى الوعي و التصورات[2].

في هذه الازدواجية التي يعيشها الإنسان الجزائري و العربي المسلم عموما تعتبر مشكلة حقيقية التي تعيقه على المبادرة و المبادأة لإنجاز استحقاقاته، و حل مشكلاته المختلفة التي هي في الأصل نتاج طبيعي لهذه الوضعية الثقافية التي تسود في مجتمعه، فالفرد العربي أو الجزائري يشعر بالتمزق لأنه أصبح يعيش بين

---

[1]- جون ركس، مشكلات أساسية في النظرية الاجتماعية ، ترجمة محمد الحسيني و محمد الجوهري، منشأة المعارف، الاسكندرية، د ط، د ت

[2]- محمد السويدي، مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري، المرجع السابق، ص 78

عالمين كلاهما غريب منه، عالم ثقافة تاريخية لا تستطيع أن تضمن إشباع حاجاته المختلفة، و ثقافة تشعره في كل لحظة بنقصه لأنه يستهلك منتجات لا يستطيع أن يجاريها في تطورها و فعاليتها و قدرتها على مواجهة المشكلات اليومية للأفراد و الجماعات و لا يستطيع أن يشارك فيها لأنها تنطلق من رؤى معرفية تناقض منطلقاته المعرفية و العقدية، و هي لا تقبله إلا إذا تخلى عن منطلقاته المعرفية الأصلية.

إن هذا الوضع المتأزم للعالم الثقافي للإنسان و المجتمع الجزائري يعتبر مدخلا واسعا لكل المشكلات التي تعصف بهذا الفرد و هذا المجتمع. إن التناقض و الصراع بين السمات الثقافية التقليدية و الغربية مثل الصراع بين قيم القبيلة و العشيرة، و قيم القانون و الدولة و بين قيم الاستقلالية الفردية، و قيم الاشتراكية الجماعية، و قيم الكرم و قيم التقشف، و قيم احترام الوقت..إلخ، كل هذا يمثل أزمة صراع بين القيم و هذا بدوره يشمل الحركة الداخلية للثقافة.

2. التحول في نظام الزواج بالجزائر:

عرف الزواج حسب "هواري عدي" مظاهر جديدة تبدأ بربط علاقة صداقة بي الإناث و الذكور مخالفين بذلك التعاليم الدينية التي لا تسمح بمثل هذه العلاقات، و التقاليد الاجتماعية التي تنبذ من يقوم بذلك (و هذا حكم لا يمكن تعميمه على كل مكونات المجتمع، بينما هو مظهر من مظاهر التحول التي أصبحت تزاحم التقاليد و الأعراف في مجال الزواج)، و التي يرجع مصدرها إلى محتوى برامج التسلية و الترفيه و مشاهدة القنوات الأجنبية، إذ أدّى ذلك إلى عمليات التقليد في غياب كلي للقيم و المبادئ و الرقابة الأسرية و الاجتماعية لهذه العلاقات التي قد تنتهي بالزواج أو بعلاقات غير شرعية أو بتشويه الصورة الاجتماعية للمعنيين على أقل تقدير، أو حتى تأخر أو عدم الزواج. و تكون هذه العلاقة بين الجنسين من

الحي نفسه أو داخل أماكن العمل و الدراسة كمظهر يفضل فيه الفرد التعرف على الفتاة خارج محيط العائلة، مما قد يزعج الأم التي ترى في الفتاة المختارة أنها ستأخذ منها ابنها و غير مطيعة لها[1].

كما قد تشترط الطبقات الميسورة بعض المقاييس لدراسة عروض الزواج، مثل عمل طالب الزواج، السكن، و في حالة عدم توفر الشرطين فإن الرد يكون بأن الفتاة قد طلب يدها ابن عمها و هو الأولى بها، و ذلك كرد على عدم التساوي في المستوى الاجتماعي، لأن عدم وجود السكن قد يعرض ابنتهم إلى مشاكل مع إخوة الزوج، كما يقلل احتمالات في حالة وفاة الزوج أو الطلاق، و قد تغير المجتمع الجزائري عموما في هذا المجال كثيرا منذ الاستقلال بفعل التحضر و انتقال أغلب السكان إلى العيش في المدن[2].

3. عمل المرأة في الجزائر:

لقد جعلت الثورة التحريرية من عمل المرأة قيمة يتبناها المجتمع و يدافع عنها، لأنها حطمت النظرة التقليدية التي ترى أن المرأة غير قادرة على القيام بأعمال التي يقوم بها الرّجال. و من هنا تنبع القيمة الحقيقية لعمل المرأة الجزائرية اليوم، و هي تؤكد لنا يوما بعد يوم ضرورة خروجها إلى ميدان الشغل و بأعداد تتزايد باستمرار، لأن المرأة الجزائرية بالرغم من المشاكل التي تعترض طريقها ، تقبل على ميادين العمل المختلفة، الإدارية منها و التعليمية، و الطبية و التقنية و الإنتاجية و الحرفية في المصانع و الحقول.

إن المراحل التي مرت بها ثورة البناء و التشييد، قد وفرت للمرأة عوامل الاستمرار في العمل خارج البيت من أجل التنمية الوطنية الشاملة.لكن قضية عمل المرأة لم تحض بالعناية اللاّزمة بعد الاستقلال مباشرة، لقلة الدراسات التي تبرزفعاليتها، و انعكاساتها على مستوى التغيرات الاقتصادية و الاجتماعية، التي تحدث في المجتمع الجزائري. و يرتبط تثمين العمل النسائي بالعمل الرجالي،أو بالحركة العامة للعمل التي تعبر عن استراتيجية الدولة للتنمية. و يتم ذلك تعبئة جميع الإمكانيات الشرية، لأن العمل يعد أهم عنصر

[1] -Lahouari ADDI, les mutation de la société Algerienne, op.cit, P 84-85
[2] - ibid, P 147

أساسي لبناء اقتصادي حر قوي، فإذا كان الاقتصاد يسير على قدمين يتمثلان في الصناعة و الزراعة، فعليه أيضا أن يعمل بيدين يتمثلان في الرجل و المرأة. و ذلك لتمكين المواطن و المواطنة من المساهمة في تنمية المجتمع كل حسب قدراته. و قد اعترضت مسألة خروج المرأة إلى العمل عقبات عديدة، و ما زالت تعترضها إلى اليوم، تتمثل في الحصار العقائدي و الأيديولوجي خاصة النظرة الأسرية، التي ترى في خروج المرأة للعمل تضييعا للأسرة و الأطفال، لذلك بقيت مشاركة المرأة في النشاط الاقتصادي و الاجتماعي ضئيلة بالرغم من اعتراف السلطات بها، و تجسيد هذا المبدأ بواسطة النصوص القانونية التي صدرت إلى حد الآن بهذا الشأن[1].

4. التغير الاجتماعي و العولمة في المجتمع الجزائري:

لقد أصبح مصطلح العولمة من أكثر المفاهيم تداولا و شيوعا في السنوات الأخيرة لما فرضه من تحديات و أفرزه من آثار تسارعت و تزايدت حدتها و تعددت مظاهرها (السياسية، الاقتصادية و الثقافية) و ذلك من خلال تزايد دور المنظمات الدولية و تدفق السلع و الخدمات بين الدول، و كذلك عولمة التجارة الخارجية و عولمة الإعلام و الإنتاج، و ذلك بالانتقال من الصيغة غير المباشرة في العلاقات مع الأطراف إلى الاستثمار المباشر بانفتاح الدول على الاستثمار الأجنبي و خاصة تلك الدول التي أخفقت في تحقيق التنمية المرجوة و عجزها على مواجهة المشاكل الاجتماعية و الاقتصادية التي تعاني منها كالمديونية و الفقر و البطالة و الفساد[2].

أمام التطور التكنولوجي و الهيكلي للمؤسسات المستخدمة و أمام الأزمات الاقتصادية المالية منها و التجارية أحدث انسلاخا عنيفا و مفاجأ عن المبادئ التي كانت سائدة لمدة طويلة في عالم الشغل و التي أصبحت تخضع إلى معايير أكثر صرامة قصد التأقلم مع السياسية الاقتصادية الجديدة القائمة على ما يمكن

[1]- ثريا التجاني،وسائل التغيير الاجتماعي و مؤشراته في الجزائر،شركة دار أمة للطباعة و النشر، ط1، الجزائر، 2003، ص 116-117

[2]- خالد حامد، مدخل إلى علم الاجتماع، جسور للنشر و التوزيع، ط1، الجزائر، 2008، ص164

تسميته باقتصاد السوق كان له أثر بارز بحيث أعيد النظر في سياسة التشغيل و أفرزت عدة نتائج خاصة على العمال إذ أصبح الضحية في كل عملية من عمليات الإصلاح الاقتصادي و المؤسسي و إعادة الهيكلة، فلم يبقى إجراء الفصل أو التسريح يتم في شكل فردي و لأسباب محددة بل أخذ مفهوم الفصل بعدا واسعا أي جماعي ليس بسبب من الأسباب التقليدية، بل لنوع جديد من السبب الاقتصادي و التقني، أي ظهور فكرة جديدة ألا و هي التسريح لأسباب اقتصادية التي من شأنها الاستغناء عن جزء كبير من اليد العاملة و التقليل من عدد العمال الذين لم يعودوا ضروريين، هذا من جهة، و من جهة أخرى، يعتبر نظام العقود محددة المدة وسيلة أمثلها متطلبات النظام الاقتصادي الجديد على المؤسسات الاقتصادية الجزائرية و بها تخلت نسبيا عن صفة ديمومة الشغل، أي عن العمال الدائمين و لم يعد هناك كلام عن وضعية مرتبطة بفكرة عمل مدى الحياة، أي حدوث تراجع عن تقرير الحق في العمل إلى مفهوم جديد يطلق عليه عقد العمل أو العمل بالعقد، خاصة عقد العمل المحدد المدة، و بسوء وضعية التشغيل في المجتمع الجزائري الذي أدى إلى تفاقم درجة البطالة، و من تم إقصاء فئة من المجتمع.

الخلاصـــة:

تعرضنا في هذا الفصل إلى مفهوم الأسرة بكل مفاهيمها و نظرياتها ، ولاشك أن الأسرة هي النواة الأولى في بناء المجتمع ، و على الرغم من أنها وحدة اجتماعية صغيرة إلا أنها أساس وجود المجتمع وأقوى نظمه فهي المهد الحقيقي للطبيعة الإنسانية . فالأسرة تقوم بوظائف عديدة تتصف بالتكامل والتداخل ، يختلف تنظيمها وتوزيع الأدوار فيها حسب معتقدات وتقاليد المجتمع، تعتمد على التفاعل الاجتماعي فيما بين أعضاءها، تغيرت وتطورت مع تحسن ظروف المعيشة بسب التطور الصناعي والتكنولوجي حتى أصبحت عما عليها اليوم كذلك تناولنا التنشئة الاجتماعية و كيف أنها تعتبر العملية المحورية التي يقوم عليها المجتمع، كما تطرقنا إلى المجتمع الجزائري بإيجاز و هو كغيره من المجتمعات العربية يمر بحالة تغير و تحول المستمر، هذا التغيير في محاولة للحاق بركب الحضارة ، تمثل ذلك خصوصا في جوانب مهمة من بينها، العولمة و تكنولوجيات الاتصال بأنواعها المختلفة، و التي جعلت الجزائر مفتوحة بمصرعيها على العالم بأسره، كما أن خروج المرأة للعمل و انفتاحها على العالم الشغل مؤشر من مؤشرات التغيير بالجزائر.

الفصل الثاني

(الإطار الاجتماعي و الثقافي لظاهرة الزواج)

الفصل الثّاني: الإطار الاجتماعي و الثقافي لظاهرة الزواج

تمهيد

المبحث الأول: تعريف الزواج و أشكاله

المبحث الثاني: الاختيار للزواج

المبحث الثالث: نظريات الاختيار الزواجي

المبحث الرابع: مراحل الزواج في الإسلام

الخلاصة

تمهيد:

يعتبر الزواج من بين أهم النظم الاجتماعية و أساس تكوين الأسرة و المجتمع، من خلال تنشئة الأفراد تحت سقف الرابطة الشرعية بين الجنسين و الامتثال للمعايير الاجتماعية و الدينية، و عليه يكون الزواج أصل الأسرة و جوهر تكوينها، فلا يمكن لأي علاقة بين الرجل و المرأة أن تصل إلى قداسة الزواج ما دامت هذه العلاقة لم تخضع لمبادئ و قوانين المجتمع، و لهذا فإن الزواج هو الوسيلة الوحيدة التي تنظم حياة الفرد.

و في هذا المبحث سوف نتطرق إلى نظام الزواج باعتباره ظاهرة اجتماعية و إنسانية وثقافية، بغرض معرفة أشكاله و نظرياته و كيف أنه على أساسها تبنى العلاقات و الروابط الاجتماعية تحدد بذلك الأدوار و المراكز والوظائف الاجتماعية.

المبحث الأوّل: الزّواج و أشكاله

1. تعريف مفهوم الزواج

تعددت التعاريف حول مفهوم الزواج :

أ) التعريف اللغوي:

الزواج ذُكر القرآن، **قال تعالى:** ﴿ **وَ إِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ** ﴾ [1] أي قرنت كل شيعة بمن شاعت أو قرنت بأعمالها، لأنه ليس في الآخرة تزويج.

ثم شاع استعمال لفظ الزواج في اقتران الزوج بزوجته على سبيل الدوام و الاستمرار.

و الزوج يطلق على كلا الزوجين ، فيقال: الرجل زوج المرأة ، و المرأة زوج الرجل، و هذه هي اللغة العالية و بها جاء القرآن الكريم: ﴿ **أُسْكُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُكَ الجَنَّة** ﴾ [2].

و الزواج : إسم من زوّج بالتشديد مثل سلّم سلامًا و كلّمَ كلامًا و يجوز الكسر ذهاباً إلى أنه من باب المفاعلة لأنه لا يكون إلاّ بين إثنين [3] .

و يشير مصطلح الزواج إلى " الاقتران والازدواج وشاع استعماله في اقتران الرجل بالمرأة على سبيل الدوام والاستمرار " [4] .

و الزواج كذلك هو الاقتران و ضمّ الشيء لمثله ، أو تثنية الشيء بآخر من جنسه، و بالرجوع إلى قواميس اللغة العربية ، " زوج الأشياء تزويجاً و زواجاً قرن بعضهما بعض ، و الزواج أي اقتران الزوج بالزوجة أو الذكر و الأنثى " [5].

---

[1]- سورة التكوير ، الآية 7
[2]- سورة البقرة، الآية 35
[3]- أحمد فراج حسين، أحكام الزواج في الشريعة الإسلامية ، الدار الجامعية ، ب ط، بيروت ، 1988، ص 15
[4]- محمد محدة، الخطبة و الزواج، ج1، مطبعة الشهاب، باتنة ، ط2، 1994 ، ص 85
[5]- ابراهيم مصطفى ، المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، ط 3 ، 1960، ص460

فالزواج لفظٌ عربي وضع لاقتران أحد الشيئين بالآخر و ازدواجهما بعد الانفراد و يعرف النكاح لغة بالضم و الجمع و التداخل [1].

ب) – التعريف البيولوجي:

إن الحديث عن التعريف البيولوجي يقودنا حتما إلى إظهار الفرق بين مفهومي الزواج والتزاوج، فالأوّل سوسيولوجي في حين أن التزاوج مفهوم بيولوجي، حيث يعني " الارتباط الذي يجمع بين الرجال و النساء بغرض الإشباع الجنسي أساسًا، و تتميز تلك العلاقات بأنها تكاد تكون مؤقتة في الغالب، و قد تكون عابرة، و هي في العادة لا تفرض أية التزامات أو مسؤوليات على الأطراف الداخلة فيها " [2].

و قد ذهبت سامية حسن الساعاتي إلى أنّ للزواج دور محدد يتمثل في الرغبة على المحافظة على النسل واستمرار النوع الإنساني " فقد ذهب آرسطو إلى أن الأسرة هي أوّل اجتماع تدعو إليه الطبيعة، إذ من الضروري أن يجتمع كائنات لا غنى لأحدهما عن الآخر أي اجتماع الجنسين للتناسل، و ليس هذا الشيء من التحكم، ففي الإنسان كما في الحيوانات الأخرى و النبات نزعة طبيعية و هي أن يخلف بعده موجودًا على صورته" [3].

كما ورد في كتاب لسناء الخولي بعنوان ' الزواج و العلاقات الأسرية' "الزواج من أقدم التنظيمات الاجتماعية، فهو قديم قدم الإنسان نفسه ، و هو أكثر النظم شيوعاً وانتشارًا في تاريخ المجتمعات، فالزواج هو الوسيلة التي يعتمد عليها المجتمع لتنظيم المسائل الجنسية و تحديد مسؤولية التزاوج الجنسي بين البالغين، فجميع المجتمعات تفرض الزواج على غالبية أفرادها حتى و إن كان المجتمع يبيح في كثير من الأحيان علاقات جنسية خارج نطاقه "[4].

---

[1]- محمد عمران فارس ، الزواج العرفي و صور أخرى للزواج الغير رسمي، ـ دار الجامعة الجديدة للنشر، ب ط، الأزاريطة، الاسكندرية ، 2001، ص09

[2]- محمد الجوهري، دراسات الأنثروبولوجية معاصرة، دار المعرفة الجامعية ، ب ط، الاسكندرية، 1993 ، ص 109

[3]- سامية الساعاتي، الاختيار للزواج و التغير الاجتماعي ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، ب ط، بيروت ، 1981 ، ص17

[4]- سناء الخولي، الزواج و العلاقات الأسرية ، دار النهضة للطباعة العربية، ب ط، بيروت ، 1983 ، ص 56

كما أن الزواج من الناحية البيولوجية هو " ضرورة من أجل الحقائق المتعلقة بالتناسل و تربية الأطفال ، أي أنه ينشأ عن طول الفترة التي يعتمد فيها الأطفال على والديهم و حاجاتهم إلى العناية الأبوية و الاستمرار، إنّ ما يميز أو يشكل الزواج البشري هذا الارتباط التزاوج بالأبوة" [1].

و من خلال التعريفات السابقة يمكن القول أن الزواج من الناحية البيولوجية و كذلك الاجتماعية هو معاشرة جنسية بين الرجل و المرأة على أساس عقد شرعي اجتماعي قصد تكوين أسرة، تتبعه مسؤوليات أبوية و تربوية تتولاّها الأسرة الجديدة و التي تكون في الغالب الأحيان مهيئة للقيام بها و تنفيذها ، هذا إضافة إلى كونه (أي الزواج) نظاما إلهيا مقدسا فرضه الله تعالى و جعله في حياة الإنسانية[2].

ج) – التعريف الاصطلاحي:

اختلفت تعريف باختلاف الثقافات و المجتمعات و الحضارات:

حسب مصطفى الخشاب في كتابة " دراسات في علم الاجتماع العائلي" « الزواج هو عبارة عن الرابطة الشرعية بين الجنسين و لا تتم هذه الرابطة إلاّ في الحدود التي يرسمها المجتمع و ووفقًا للمصطلحات التي يقرّها» [3].

و الزواج كما يعرفه "**جورج ميردوك** ، **G. Murdock**" في كتابه' البناء الاجتماعي' " هو مجموعة معقدة من الأحكام و التقاليد التي تنظم العلاقات الاجتماعية والجنسية بين شخصين بالغين المرأة و الرجل ينتميان بالأصل إلى عائلتين مختلفتين"[4].

---

[1]- نخبة من أساتذة قسم علم الاجتماع، المرجع في مصطلحات العلوم الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية ، ب ط، الاسكندرية، بدون تاريخ، ص 23

[2]- مليكة لبديري، الزواج و الشباب الجزائري إلى أين...؟ ،دار المعرفة للنشر، ب ط، الجزائر، 2005، ص 16

[3]- مصطفى الخشاب ، دراسات في علم الاجتماع العائلي، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، ب ط، بيروت، 1981، ص 94

[4]- هوارية شعبان ، المرجعية الثقافية و الطقوس الاحتفالية للزواج بمنطقة تلمسان ، رسالة ماجستير في علم الاجتماع، جامعة تلمسان، 2008 ، ص 4

أما "ويستر مارك" فلقد عرّف الزواج "أنه عبارة عن اتحاد الرجل و المرأة اتحاداً يعترف به المجتمع عن طريق حفل خاص"[1].

أما " أغست كونت" يعرف الزواج بالاستعداد الطبيعي و الاتحاد التلقائي بين الجنسين نتيجة لتفاعل الغريزة مع الميل الطبيعي المزوّد به الكائن الحي كما أنه الأساس الأول في البنيان الاجتماعي [2].

كما عرفه **'سمنر ، Sumner'** " الزواج هو ارتباط قائم بين الرجل و المرأة بهدف التعاون على تحقيق الضرورات المعيشية و الغرض هو إنجاب الأطفال في نطاق اجتماعي طالما كان ارتباطهما قائمًا و مستمرًّا" [3].

كما يعرف الزواج أيضًا بأنه " ظاهرة معقدة ، و يرجع ذلك لاختلاف صوره و عناصره ونظمه بدرجة واضحة تصل إلى درجة التناقض، و بالرغم من بساطة التكنولوجيا في المجتمعات البدائية نلاحظ تعقّد ظاهرة الزواج بها و ينطبق هذا التعريف على كل المجتمعات" [4].

و عليه " فالزواج هو مؤسسة اجتماعية تتميز بقوانين و أحكام و نصوص تختلف باختلاف الثقافات الإنسانية، و هو كذلك ظاهرة اجتماعية معقدة، و هو عبارة عن تزاوج منظم بين الرجال والنساء و هو شرطا أولياً لقيام الأسرة في أغلب المجتمعات في العصر الحديث فهو أساس تكوين ونشوء العائلة" [5].

2. أشكال الزّواج

إن جوهر الزواج واحد في كل المجتمعات البشرية، إذ يتم بين الرجل و المرأة بشكل علني لكي يحصل على الاعتراف الاجتماعي و الديني و الرسمي لكن أشكاله تختلف من مجتمع لآخر تبعًا للقيم

---

[1]- **محمد صفوح الأخرس، تركيب العائلة العربية و وظائفها – دراسة ميدانية لواقع العائلة في سوريا، منشورات وزارة الثقافة و الارشاد القومي، ب ط، 1976 ، ص 174**

[2]- **مصطفى الخشاب ، المرجع السابق، ص 32.**

[3]- **المرجع نفسه، ص 41.**

[4]- **عاطف وصفي، الأنثروبولوجيا الثقافية، دار النهضة العربية ، ب ط، بيروت، 1964، ص 210**

[5]- **أحمد بيري الوحشي، الأسرة و الزواج مقدمة في علم الاجتماع العائلي، المرجع السابق، ص315**

والمعايير المتحكمة في هذه المجتمعات، و هناك شبه إجماع بين الدارسين في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا على أن تاريخ الزواج الإنساني قد طرح أشكالاً أساسية و هي:

الزواج الأحادي (Monogamie) – الزواج التعددي (Polygamie) الذي يأخذ شكل تعدد الزواجات (Polygynie) أو تعدد الأزواج (Poyandrie) بالإضافة إلى الزواج الجماعي.

2-1 الزواج الأحادي (Monogamie):

يعتبر وحدانية الزواج من أشكال المفضلة في كثير من المجتمعات ، و معناه زواج رجل واحد من امرأة واحدة، و هذا الشكل منتشر على أوسع نطاق عالميا، بل إن هناك مجتمعات ترفض كل أشكال الزواج عدا الوحدانية، إلاّ أن هذا لا يعني أن الزواج لابد و أن يحدث مرّة طوال العمر فقط، بل يمكن السماح بالزواج مرة أخرى في حالة الطلاق أو وفاة أحد الزوجين[1].

و جعلت الديانة المسيحية لهذا النمط من الزواج المثل الأعلى ، و إن لم يرد في الإنجيل نص صريح على تحريم تعدد الزوجات ، إذ أنّ المسيحيون قد ساد بينهم هذا النظام، فهذا راجع إلى أن معظم الأمم الأوروبية انتشرت فيها المسيحية.

2-2 الزواج التعدّدي (Polygamie):

و هو يشير إلى الزواج بكثيرين أي (رجال و نساء) ، و هو ينقسم إلى ثلاثة أنواع: زواج رجل واحد من عدة نساء و يسمى تعدّد الزوجات (**Polygamy**)، و زواج امرأة واحدة من عدة رجال و يسمى تعدد الأزواج (**Polyandry**)، و زواج عدة نساء من عدة رجال و يسمى الزواج الجماعي (**Group Mariage**)[2].

---

[1]- **سناء الخولي، الأسرة و الحياة العائلية، المرجع السابق، ص 52**

[2]- سناء الخولي، **المرجع السابق، ص 53**

2-3 تعدد الزوجات (Polygynie) :

هو أكثر الأشكال التي أشرنا إليها ، و خاصة في المجتمعات البدائية أو النامية، ويدل في ناحية منه على المكانة العالية و التميز و الثراء، أما لماذا يتخذ الرجل أكثر من زوجة ، فهناك ظروف و دوافع عديدة تؤدي إلى ذلك ، فإلى جانب إظهار المكانة العالية والهيبة، توجد في بعض الحالات الحاجة أو الرغبة في الإنجاب خاصةً إنجاب الذكور. هذا وعادةً ما يراعى في الأسرة التي تتعدد فيها الزوجات عدة اعتبارات مثل:

- أن يكون للزوجات حقوقاً متساوية.
- أن زوجة في مكان مستقل.
- أن يكون للزوجة الأكبر سنًا (أوّل زوجة في العادة) مميزات و نفوذ معروف.

2-4 تعدد الأزواج (Polyandrie):

و هو شكل نادر الحدوث، و محدود الانتشار للغاية، و يكون الأزواج في معظم الحالات من الأشقاء ، فهم إخوة في البدنة ، و ينتمون إلى نفس الجيل، و يقلل هذا الوضع إلى حدّ كبير من درجة الغيرة بين هؤلاء الأزواج. و من المعروف في قبائل مثل " تودا **Toda** " في الهند أنه عندما تتزوج امرأة من رجل فإنها تصبح زوجةً لإخوته في نفس الوقت، و يرجع نظام تعدّد الأزواج في الواقع إلى ظروف الفقر الشديد مما يجعل من الصعب على كل أخ يتزوج من امرأة بمفرده و بالتالي يشترك الإخوة في الزواج من امرأة واحدة. و في المجتمعات التي تأخذ بنظام تعدد الأزواج تنتشر ممارسة قتل الأطفال من الإناث حتى لا يزيد عدد النساء عن النسبة المطلوبة [1].

[1]- **المرجع السابق، ص54**

لكن يبقى هذا النمط من الزواج يشهد تراجعا كبيرا خلال السنوات الأخير « فقد تبين من عينة عالمية أخذت من 554 مجتمعا أن تعدد الزوجات يلقى قبولاً و تأثيراً ثقافياً من 415 مجتمعاً أي 77% بينما لم يجد زواج امرأة واحدة من عدة رجال قبولاً سوى في أربعة مجتمعات فقط أي بنسبة أقل من 1% و هذه النسب خير دليل على أن هذا النوع من الزواج نادر جداّ »[1].

5.2. الزواج الجماعي (Group Mariage):

من المعتقد أن هذا الشكل من الزواج كان سائدًا في المجتمعات البدائية في العصور القديمة ، إلاّ أن هذا الرّأي لم يتأكّد بصورة علمية دقيقة حتى الآن، و هو يعني زواج عدد محدد من الذكور من عدد مساوٍ لهم من الإناث، إلاّ أن هذا الشكل من الزواج نادر الحدوث في الوقت الحالي إلاّ في حالات فردية تعتبر حالات شاذة إلى حد كبير.

6.2. الزواج الداخلي (Endogamie):

إن القاعدة الاجتماعية لهذا النظام تحتم أن يكون الزواج من نفس أعضاء الأسرة أو القبيلة أو الطائفة، و توقع عقوبات على من يتزوج خارج الجماعة، و قد يكون الزواج الداخلي في بعض الأحيان قائمًا على أساس الالتزام أو الاختيار. بمعنى أن الشخص يتزوّج من داخل الجماعة التي ينتسب إليها كما له حق الاختيار مع العلم أنه يمنع من أن يكون الشريك (ة) المختار(ة) من دائرة واسعة و غريبة، و هذا النوع النظام في الزواج ساد العائلة التقليدية في كثير من المجتمعات لاسيما العربية منها و التي من بينها مجتمعنا.

[1]- محمد أحمد محمد بيومي ، عفاف عبد العليم ناصر ، علم الاجتماع العائلي ، دراسات التغيرات في الأسرة العربية ، دار المعرفة الجامعية ، ب ط، مصر 2003، ص24

كما يقال «إنّ الزواج يجب أن يكون داخل العشيرة المغلقة، أو من داخل الجماعة الاجتماعية (كما في الطبقات المغلقة) أو داخل جماعة تعيش على الأرض نفسها» [1] .

7.2. الزواج الخارجي (Exogamie):

إنّ ما يميز هذا النظام أنه يعكس النظام السابق فيما يخص عملية الاختيار للزواج، حيث أن هذا الأخير يسمح للفرد بأن يختار و يتزوج من خارج نطاق الجماعة الأسرة أو القبيلة، بمعنى آخر أنّ الشخص المقبل على الزواج له الحق في اختيار الشرك (ة) المناسب (ة) له للزواج من خارج الجماعة التي ينتسب إليها و لا تعد قريبة له فمجال الاختيار يمكن أن يكون واسعا و غير محدود. فلقد جاء في دراسة قام بها "جاك قودي" أنّ توجيه الزيجات في نظام الزواج الغربي أو الشرقي هو زواج داخلي وذلك للحفاظ على السلالة، و هذا ما يتضح جلياً في مجتمعنا الجزائري فرغم وجود النظامان معًا أي (نظام الزواج الداخلي و نظام الزواج الخارجي) نلاحظ أن النظام الأوّل كان سائر المفعول بين العائلات و هو ما يسميه البعض الزواج بإبن (ة) العم (ة) أو إبن (ة) الخال (ة).

و بناءًا عليه يمكن القول بأنّ المجتمعات الإنسانية عرفت على مرّ التاريخ أن الأسرة إما أن تقوم على أساس الزّواج الداخلي أو الزواج الخارجي، و هذا نظرًا لاعتبارات عديدة قد تؤخذ في الحسبان منه النظرة للأقارب باعتبارهم من المحارم الذين يجوز الزواج منهم، أو الرغبة في توسيع نطاق العلاقات القرابية من الداخل محافظة على الثروة أو العصبية أو الرغبة في إنشاء علاقات مع الغير توسيعًا لنطاق العلاقات الاجتماعية و طلبا لمراكز القوة التي تترتب على الزواج الخارجي [2].

---

[1]- جان فرنسوا دوروتيه ، معجم العلوم الانسانية، ترجمة د. جورج كتورة، المؤسسة الجامعية للنشر و التوزيع، ب ط، 2009 ، ص 462

[2]- مليكة لبديري ، المرجع السابق، ص30

8.2. الزواج من الطبقات الأعلى (Hypergamy):

يتبع هذا النمط من الزواج نظام الطبقات الاجتماعية التي ينتمي إليها الفرد، حيث يمنع أفراد الطبقات العليا أو الغنية الاختلاط أو الزواج من الأفراد الذين ينتمون إلى الطبقات الدنيا من المجتمع لأنهم يعتبرون دون المستوى المطلوب. « و يعتبر الزواج من الطبقات الأعلى عادة بمقتضاها تمنع المرأة التي تنتمي إلى طبقة اجتماعية معينة من الزواج من أحد الأفراد طبقة أدنى ، لكن يباح لها الزواج من أفراد طبقتها الاجتماعية أو طبقة أعلى» [1] .

المبحث الثاني: الاختيار الزواجي:

إنّ لاختيار الزوج أو الزوجة أهمية في تكوين الأسرة و تماسكها في المستقبل ، و تتدخل عوامل عديدة في هذا الاختيار كالسّلالة ، و الطبقة الاجتماعية ، و الديانة و المستوى التعليمي، و السّمات الشخصية و النفسية، لذلك « نجد أنّ عملية لاختيار الزواجي هي الطريقة التي يغير بها الفرد وضعه من أعزب إلى متزوج، و هناك بعض الإجراءات المتفق عليها في جميع المجتمعات لابد إتباعها لإتمام الزّواج ، إلاّ أن هذه الإجراءات تختلف من مجتمع إلى آخر، ففي بعض المجتمعات يسمح للأفراد المقبلين على الزواج أن يسهما في عملية الاختيار، أمّا في حالة الزواج المرتب فإن العملية تحدث بين أعضاء الجماعة القرابية بوجهٍ عام» [2] .

1. أساليب لاختيار

يوجد أسلوبان في عملية الاختيار:

---

[1]- **محمد يسري ابراهيم دعبس، الأسرة في الثرات الديني و الاجتماعي، المرجع السابق ، ص 20**

[2]- **المرجع السابق ، ص 25**

أ. الأسلوب الوالدي في الاختيار:

هذا الأسلوب قائم على الاختيار الوالدي هو الذي يكون تحت وصاية الأسرة والجماعات القرابية، فكان للوالد الحق في تزويج ابنته لمن يشاء و هذا الحق لم يكن مقصورا على الفتاة فقط، فحظ الشباب ليس أحسن بكثير من حظ الفتاة في الاختيار ، ففي أغلب الأحيان كان يقبل الفتى ما اختاره له والده من خطيبة، و من الحكمة ألاّ يعارض ذلك و في هذه الحالة كانت الأسرة فوق الزواج أي أنّ الزواج مسؤولية الأسرة و هو يمس كيانها و كرامتها. « حقيقة أنّ الشباب كانوا يعبرون لآبائهم في بعض الأحيان عن رغبتهم الحقيقية بالأشخاص الذين يودون الاقتران بهم ، و لكن مع ذلك فالأسرة كجماعة، هي التي تحتفظ لنفسها بحق اتخاذ القرار النهائي في شخص زوج المستقبل للعضو بها، و قد ترتب علة هذا الموضوع أن طلب يد الفتاة للزواج لم يكن يتحتم أن يتم بواسطة الشخص الذي ينوي الزواج ، أي أنه لا يقوم بها بنفسه ، بل يتحتم أن يقوم بذلك إمّا الأب أو العم، أو رسول معين من قبل الأسرة[1] .

و قد انتشر هذا الأسلوب في المجتمعات العربية خاصة و لا يزال هذا النمط سائدًا في الكثير منها، حيث اعتبر الزواج شأناً عائلياً تراعي فيه مصالح الأسرة و طموحاتها و مفهومها حول المال والجمال و الأخلاق، مسترشدة في ذلك التقاليد الموروثة، و كان هذا النوع من الزواج يتم تقليديا بأن يطلب أهل الفتى من يد الفتاة المختارة من أهلها، و قد تكون هذه المبادرة بناءاً على رغبة الفتى أو رغبة أهله لكن في هذه الحالة يجب استشارته، و يمكن اختيار الزوجة باستعانة الأقارب أو الجيران و في بعض الأحيان يكون للخاطبة دور هام في التمهيد لعملية الزواج ذلك أنها تتعرف على الأسر التي لديها فتيات في سن الزواج و قد تأخذ صورًا فوتوغرافية لهنّ، و تترك عملية الاختيار آنذاك لأهل الزوج، فإذا تم الاتفاق على الفتاة المختارة و المؤهلة للزواج تبدأ المفاوضات بين الأسرتين حول شروط الزواج ،" و غني عن البيان أن زواج

[1]- علياء شكري،الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة، دار المعرفة الجامعية ، ب ط، الأزاريطة ، 2003، ص 138

المرأة العربية لا يعني فقط دخولها في علاقات أسرية و اجتماعية مع زوجها، بل يعني أيضًا دخولها في هذه العلاقات مع أسرته الأصلية، حيث تصبح خاضعة خضوعًا تامًا لأم زوجها (أي حماتها) التي تتولى تدريبها و تعليمها ما ينبغي القيام به من واجبات و خدمات لزوجها و أطفالها و أسرته الأصلية"[1].

ب. أسلوب الاختيار الذاتي في الزّواج:

أصبحت رابطة الزواج اليوم تقوم على الإرادة الحرة لطرفي تلك العلاقة، و هذا نتيجة لتحولات الثقافية و الاجتماعية و الاقتصادية و سيطرة الطابع الفردي على المجتمعات الحديثة، و يقوم الزواج على الأسلوب الشخصي أو الذاتي للاختيار الزواجي ، و على رغبة الفرد الشخصية في اختيار الشريك معين، و هنا يكون تدخل الآباء و الأقارب أقل تأثيراً في توجيه عملية الاختيار ، إذ أنّ القرار الأخير يعود إلى الشخص المعني بالزواج سواءًا أكان رجلا أو امرأة.

و يعتبر المجتمع الأمريكي من أبرز المجتمعات الذي يتحقق فيها هذا الأسلوب الذاتي في الاختيار للزواج، حيث يكون الاختيار مسألة شخصية محضة و يكون رأي الآباء استشاريًا فقط و هذا يؤكد انتشار و وجود الاختيار الذاتي في المجتمعات الأكثر تعقيداً و التي يقل فيها و ينحصر دور الأسرة في ممارسات عملية الضبط على أفرادها و مراقبة تصرفاتها.

فالاختيار الذاتي للزواج مهما كان فردياً أو شخصياً فإنه لا يمكن أن يغفل الاعتبارات الاجتماعية و الثقافية في البيئة و لا حتى رغبات الأهل و توجيهاتهم و مقتضيات المنصب و المكانة الاجتماعية، فهذه العوامل الاجتماعية و الثقافية و البيئية تكون عوامل هامة حين يختار الفرد شريك حياته ، لأن الزواج إذا كان يشبع حاجات الفردية عند الزوج و الزوجة، فإن الزواج نفسه نظام اجتماعي اختصّ به الإنسان بين

[1]- عبد القادر القصير، الأسرة المتغيرة في المدينة العربية، المرجع السابق، ص 124

سائر المخلوقات، فهو يخضع لما تخضع به النّظم الاجتماعية الأخرى و ينال صاحبه من قبول و تأييد أو معارضة و رفض بقدر ما يتعامل معه النظام على أساس الأسلوب و الطريقة التي حدّدها المجتمع [1].

2. الاختيار الزواجي في الإسلام

إذا كانت المجتمعات الإنسانية عبر التاريخ تمارس عملية الاختيار للزّواج أسلوباً واحداً فقط بين أساليب الاختيار للزّواج المذكورة آنفًا و المتمثلة إما في الأسلوب الوالدي أو الأسلوب الذاتي، فإن الإسلام إضافة إلى المكانة التي حُظي بها الزّواج في هذا الدّين الحنيف حيث اعتبره رابطة بين رجل وامرأة، إلى جانب هذا فهو لم يهمل حق الاختيار عند الشروع في الزواج بل أخذه بغين الاعتبار محاولاً في ذلك التوفيق بين رغبة المقبلين على الزواج و كذلك رغبة الوالدين بهدف الوصول لرضا الطرفين.

و بمعنى آخر لقد عمل الإنسان على المزج ما بين الأسلوب الوالدي في الاختيار و الأسلوب الفردي في عملية الاختيار للزّواج فهو يسمح بتدخل الأهل (الأبوين) لكنه لا يهمل رأي الأبناء كلية بل أنه يعطي للفتى (الرجل) حق اختيار زوجته بنفسه، كما يعطى للفتاة (المرأة) حق إبداء الرأي في زواجها بالرفض أو القبول علمًا بأنّ رضا المرأة هنا يعدّ شرطًا أساسيًا لإتمام الزّواج في الإسلام [...] ، و أما الصفات المفضلة عند اختيار الشريكة أو الشريك للزواج من حيث كونها الدعامة الأساسية في تكوين الأسرة المستقرة، نلاحظ أن الفرد المقبل على الزواج في المجتمع العربي يسعى دائما إلى تحقيق الصفات التي رغب الإسلام توفرها في شريك (ة) المستقبل و المتمثلة فيما يلي:

أ- **التديّن**: قال الرسول (ص):

﴿تنكح المرأة لأربع لمالها و حسبها و جمالها و لدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك﴾

ب- **حسن الخلق**: قال الرسول (ص) و هو يحث اختيار المرأة الصّالحة للزّواج:

[1] - علاء الدين كفافي ، الإرشاد و العلاج النفسي ، دار الفكر العربي، ب ط، مصر ، 1999 ، ص 420

﴿الدنيا متاع و خير متاعها المرأة الصّالحة﴾

ج- **الجمال و حسن الوجه:** قال الرسول (ص):

﴿خير نساؤكم، من إذا نظر إليها زوجها أسرّته، و إذا أمرها أطاعته، و إذا غاب عنها حفظته في نفسها و مالها﴾ [1] .

المبحث الثالث: نظريات الاختيار الزواجي:

انشغل الناس منذ القدم بمعرفة الأسس التي يستند إليها في اختيار الزوج لزوجته و قد انقسم هؤلاء إلى أكثر من فريق بعضهم يرى أن الشبيه يتزوج بشبيهته، و فريق آخر يذهب إلى أنّ الأضداد تتجاذب، و فريق ثالث يرى أن الزواج يتم على أساس التكميل بين الشريكين ، وظهرت نظريات علمية تحاول كل منها الإجابة على نفس السؤال، و قد اشترك علماء الاجتماع و علماء النفس على بلورة هذه النظريات و هناك ثلاث اتجاهات نظرية أساسية عالجت قضية الاختيار الزواجي و هي **الاتجاه الاجتماعي الثقافي، الاتجاه النفسي و اتجاه التحليل النفسي.**

1. النظريات الاجتماعية الثقافية:

ترتكز هذه النظريات نظرية التجاور المكاني ، نظرية القيمة ، نظرية التجانس على الجوانب الاجتماعية و الثقافية في ممارسة الاختيار الزواجي.

1.1. نظرية التجاور المكاني:

يرى صاحب مدرسة شيكاجو " **بيرجس** " و " **لوك** "، أن العزلة المكانية تجمع أناساً متشابهين أكثر منهم مختلفين، « فالتجانس يتولد إذا كان عن طريق القرب المكاني، لأنّ الناس يعيشون ، و يتعبّدون

[1]- مليكة لبديري ، المرجع السابق، ص 32

و يعملون و يدرسون في مكان واحد، يتعارفون و سرعان ما يتألفون و يتزوجون، أي أنّ أصحاب هذه النظرية يرون أن عملية الاختيار للزواج تتم في نطاق جغرافي محدد، يكون بمثابة مجال مكاني يستطيع الفرد أم يختار منه و هو ما يطلق عليه الفرصة الإيكولوجية للاختيار» [1].

يحاول هذا الاتجاه أن يقدم تفسيرات علمية، إذ يفترض أن الفرد عندما يختار للزواج فإنه يختار أو يميل للارتباط بشخص يعرفه، سواءًا في المدرسة أو في العمل، حيث تكون الفرصة أكثر للاحتكاك بأفراد الجنس الآخر، و هكذا يرى أصحاب هذه النظرية أنّ التقارب المكاني ما هو إلاّ عاملا من العوامل التي تساهم في إتمام الزواج، و ليس عاملاً محدداً، أي لا يحدد فردا بعينه ليختاره الشخص المقبل على الزواج بل يحدد فقط مجال الصالحين للزواج.

2.1. نظرية التجانس:

تقوم هذه النظرية على فكرة أن الشبيه يتزوج الشبيهة، و أنّ التجانس هو الذي يفسر اختيار الناس بعضهم لبعض كشركاء في الزواج، لا اختلاف و لا التضاد، و الناس بصفة عامة يتزوجون من يقاربهم سناً، و يماثلونهم سلالة و يشتركون معهم في العقيدة، كما يميلون أيضا إلى الزواج ممن هم في مستواهم التعليمي، و مستواهم الاقتصادي و الاجتماعي، و حبذا لو اشتركوا معهم في الميول و اتجاهات و طرق شغل الفراغ و العادات الشخصية السلوكية [2].

و تذهب نظرية التجانس إلى الاختيار الزواجي يركز في المحل الأول على أساس من التشابه و التجانس في الخصائص الاجتماعية العامة، و أيضا في الخصائص أو السمات الجسمية أي أنّ يكون هناك تشابه بين الشريكين في الدين و الجنس و المستوى الاجتماعي و الاقتصادي و في السن، والتعليم و الحالة

[1] - أحمد بيري الوحيشي، المرجع السابق، ص 384
[2] - علاء الدين كفافي، المرجع السابق، ص 432

الزواجية [...]، إلى جانب وجود تشابه أو تجانس في الطول و لون البشرة إلخ...، وركزت معظم البحوث السوسيولوجية المثمرة جهودها في هذا الميدان [1].

3.1. نظرية القيمة:

ترتكز هذه النظرية على أن الاختيار للزواج (أو الانجذاب) بين الأفراد يكون أكثر سهولة عند أولئك الذين يتشاركون نفس القيم، و القيم تعبر عن تنظيمات لأحكام عقلية انفعالية معمقة نحو الأشخاص و الأشياء و المعاني و أوجه النشاط، و القيم تعبير عن دوافع الانسان و تمثل الأشياء و المعاني و الأشخاص التي توجه رغباتنا و اتجاهاتنا نحوها.

و اهتم "**كومز**" بالبحث عن دور القيم و تأثيرها على الاختيار الزواجي، إذ يرى أنه يمكن أن نفكر في قيم الشخص، على أنها تنتظم في نظام متدرج و يرجع ذلك إلى الأهمية المتفاوتة التي وضعها الإنسان، و أسبغها على الأشياء المختلفة، و هكذا نجد أننا نتحدث عن نسق من القيم، أو نسق قيمي، فالقيم التي تعد شديدة الأهمية بالنسبة لشخص معين، نجدها تحتل مركز الصدارة و الأولوية في ذلك النسق، كما أنها تتجلى في صورة رد عاطفي واضح إذا قوبلت بأي نوع من التحدي و نتيجة لهذا الجانب العاطفي، فإنه يبدو منطقيا أن الفرد سوف يختار رفاقه بما فيهم شريكة حياته، من بيت هؤلاء الذين يشاركونه، أو عل الأقل يقبلون قيمه الأساسية، لأن الأمان العاطفي يكمن في ذلك[2].

و ربطت هذه النظرية بين القيم و التجانس بأنواعه المختلفة، سواء تعلق ذلك بالتجانس من حيث البيئة الجغرافية أو الخلفية الاجتماعية أو الطائفة الدينية، فهذا التجانس يولد لدي الشخص خبرة اجتماعية معينة للحياة، و يشبع آراءه و قيمه و أحكامه على عالم الأفراد، انطلاقا من خلفيته لاجتماعية تلك، و

---

[1]- **سامية حسن الساعاتي، المرجع السابق، ص 136**
[2]- **المرجع نفسه، ص 174**

هكذا يرى أنصار النظرية أن الميل إلى التجانس هو في المحل الأول انعكاس لرغبة كل شخص سواء أكانت شعورية أو لا شعورية، في التعامل و الارتباط مع أناس يشتركون معه في قيمه الأساسية.

يتضح لنا من خلال هذا العرض تقارب كل النظريات الاجتماعية الثقافية في تحليل العوامل المؤثرة على الاختيار الزواجي، و ذلك من خلال إبراز أثر العوامل الثقافية و الاجتماعية و الاقتصادية على بلورة شخصية الفرد، فالرواسب الثقافية التي ترسبت في فكر و سلوك الفرد منذ الصغر، تصبح موجهة للسلوك بما في ذلك الاختيار الزواجي.

4.1. النظرية النفسية:

تعرف هذه النظرية بنظرية الحاجات التكميلية، "**روبرت ونش** ، **Winch Robert**" صاحب هذه النظرية التي حُظيت باهتمام الكثير من الباحثين، حيث كان له السبق في الحديث عن الحاجات التكميلية في الاختيار للزواج و إلقاء الضوء على أثر المتغيرات الشخصية في الاختيار للزواج [1]، و قد بلور ونش نظريته في النقاط التالية:

- يسعى كل فرد في عملية الاختيار الزواجي إلى اختيار الشريك المناسب الذي يمده بأعلى حد من حاجة الاشباع و الرضا، و قد بنيت هذه النظرية على مصطلحين أساسيين و هما:

  - **الحاجة**: و هي تلك القوة التي تنظم الإدراك الحسي و وعي الذات و الناحية العقلية و الرغبة و الإرادة.
  - **المكملة**: و ترادكلمة إشباع الحاجة، و هي حالة يحدث فيها أن يشبع الفرد حاجاته من خلال تفاعله مع شخص آخر.

[1]- **المرجع السابق، ص 175**

2. نظرية التحليل النفسي:

1.2 نظرية فرويد Sigmund Freud [1]:

توصل " فرويد" بناءا على ملاحظاته أن النرجسيين محبي الذات يميلون إلى الزواج بأشخاص كفيلين، أي أنّ الفرد عندما يختار شريك حياته يختار من بين أولئك الذين يمثلون نوعا من الكمال، حاول "فرويد" جاهدا أن يصل إليه لكنه فشل، و يقسم "فرويد" الاختيار السوي للشريك أو موضوع الحب إلى قسمين، فهو يرى أننا في الاختيار للزواج نبحث إما عن شخص يشبهنا أو عن شخص يحمينا.

و يقصد "فرويد" بالنمط الفعلي من الحب أو الاختيار، ذلك الذي تعبر عنه اتجاهات تحقير الذات، و الاحترام و التبجيل الموجهان إلى موضوع الحب، أمّا الحب النرجسي فهو حب النفس في المحل الأوّل، لكننا نلاحظ في هذا النمط أن الشخص النرجسي لديه حاجة شديدة إلى أن يصبح محل إعجاب الآخرين،إلى جانب كونه موضع إعجاب ذاته، لكن ما يعاب على نظرية فرويد هو تطبيقها على مرضى العصابيين، و هذا لا يفيد كثيرا في موضوع اختيار الزواج، حتى نكون بصدد نظرية عامة تفسره، بحيث يمكن أن نستخدمها استخداما عاما لا يصدق فقط على الأنماط الغيرية أو النرجسية لفرويد و لا على العصابيين فقط لكن الناس جميعا مهما اختلفت شخصياتهم، كما تجدر الإشارة إلى أن نظرية فرويد في الاختيار للزواج لابد أن تؤخذ بشيء من التحفظ و الحذر، لأن فرويد لم يجمع آرائه و ملاحظاته في نظرية عامة للاختيار إنما تعبر عن رأي فرويد في هذا الموضوع.

2.2 . نظرية الصورة الوالدية [2]:

من روادها "**Anselme Strauss**" و هي نظرية "فرويد" في الأصول و حاول هذا العالم اختبارها على أرض الواقع، حيث يذهب إلى اعتبار أن صورة الوالد أو الوالدة تلعب دوراً جوهريا في عملية اختيار

---

[1]- **المرجع السابق ، ص 188**
[2]- **المرجع نفسه، ص 195**

الشريك، و يرى هذا العالم بأنّ طبيعة العلاقات الانفعالية الأولى للطفل هي التي تشكل شخصيته،فعن طريق الاتصال بين الطفل و المحيطين به في طفولته المبكرة يتعلم كيف يحب و كيف يكره، و كيف يرغب و كيف يحسد و كيف يتجنب و كيف يقبل، و يكون الطفل علاقة عاطفية وثيقة مع أحد ا أشخاص المهمين في طفولته المبكرة ، و عادة ما يكون الأب بالنسبة للطفلة، و تكون الأم بالنسبة للطفل الذكر، و قد يكون العكس. و المهم أن الطفل ذكرا كان أم أنثى عندما يكبر فإنه يميل إلى إعادة تلك العلاقات و إحيائها.

2. 3 نظرية الشريك المثالي [1]:

يرى رائد هذه النظرية "كريستنسن" أنّ الناس منذ طفولتهم المبكرة حتى وقت زواجهم يكونون صورة أم فكرة معينة عمّا يودّون أن يكون عليه شريكهم في الحياة، و تسهم المؤثرات المحيطة بالفرد في تكوين هذا المفهوم، و عندما يتم تكوينه فإنه يلعب دورا هاما و مؤثرا في عملية اختيار الشريك، و غالبا ما يحمل كل فتى و كل فتاة من أيام الدراسة صورة مبدئية في خياله لفتاة أحلامه أو فتى أحلمها و أحيانا ما تكون هذه الصورة واضحة بملامحها في ذهن صاحبها و أحيانا ما لا تكون واضحة تماما و أحيانا ما تكون على نحو سلبي بمعنى أنها تتضمن السمات التي لا يرغب الفرد أن تتوفر في شريك حياته.

2. 4 نظرية الحاجات الشخصية [2]:

تذهب هذه النظرية إلى القول بأن هناك حاجات شخصية محددة تنمو لدى الناس نتيجة الخبرات و مواقف معينة يمرون بها، و أن هذه الحاجات تجد الإشباع الملائم لها في العلاقات الحميمية التي تتبلور في الزواج و حياة الأسرة، و تتركز معظم هذه الحاجات حول الرغبة في التجاوب، و تشمل الرغبة في الأمان الانفعالي و التقدير العميق و الاعتراف و كثيراً ما تكون هذه الحاجات تكميلية بالنسبة للشريكين، و

[1]- المرجع السابق، ص 200
[2]- المرجع نفسه، ص 210

يلاحظ على هذه النظرية أنها تشبه إلى حد كبير النظرية التكميلية في الحاجات، و أوضحت دراسات أنّ الأنثى تعبر عن حاجاتها إلى شخص يحبها و جدير بثقتها و يبدي عاطفة نحوها، و يفهم مزاجها و أحوالها و يساعدها في اتخاذ القرارات الهامة، و الفتى يحتاج إلى أنثى تخدمه و تقدر ما يرغب في تحقيقه و تتجاوب مع طموحه و تقدره كما هو.

2. 5 نظرية العوامل اللاّشعورية [1]:

إن جوهر نظرية " **لورنس كيوبي– Laurence S. Kubie** " و التي تندرج ضمن نظريات التحليل النفسي في الاختيار للزواج هو أن المصدر الرئيسي للتعاسة الزوجية بين الرجل و زوجته يكمن في المفارقات التي توجد بين مطالبهما الشعورية و اللاّشعورية، تلك المطالب المتصلة بعلاقة كل منها بالآخر و بالزواج بوجه عام، و تظهر تلك المفارقات أول ما تظهر في مرحلة اختيار الشريك ثم تنمو بعد ذلك مع تقدم علاقتهما.

و يظهر دور العوامل اللاّشعورية في دفع الفرد للزواج بمن يشبهه تمامًا أو في اختياره بمن لا يشبهه مطلقاً، و يتوقف ذلك على محتويات اللاّشعور، و يحدث هذا كثيراً بين العصابيين عندما يختارون العصابيين مثلهم علما بأن عصاب الشريك لا يلغي أو يعالج عصاب الفرد بل إنه يضيف عصابا على عصاب و يعقد المشكلة، و مثل هذه العوامل اللاّشعورية تؤثر على الشاب الذي يبحث ليس على زوجته فقط و لكن على أم في شخص الزوجة، فإذا ما أوقعه حظه في فتاة غير ناضجة أيضا و تبحث ليس عن زوج شريك و لكن عن زوج أب، و يبحث كل واحد منهما عن شيء يفقده و يأمل أن يجده عند الطرف الآخر, و الاختبار السليم حسب هذه النظرية ليس أن يختار الفرد شريكاً يناسبه في الميول و الاتجاهات و

[1]- **المرجع نفسه، ص 237**

العادات و القيم و يتوافق معه، و إنما عليه أن يختار (يستبصر) في شريك حياته دوافعه الشعورية و اللاّشعورية لأنه هو السبيل لأنجح الذي يناسبه [1].

المبحث الرابع: مراحل الزواج:

حتى تتم مراسيم الزواج بشكل تنظيمي و رسمي لابد أن يمر عبر سلسلة من الخطوات تختلف باختلاف الثقافات و المجتمعات.

1.6. الخطبة:

الخطبة هي أولى مراحل الزواج، و هي فترة تمهيدية التي تسبق عقد القران، و فيها يتم اختيار الفتاة من طرف الشاب الذي يريد الزواج.

عرفت الفقهاء الخطبة (بكسر الخاء) بأنها: طلب رجل المرأة ليتزوجها و الخطبة تكون بالتصريح أو التعريض، و هي مستحبة فقد فعلها رسول الله (ص) و جرى عليها عرف الناس [2].

الخطبة هي إظهار الرغبة في الزواج بامرأة معينة و إعلام المرأة أو وليها بذلك، و قد يتم هذا الإعلام مباشرة من الخاطب أو بواسطة أهله [3].

1.1.6. وظائفها:

تؤدي الخطبة وظائف متنوعة لكل من الخطيبين و المجتمع فهي " طريق لتعرف كل من الخطيبين على الآخر، إذ أنها السبيل إلى دراسة الأخلاق و طبائع و ميول الطرفين، و لكن بالقدر المسموح به شرعا و هو كاف جدا، فإذا وجد التلاقي و التجاوب أمكن الإقدام على الزواج الذي هو رابطة دائمة و اطمئنان الطرفان إلى أنه يمكن التعايش بينهما بسلام و أمان [4].

---

[1]- المرجع نفسه، ص 238

[2]- أحمد فراج حسين، أحكام الزواج في الشريعة الإسلامية، المرجع السابق، ص47

[3]- عبد الحميد الخزار، فلسفة الزواج و بناء الأسرة في الإسلام، دار الشهاب للطباعة و النشر، ط2، الجزائر، 1987، ص 29

[4]- المرجع نفسه، ص 65

كما يجوز للخاطب أن ينظر إلى خطيبته أو أن يسافر معها على شرط عدم الخلوة بها لحديث " لا يخلو الرجل بإمرأة إلاّ و كان الشيطان ثالثهما" و حديث " لا تسافر المرأة إلاّ مع ذي محرم" و قوله عليه الصلاة و السلام " لا يحل لامرأة تؤمن بالله و اليوم الآخر أن تسافر يوما و ليلة إلاّ مع ذي محرم"[1].

2.6. عقد القران:

1.2.6. تعريفه:

و فيه يتم الإعلان الرسمي لنجاح الخطبة، و يقصد بعقد القران حل الاستمتاع كل من الزوجين للآخر على وجه الشرعي لتأمين السكن النفسي، و إنجاب الذرية الصالحة و تعاون على بناء الأسرة و تربية الأولاد"[2].

" تعاقد بين رجل و امرأة و يقصد به الاستمتاع كل منهما بالآخر و تكوين أسرة صالحة و مجتمع سليم"[3].

2.2.6. شروطه:

من حسن التنظيم الاسلامي و دقته في شرع الأحكام أن جعل للعقود شروطا تنضبط بها و تتحدد في صلاحيتها للنفوذ و الاستمرار، فكل عقد من العقود له شروط لا يتم إلاّ بها، و يشرع لهم ما يصلح به دينهم و دنياهم حتى لا تكون فوضى، و من بينها عقد القران، فعقد القران له شروط نذكرها كالتالي:

أ. ***رضا الزوجين***: فلا يصح إجبار الرجل على نكاح من لا يريد، و لا إجبار المرأة على نكاح من لا تريد لقوله تعالى " **يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها**"

---

[1]- **محمد صالح العثيمين، عبد العزيز بن محمد بن داود، الزواج في الشريعة الاسلامية، مكتبة دار السلفية، ب ط، الجزائر ، 1989، ص37**

[2]- **عبد الحميد الخزار، المرجع السابق، ص117**

[3]- **محمد صالح العثيمين، عبد العزيز بن محمد بن داود، المرجع السابق، ص 16**

ب. ***ولي الأمر***: فلا يصح النكاح بدون ولي لقوله (ص) " لا نكاح إلاّ بولي" فلو تزوجت امرأة نفسها فنكاحها باطل سواءا باشرت العقد بنفسها أم وكلت فيه[1].

جـ. ***الصّيغة:*** " و يشترط في الصيغة أن تكون بألفاظ مخصوصة تدل صراحة على انعقاد الزواج و أن يتم الإيجاب و القبول في مجلس واحد دون فاصل بينهما و دون أي اختلاف في المعنى المستفاد منها، فلو قال ولي امرأة للخاطب " زوجتك ابنتي فلانة على مهر قدره ألف دينار فأجاب : قبلت الزواج على مهر قدره ثمانمائة دينار مثلا" لم ينعقد الزواج، أما إذا كان رده في القبول يتضمن زيادة في المهر المطلوب فإن الزواج ينعقد لأن شرط الإيجاب في المهر تحقق و زيادة"[2].

د. ***الشهود***: و القصد أن عقد الزواج لا يصح إلاّ بحضور شاهدين اثنين و يشترط فيهما البلوغ و العقل لقوله صلى الله عليه و سلم " **لاَ نِكَاحٌ إِلاَّ بِوَلِيٍّ وَ شَاهِدَيْن عَدْل**"

و. ***المهر***: هو المال الذي تستحقه الزوجة على زوجها بالعقد عليها أو بالدخول عليها حقيقة، و قد عرفه صاحب العناية على هامش الفتح " هو العقد الذي يجب في عقد النكاح على الزواج في مقابلة البضع إما بالتسمية أو بالعقد، و عرفه بعض الحنفية بأنه ما تستحقه المرأة بعقد نكاح أو الوطء، و عرفه المالكية بأنه ما يجعل للزوجة من أجل الاستمتاع بها"[3].

و المشروع في المهر أن يكون قليلاً، فكلما تيسر فهو أفضل و تحصيلاً للبركة، فإن أعظم النكاح بركة أيسره مؤونة[4].

و لم تحدد الشريعة الإسلامية قيمة المهر بالرغم من وجوبه و إنما ترك أمرًا يتفق عليه الطرفان، و ذلك حسب قدرة كل شخص و ظروفه الاجتماعية و الاقتصادية.

---

[1]- المرجع نفسه، ص 19-20
[2]- عبد الحميد الخزار، المرجع السابق، ص 122
[3]- المرجع نفسه، ص 126
[4]- صالح العثيمين، عبد العزيز بن محمد بن داود، المرجع السابق، ص 36

3. الزّفاف:

يعتبر حفل الزفاف كإعلان النهائي عن نجاح الخطبة و عقد القران و يشكل أهم حدث بالنسبة للعروسين "إذ هو الحد الفاصل بين حياة اللّهو و اللاّمسؤولية و بين حياة الجد و المسؤولية و الواجبات، حياة الرجولة و الأبوة بالنسبة للعريس، و حياة الأنوثة و الأمومة بالنسبة للعروس[1].

[1]- فوزية دياب، القيم و العادات الاجتماعية مع بحث ميداني لبعض العادات الاجتماعية، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، ب ط، بيروت، 1980، ص 292

الخلاصة:

تعرضنا في هذا الفصل إلى الزواج كظاهرة اجتماعية و ثقافية و دينية ، و هو الصورة الشرعية للعلاقة بين الرجل و المرأة باعتباره المرحلة الأساسية في تكوين الأسرة، و يختلف باختلاف المجتمعات و الثقافات.

كما تطرقنا لمفهوم الاختيار الزواجي بأشكاله و نظرياته و استخلصنا أنه قد يكون من اختيار الآباء و قد يكون من الاختيار الشخصي و هذا راجع لتقاليد و أعراف المجتمع.

الفصل الثالث

(الإطار النظري المتعلق باتجاهات التحول الثقافي)

الفصل الثّالث: الإطار النظري المتعلق باتجاهات التحول الثقافي

تمهيد

المبحث الأول: مفهوم التغير و التحول

المبحث الثاني: التغير الثقافي و طبيعته

المبحث الثالث: النظريات المعاصرة و المفسّرة للتغير الاجتماعي و الثقافي

المبحث الرابع: مفهوم الرّمز

الخلاصة

تمهيد:

أسال موضوع التّحوّل أو التغير حبر العديد من علماء الاجتماع ، حيث يعتبر من الموضوعات الهامة لدى الباحثين و المختصين، إذ أن التحوّل هو سمة الوجود وأن كل شيء يتحوّل ويتغير، وعليه فإن دراسة التحولات أو التغيرات لها أهمية في العلوم الاجتماعية والانثروبولوجية والنفسية والاقتصادية والسياسية ..إلخ.

حيث تمكن العلماء من التعرف على أسباب التغير ومظاهره وعوامله ونتائجه باستخدام مناهج وأساليب قياسية في دراسة المجتمعات. و بما تمر به من مجتمعات العالم من تغيرات فقد صارت ظاهرة التحول ظاهرة بارزة في كل الأنشطة الاجتماعية وصارت لها تأثيرات واضحة في كل المجالات الحياتية. لهذا ، فإنّ هدفنا الرئيسي في هذا المبحث هو إيضاح مفاهيم المصاحبة لمفهوم التحوّل أو التغير كمفهوم التطور و التقدم و التنمية و التحديث و التّمييز بينهم للتفريق بين استعمالاتها و ضبطها للوصول إلى تعريف العلمي لكل من مفهوم التحول أو التغير ، و مدى تأثّرها وتأثيرها بالمتغيرات الجديدة سواء أكان في العادات أم القيم أم السلوكات الاجتماعية الأخرى المصاحبة وبكافة مجالاته. ويأتي يأتي تركيزنا على هذا المبحث إيماناً بأنّ هناك تحولات حصلت في كثير من البلدان لاسيما التي كانت تعيش اوضاعاً تقليدية بفعل الكثير من العوامل اضافة الى تبيان أهمية الأبعاد الاجتماعية والثقافية و الرمزية التي أحدثتها التحولات في الأفراد والجماعات و الانساق الاجتماعية.

المبحث الأول: مفهوم التغير و التحوّل:

من الصعب تعريف التغير الاجتماعي، لأن كل شيء في حياتنا، عرضة للتغير المستمر على الدوام، فكل يوم في حياتنا يوم جديد، و كل لحظة تمثل حدثاً مستجدًّا في العمر. وعلى حد تعبير الفيلسوف اليوناني القديم " **هيرقليطس**"، فإن المرء لا يستحمّ في النهر مرّتين، لأنّ النهر يتغير بجريان الماءفيه مثلما يتغير الشخص فور إحساسه أو ملامسته لماء النهر. و رغم دقة هذه الملاحظة و صدقها الواقعي، فإننا نميل في العادة إلى إسباغ طابع الثبات و الدّيمومة، و لو لفترات محدّدة، على أنفسنا و على ما حولنا. و رغم ما يحدث من وجوه التغير، سواء أكانت طفيفة أم كبيرة، فإننا نظلّ نعتقد أن للنهر شكلاً ثابتاً، و أن للإنسان و لشخصيته ملامح تبقى " على حالها" من دون تغيير[1].

كذلك يمكن تعريفه كمصطلح على أنه تحوّل اجتماعي في المجال الثقافي والمؤسسي عبر الزمن[2].

ويقول" **ولبرت مور** "أن ظاهرة التغير الاجتماعي ليست ظاهرة حديثة إذ هناك درجات وأنواعا من التغير حدثت في الخبرة الإنسانية ولكن الاهتمام بالتغير وسرعته يرجع إلى السرعة التي حدث بها في تلك المجتمعات. و من ثمّ يذهب "**لندبرج**" إلى أن ظاهرة التغير الاجتماعي تحدث في كل مكان وفي كل زمان ولذا يمثل التغير عنده الاختلافات التي تطرأ على ظاهرة اجتماعية خلال فترة زمنية معينة[3].

وينظر" **فيرنشيلد** "للتغير على أنه أي تغير يعتري العمليات الاجتماعية أو النظم الاجتماعية أو التكوينات الاجتماعية وقد يكون التغير تقدميا أو تأخريا ثابتا أو مؤقتا .مخططا أو غير مخطط، موجها أو غير موجه، مفيدا أو ضارا. وأما "**كينجزلي ديفز**" فيعرفه بأنه كل تغير في التنظيم الاجتماعي سواءا في تركيبه أو في وظائفه ، و أما" **مالينوفسكي**" فيشير إليه على أنه العملية التي يتحول بها نظام المجتمع من

---

[1]- أنتوني غيدنز، علم الاجتماع، المرجع السابق، ص 105
[2]- معن خليل عمر، التغير الاجتماعي، دار الشروق للنشر و التوزيع، ط1، عمان، 2004، ص 27
[3]- فادية عمر الجولاني، المرجع السابق، ص 12

نموذج إلى آخر، وأما "**هربرت سبنسر**" فينظر إلى التغير على أنه انتقال المجتمع من حالة يسودها التجانس إلى حالة اللاتجانس [1].

و قد عرف " **جيتر برج**" التغير بأنه يحدث في طبيعة البناء الاجتماعي مثل زيادة أو نقصان حجم المجتمع أو في النظم و الأجهزة الاجتماعية أو التغيرات اللّغوية [2].

يمكن القول أن التغير الاجتماعي يقوم على التحولات الملاحظة خلال أقصر فترات زمنية ممكنة، كما هو محصور جغرافيا و سوسيولوجيا حيث يمكن ملاحظته داخل رقعة جغرافية أو في إطار اجتماعي و ثقافي محدود [3].

1. بعض المفاهيم المقاربة لمفهوم التغير

أ. التطوّر الاجتماعي :

يعني هذا المصطلح التّحول الشامل في جميع قطاعات المجتمع أو أحدها، حيث يتحوّل القطاع الاجتماعي أو المجتمع نفسه من التجانس في مكوناته إلى اللاّتجانس أو يحصل تحول شامل في الأجزاء البسيطة و الصغيرة إلى المعقدة و الكبيرة، مثل تحوّل قرية إلى مدينة أو تحوّل الصناعة اليدوية إلى صناعة تكنولوجية حديثة. كما أنّ التطور هذه لا تحصل في فترة زمنية وجيزة بل تأخذ فترة طويلة قد تأخذ سنين و أجيال أو قروناً بسبب المعوّقات الاجتماعية و الاقتصادية و الجغرافية و السياسية لتطوّرها [4].

ب. التّقدم الاجتماعي:

وهنا يشير التقدم الاجتماعي إلى عملية مستمرة ينتقل المجتمع بمقتضاه من حالة إلى حالة أفضل أو يسير في اتجاه مرغوب فيه ، أي أنّ المجتمع لا يعتمد في هذا التقدم على مقياس لقياسها موضوعياً وهنا

---

[1]- المرجع السابق، ص 12

[2]- المرجع نفس، ص 12

[3] -ROCHER. Guy, Introduction à la sociologie générale. Le changement social ,Ed H.M.H, 1968 , p 17.

[4]- معن خليل عمر، المرجع السابق، ص 74

يصير المجال مفتوحًا للاعتبارات الذاتية، أضف إلى ذلك أنّ هذا المفهوم يقوم عند أغلب المفكرين على أيمان عميق بقدرة الإنسان على التدخل الإرادي لتوجيه العمليات الاجتماعية الوجهة التي تحقق الرفاهية للمجتمع أو بقدرة الإنسان على أرادة صنع الحياة [1]. كذلك فكرة التقدم تشكلت أساساً أو وجدت مكانها في نموذج التحوّلات التنموية، إذ أنها نقيض التوازن و الاستقرار الذي يطرحه النسق الاجتماعي و البناء الاجتماعي[2].

ج. التّنمية الاجتماعية:

استخدم عدد من الدارسين مفهوم التنمية (**Développement**) و التغير الاجتماعي (**Social Change**) و كأنهما يشيران إلى مفهوم واحد، كما أنّ مفهوم التنمية يتداخل مع مفاهيم النمو (**Growth**) و التّحول (**Transformation**) والتجديد (**Modernisation**)[3].

و لابدّ أن نوضح الاختلاف القائم بين مصطلح النمو و التنمية، فالأول (النمو) يشير إلى عملية الزيادة الثابتة أو المستمرة التي تحدث في جانب معين من الحياة ، أما التنمية فهي عبارة عن تحقيق زيادة سريعة تراكمية دائمة عبر فترة من الزّمن[4].

تتصف التنمية بأنها عملية حضارية شاملة لمختلف أوجه النشاط في المجتمع بما يحقق رفاهية الإنسان و كرامته. و التنمية أيضًا بناء للإنسان و تحرير له و تطوير لكفاءاته و إطلاق لقدراته للعمل البناء، فضلاً عن كونها اكتشاف لموارد المجتمع و تنميتها و الاستخدام الأمثل لها من أجل بناء الطاقة الانتاجية القادرة على العطاء المستمر. هذا من جانب و من جانب آخرفإن التنمية مسألة نسبية لأنها دائمة التغيير و لذا فإن أهدافها تتغيّر وفقًا لما يحتاج إليه المجتمع و ما هو ممكن التحقيق[5].

---

[1]- عادل عبد الحسن شكارة، نظرية هوبهارس في التنمية الاجتماعية، مطبعة دار السلام، ب ط، 1975، ص90
[2]- معن خليل العمر، المرجع السابق، ص 52
[3]- فادية عمر الجولاني، المرجع السابق، ص 14
[4]- معن خليل العمر، المرجع السابق، ص 68
[5]- معن خليل العمر، المرجع السابق، ص 68

و حسب جوروج بالودييه : أن كل تنمية تشهدها المجتمعات النامية تكون مرادفة لعملية تحول و تغير من أسلوب إنتاج إلى آخر و من بناء اجتماعي إلى بناء اجتماعي مغاير[1].

د. التّحديث:

هذا المصطلح رائج لدى علماء التاريخ و الاجتماع، ينطبق على جملة من المتغيرات البالغة التركيب التي تطول المجتمعات البشرية كافة، و لو بشكل شديد التفاوت، وفقا لأوليات الشيوع البالغة التنوع (أوروبا الغربية بدءًا من القرن السادس عشر) ،و يمكننا حصر مصطلح التحديث / العصرنة بالمجتمعات الموسومة حاليا بسمة السير على طريق التنمية[2]. و قد أخذ رواجا كبيرا خلال عصر الأنوار، و هو يترجم مختلف المفاهيم مثل العولمة، العقلانية، التصنيع، كما كان ظهورها أسرع و فعال في الثورات التالية: السياسية (بروز الفردانية الديموقراطية)، الاقتصادية (بروز النقل، و وسائل الانتاج..)، الثقافية (ظهور المفاجئ للثقافة الشعبية، تأسيس نظام تربوي سمح ببروز نخب جديدة)[3].

المبحث الثاني: مفهوم التغيّر الثقافي و طبيعته:

يشير التغير الثقافي (**Changement Culturel**) إلى التغيرات الملموسة في العناصر المادية، سواءًا كانت هذه التغيرات من خلال إضافة أو حذف أو تعديل في السمات الثقافية أو في مركب الثقافة. و تتعدد مصادر التغير الثقافي التي من أهمها الاحتكاك بالثقافات الأخرى، الاختراعات، أو التوافقات الداخلية للثقافة[4].

إن الحديث عن التغير يسمح لنا بالتميز بين التغير الاجتماعي و التغير الثقافي على الرغم من صعوبة التميز أو الفصل بينهما، فالتغير الاجتماعي يشير إلى تبدل في أنماط التنظيمات الاجتماعية

---

[1] - Georges BALANDIER, sens et puissance, PUF, 4ème édition, 2004 , P 120.

[2] - خليل أحمد خليل، المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع، دار الحداثة للطباعة و النشر، الطبعة 1، بيروت، 1984،ص 59

[3] - Raymond BOUDON, Traité de sociologie, 1ère édition, presses Universitaire de France , 1992, P 317

[4] - أحمد زايد، اعتماد علام، التغير الاجتماعي، مكتبة أنجلو المصرية، ط2، مصر، 2006، ص141

لجماعات معينة تعيش ضمن مجتمع معين، بينما يشير التغير الثقافي إلى ظهور صفات جديدة و مركبة تمثل الجوهر الثقافي[1].

إن التغير الثقافي عملية موازنة يعمل من خلالها المجتمع على الملاءمة بين كيانه وتنظيماته، كما أنّ التغير الثقافي يرتبط بوظيفة إشباع الحاجات الأساسية و الثانوية لأعضاء الثقافة الواحدة، فالعادات و أنواع السلوك و الوسائل المادية، التي تقدمها الثقافة، يتوقف بقاؤها على مدى قدرتها على الاستمرار في إشباع تلك الحاجات، و هي حين تعجز عن ذلك، يكون التغير ضرورة اجتماعية[2].

و يقول "**كينجزلي ديفيز – Kingsley Davis** " أن التغير الاجتماعي هو التحوّل الذي يطرأ على التنظيم الاجتماعي، سواءاً في تركيبه و بنائه، أو في وظائفه و هذا يعني أنّ التغير الاجتماعي جزء من التغير الثقافي، الذي هو أشمل و أوسع نطاقاً، إذ هو يتناول كل التغيرات التي تحدث في أي فرع من فروع الثقافة، بما في ذلك الفنون و العلوم والفلسفة و التقنيات، كما يشمل صور و قوانين التغير الاجتماعي نفسه، و من ثمّ فلا بدّ عند دراسة التغير الثقافي أن يكون ذلك في النطاق الذي ينبع فيه ذلك التغير من التنظيم الاجتماعي، أو يؤثر فيه[3].

و يضيف الدكتور مصطفى الخشاب في كتابه " دراسة المجتمع" بأن تحليل العلاقة بين ما هو اجتماعي و ما هو ثقافي يكون من خلال دراسة التغيّر، فهو يرى بأنه لا يمكن تصور حدوث تغيرات ثقافية خارج البناء الاجتماعي أو خارج وظائفه، لأن هذا البناء يمثل الإطار الإكولوجي الذي يجسّد ثقافة معينة[4].

---

[1]- معن خليل العمر، المرجع السابق، ص 69 – 70

[2]- محمد السويدي، مفاهيم علم الاجتماع الثقافي و مصطلحاته، المؤسسة الوطنية للكتاب، الطبعة1،الجزائر، 1991، ص 108

[3]- المرجع السابق ، ص 109

[4]- المرجع نفسه ، ص 111

و يمكن القول أن درجة التغير تختلف من مجتمع إلى آخر، و من ثقافة إلى أخرى، و من عصر إلى آخر، و ذلك من حيث الزمان التاريخي و المكان الجغرافي[1].

1. عوامل التغيّر الثقافي:

التعامل مع البيئة الذي يعيش فيها الانسان بأنواعها المختلفة الاجتماعية و الثقافية والطبيعية، يقوم على قاعدة التفاعل المستمر، و يلاحظ أن بعض هذه العلاقات تفرضها عليه ثقافته، في المقابل يفرض الانسان ثقافتهعلى بعض عناصر هذه البيئة، و من خلال هذا التفاعل يحدث التغير، و هناك العديد من العوامل المساعدة أو المسببة للتغير الثقافي والاجتماعي، بعضها خارج عن دائرة الفعل الإنساني، مثل العوامل الطبيعية و البيولوجية وعوامل أخرى ناتجة عن النشاط الإنساني مثل المعطيات التكنولوجية و الثقافية و غيرها[2].

أ. العوامل الإكولوجية و الطبيعية:

يقصد بالعامل الإيكولوجي تفاعل الإنسان مع بيئته الطبيعية، و مدى نا توفر له من موارد غذائية و صناعية تؤثر في نشاطاته، و معنى هذا أن التغير الذي يطرأ على البيئة الجغرافية و لو في فترات موسمية تعكس آثار في تحولات و تغيرات اجتماعية، كما أن يطرأ على وسائل استغلال موارد هذه البيئة من تطور يتجسد في أحداث تغيرات في الحياة الاجتماعية– الثقافية. و يعود الاتجاه الإكولوجي (البيئي) إلى العلامة عبد الرحمان بن خلدون الذي قرر، في مقدمته، أن للبيئة الجغرافية أثرها في اختلاف الانسان جسميًا وعقليًا. كما نجد نفس الاتجاه عند المفكر "مونتيسكيو"،وعند الألماني "راتزل) و عند (بوكل) في انجلترا[3].

---

[1]- المرجع نفسه ، ص 108

[2]- عبد الغني عماد، سوسيولوجية الثقافة - المفاهيم و الإشكاليات من الحداثة إلى العولمة - ، مركز دراسات الوحدة العربية، ب ط، بيروت، 2008 ، ص 192

[3]- محمد السويدي، المرجع السابق، ص 124

ب. **العوامل الثّقافية:**

من جملة العوامل الثقافية التي أثرت في عملية التغير الاجتماعي، تطور العلوم و علمنة الفكر في تنمية النظرة النقدية في عالمنا الحديث، كذلك مضمون الأفكار قد تغيرت إذ أنّ التصورات عن الحرية و المساواة و المشاركة الديمقراطية هي كلها من نتاج القرنين أو الثلاثة الماضية. و مثل هذه التصورات هي التي دفعت بمثل هذا التغيير الاجتماعي و السياسي[1]. إن التغيرات الثقافية و تعدل النماذج السلوكية ، و غالبية التغيرات الثقافية تحدث نتيجة الاختراع و الانتشار و الاستعارة و المحاكاة، و من الطبيعي أن تختفي بعض العناصر القديمة أثناء عمليات التغير، و لكن أيضا من الممكن أن تعيش و تتساكن جنبا إلى جنب مع العناصر الجديدة بصورة تختلف أو تتغير وفقًا لها أنماط السيادة أو التساند بينهما[2].

ج. **العوامل التكنولوجية:**

فلقد أدى تطبيق العلم في مختلف ميادين الحياة إلى تطورات هامة كان من أبرزها زيادة القدرة على الكشف و الاختراع بصورة مطردة، و انتشار التصنيع و نمو المدن و المواصلات الحديثة السريعة، و غيرها من التطبيقات العلمية، التي غيرت من الظروف المادية للحياة الإنسانية و أسس التنظيمات الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية خلال عدد قليل من السنين، و كلما زادت قدرة الإنسان على التطبيق العلمي، في هذه الميادين، زادت سرعة التغير على الرغم من وجود كثير من العقبات التي تعود إلى الخوف و التمسك بالتقاليد والنزعة إلى المحافظة و المصالح الخاصة[3].

د. **العوامل الاديولوجية:**

تعتبر الايديولوجية قوة فكرية تعمل على تطوير النماذج الاجتماعية و الثقافية وفقاً لسياسة متكاملة تتحدد في أساليب و وسائل هادفة، و تساندها عادة تبريرات اجتماعية أو نظريات فلسفية، أو أحكام

[1]- **أنتوني غيدنز، المرجع السابق، ص 110**
[2]- **عبد الغني عماد، المرجع السابق، ص 199-200**
[3]- **محمد السويدي، المرجع السابق، ص 121-122**

عقائدية، أو أفكار تقليدية، و من هنا ترتبط الاديولوجية بالحركة الاجتماعية، فهي ليست مجرد مجموعة من الأفكار و المعتقدات و الاتجاهات التي تصور كما معينا من الناس، سواء كان هذا الجمع أمة من الأمم أو طبقة من الطبقات الاجتماعية، أو مذهبا من المذاهب، أو مهنة أو حزبا من الأحزاب، و إنما هي حركة هادفة، لها فاعلية إيجابية في البيئة الاجتماعية، و في العلاقات الاجتماعية و الثقافية، وتنعكس آثارها و فاعليتها على التنشئة الاجتماعية، مما يحدث تغييرًا في القيم الاجتماعية و في نظرة الناس لطبيعة التدرج الطبقي و للعمليات الاجتماعية المختلفة[1].

- **الثورات**: تعتبر الثورة من أهم عوامل التغير الثقافي،ذلك أن الثورة بمعناها الحقيقي وبمفهومها العلمي تنطوي على تغير فجائي شامل، جذري و سريع، في المجتمع الذي يفجرها و يعيش آثارها. ولهذا فالثورة هي علم التغير الاجتماعي الشامل و العميق لصنع حياة جديدة، تفي بمطالب الثوار وآمالهم.
- **الحروب**: أيضا من العوامل القوية في إحداث التغيرات الثقافية للمجتمع، فالشعب الغازي مثلاً قد يأتي بثقافة جديدة يفرضها على أبناء المجتمع الخاضع، و هذه الثقافة والأفكار و الفلسفات الجديدة إذا ما أخذ بها المجتمع فإنها تؤدي إلى تغير جانب كبير من التراث الثقافي للمجتمع المادي منه و اللامادي[2].

2. ديناميات التغير الثقافي:

تحمل الثقافة في طياتها عوامل تغيرها، كما تتصف عملياتها بالاستمرارية إذ ليست العناصر الثقافية استاتيكية الحال، بل تتصف بالدينامية، و تشمل الثقافة على عموميات و خصوصيات، فأما العموميات فهي السمات الرئيسية التي تسود المجتمع كله و تميزه عن المجتمعات الأخرى، كما تتمثل في وحدة المعتقدات الدينية و العادات و التقاليد، و اللغة و الممارسات المشتركة بين أعضاء المجتمع الذي يحافظ عليها أشد الحفاظ. و أما الخصوصيات فهي الجوانب الوظيفية من الثقافة يتخصص في كل جانب منها

[1]- المرجع نفسه، ص 125
[2]- المرجع نفسه ، ص 123-124

جماعة من الأفراد يقومون بإتقانها و الاعتماد عليها عند تقديم خدماتهم للجماعة. و تعتبر الخصوصيات أساس تقسيم العمل و توزيع الأدوار داخل الجماعة، فهي ليست ثابتة كالعموميات ، بل تتطور و تتبدل، و يمكن استعارتها أو اقتباسها من جماعات أخرى. و تتأثر الخصوصيات الثقافية بالعوامل الداخلية مما قد يؤدي إلى اختلاف عما اتفق عليه معظم أفراد المجتمع في مجالات التفكير و العمل أو أنواع النشاط المختلفة، و ظهور ما يعرف بالبدائل الثقافية على شكل أساليب جديدة في التفكير و العمل. كما تظهر البدائل نتيجة لاحتكاك ثقافي مع مجتمع خارجي، يتولد عنه سمات ثقافية[1].

المبحث الثالث: النظريات المعاصرة و المفسّرة للتغير الاجتماعي و الثقافي

ظلت نظريات التغير الاجتماعي التي طرحت إلى الآن ، مرتبطة ارتباطا وثيقا بالتفسيرات الفلسفية للتاريخ. و هناك أكثر من طريقة لتصنيف هذه للنظريات، و لكنه من الأفضل أن نبدأ بالتمييز الأوّلي بين **النظريات الخطية و النظريات الدائرية**[2].

أ. النظريات الخطّية:

تعتبر نظريات **كونت و سبنسر و هوبهوس و ماركس** من النظريات الخطية، و تفسر نظرية **كونت** التغير الاجتماعي بأنه محصلة النمو الفكري للإنسان، و قد صاغها في قانون المراحل الثلاث بأنها الارتقاء من أساليب الفكر اللاّهوتي الديني إلى الأسلوب الميتافيزيقي إلى الأسلوب الوضعي للفكر الذي يمثله العلم الحديث و خاصة السيطرة التدريجية لنزعات الغيرية على الأنانية. و يصاحب هذا التقدم الفكري نمو أخلاقي، و تغيرات في النظم الاجتماعية. أما نظرية **سبنسر** في التغير الاجتماعي فقد كانت أكثر شمولاً في بعض جوانبها ، و كانت مبنية على بيانات امبريقية أكثر كفاءة من تلك التي استعان بها كونت. و قد أدرك سبنسر بشكل أكمل تعدد و تنوع العوامل الداخلة في إحداث التغير الاجتماعي،

---

[1]- أحمد زايد، اعتماد علام، المرجع السابق ، ص 141-142

[2]- مجموعة من الأساتذة، التغير الاجتماعي و الثقافي، دار المسيرة للنشر و التوزيع و الطباعة، ط 1، 2010 ، الأردن ، ص 347

كذلك صعوبات بيان التطور في كل مجتمع على حدة. و قد لاحظ فيما يتعلق بالموضوع الأخير أنه على الرغم من أن التطور أمر حتمي لا مفر منه إذا أخدنا جميع أنواع المجتمعات على الجملة، إلا أنه لا يمكن أن يعتبر حتميا في كل مجتمع على حدة أو ممكنا فعلاً. و قد تأثر **هوبهوس** تأثرًا كبيرًا بكل من كونت و سبنسر، إلاّ أن نظريته في التغير الاجتماعي قد وضعت بطريقة أكثر صرامة، كما أن استخدامه للبيانات التاريخية و الانثروبولوجية كان أكثر عملية و أكثر نقدية، و قد أخذ عن كونت فكرة التطور العقل الانساني كان هو العامل الحاسم في التطور الاجتماعي. إلاّ أنه لم يقبل وضعية كونت القاطعة، و استطاع أن يدعم عرضه للنمو العقلي بنظرية سيكولوجية أكثر صحة. و قد أخذ عن سبنسر فكرة التطور الاجتماعي أو النمو الاجتماعي كعملية زيادة الحجم ، و التعقد و التباين الداخلي. و هكذا نجد أن مفهومه عن التغير الاجتماعي هو أن تطور العقل يؤدي إلى تطور اجتماعي، و أنه يمكن اعتبار هذا التطور تقدميا دائماً، طالما أن تطور العقل ينطوي على تطور الأفكار الأخلاقية تجاه المثل الأعلى لأخلاق رشيدة من شأنه أن يؤدي إلى تغير النظم الاجتماعية الرئيسية. أما نظرية **ماركس** في التغير الاجتماعي فتفرد مكانة خاصة لعنصرين في الحياة الاجتماعية : نمو التكنولوجية (القوى المنتجة) ، و العلاقات بين الطبقات الاجتماعية. و ترى النظرية أنه يقابل كل مرحلة معينة من مراحل تطور القوى المنتجة أسلوب معين في الإنتاج و نسق معين، تعمل الطبقة المسيطرة على تثبيته للعلاقات الطبقية و تدعيمه. غير أن التطور المستمر في القوى المنتجة يغير في العلاقات بين الطبقات ، كذلك في ظروف الصراع الدائر بينها. و في الوقت المناسب تصبح الطبقة التي كانت خاضعة في ذلك الحين قادرة على الإطاحة بأسلوب الإنتاج القائم و بنسق العلاقات الاجتماعية، و على إقامة نظام اجتماعي جديد[1].

[1] - **مجموعة من الأساتذة، المرجع السابق ، (ملخص من صفحة: 348-349-350)**

ب. النظريات الدائرية:

يذهب أصاحب هذه النظريات إلى أن التغير صعوداً وهبوطاً في تموجات على شكل أنصاف دوائر متتابعة وبنظام مطرد، بحيث يعود المجتمع من حيث بدأ في دورة معينة، وتنقسم النظريات الدائرية إلى نوعين: بعضها يفسر جانباً محدوداً من جوانب الحياة الاجتماعية أو يشرح ظاهرة أو نظاماً اجتماعياً واحداً، وبعضها الآخر يهدف إلى تفسير المجرى العام للتاريخ، متناولاً جميع الظواهر والنظم والأنساق الاجتماعية دون أن يركز على ظاهرة واحدة أو نظام بذاته، ومن أصحاب النظريات الدائرية: **عبد الرحمان ابن خلدون، أوزولد سبنجلر، فيكو، ارنولد توينبي** .

يرى **ابن خلدون** (**1332–1406م**) أن المجتمع الإنساني كالفرد يمر بمراحل منذ ولادته حتى وفاته، وأن للدول أعماراً كالأشخاص سواء بسواء، وعمر الدولة في العادة ثلاثة أجيال، والجيل أربعون سنة، فعمر الدولة إذن مائة وعشرون سنة، وفي هذه الأجيال الثلاثة يمر المجتمع بمراحل ثلاث هي:

1. مرحلة النشأة والتكوين: وهي مرحلة البداوة، ويقتصر الأفراد فيها على الضروري من المعيشة.
2. مرحلة النضج والاكتمال: وهي مرحلة الملك، وفيها يتحول المجتمع إلى الحضارة.
3. مرحلة الهرم والشيخوخة: وهي مرحلة الترف والنعيم أو الحضارة.

أما المؤرخ الألماني **أوزولد سبنجلر** (**1880–1936م**)، نتيجة للحروب و ما تخلف من مصائب، خاصة الحرب العالمية الأولى، برزت نظرة تشاؤمية لمصير المجتمع الإنساني، و في كتابه " سقوط الغرب"، و قياسا على حياة الكائن الحي، فإن مدة وجود الكائن مستقلة عن الأحداث و الإرادة الفردية، و تنطبق هذه الحتمية في نظره على الدولة و حضارة الأمة. " فكل حضارة تمر بمراحل محددة، الولادة و المراهقة و النضوج ثم الزوال و الموت. و تستمر كل مرحلة من هذه الفترة الزمنية المحددة، هي دائما نفسها، و تتكرر دائما بالروح و الرمز نفسيهما، و بهذا فلكل حضارة، كما هي الحال مع الكائن الحي، دورة حياة

تنتهي بالموت و الزوال". هذا التوجه لا يهتم بمصادر التغير، بل يركز على عمليات التغير و مظاهره و مراحله، و يجعل هذا أمرًا حتميا ينطبق على جميع المجتمعات. و يفرق سبنجلر بين مفهومي الثقافي و الحضارة، فتمثل الثقافة الوحدة العضوية الحية، بينما تمثل الحضارة نصباً لثقافة قامت تاريخيا. فالثقافة و الناس و اللغة و الآلهة، تولد و تنضج ثم تزول[1].

و المؤرخ البريطاني **ارنولد توينبي** (**1889**–...) اقترح بأن المجتمعات تمر من خلال دوائر التحدي و الاستجابة، و التحدي يلتقي مع أو يواجه استجابة اجتماعية الأمر الذي يبلور تحدياً اجتماعيًا جديداً. و هذا يعني أنّ توينبي أكثر تفاؤلاً من سبنجلـــر لأنه (توينبي) يرى أن المجتمعات تتقدم نحو الأمام و الكمال أو النضج[2].

أما **فيكو** (**1725**) ظهر في مرحلة النهضة أو مرحلة التنوير، الذي قال بأن الحياة الاجتماعية تتكرر في كل حقبة تاريخية مع ظهور بعض الظواهر الجديدة مع بعض التعديلات، و هي تأخذ ثلاث مراحل هي:

1. مرحلة التوحش التي يغيب فيها وجود حكومة.
2. مرحلة النظام و المدينة التي تصاحبها قواعد سببية و صناعية متقدمة.
3. مرحلة المدينة المتضمنة بعض حالات بربريـــة[3].

[1]- **ابراهيم عيسى عثمان، مقدمة في علم الاجتماع، دار الشروق للنشر و التوزيع، ط 2، عمان، 2012، ص 362**
[2]- **معن خليل العمر، المرجع السابق، ص 227**
[3]- **المرجع نفسه، ص 229**

المبحث الرابع: مفهوم الرّمز:

1. تعريف الرّمز أو (الرّمزية):

الرمز هو إشارة أو علامة أو مفهوم تعبر عن شيء آخر، و دراسة الرموز مهمة لأنها عامة و تشترك فيها العواطف و المعلومات و المشاعر التي قد تقوم بوظيفة التماسك الاجتماعي و الالتزام الاجتماعي و مع ذلك فإن لها اعتلال وظيفي يتمثل في صراعات الاجتماعية، مثل الرموز المقدسة التي غالبا ما تجدد في كافة الثقافات الانسانية لأن جميع الثقافات تتضمن رموزا خاصة بها[1].

و الرمزية لغة مصدر مشتق من فعل (رَمَزَ، يَرْمُزُ، رَمْزًا)، بمعنى أومأ و أشار. و الرمز يدل على الموضوع أو التعبير أو النشاط الإنساني – الاجتماعي الذي يوحي بفكره أو يشير إلى قيمة شيء مجردة، و يحل محلها و يصبح مثلاً لها و بديلاً عنها. إنه يستخدم استخداما مطردًا ليمثل مجموعة من الأشياء، أو نوعا من أنواع العلاقات الاجتماعية أو الفكرية أو الروحية. و يقال "الرمز الاجتماعي" حيث يشترك فيه أفراد المجتمع، كالرموز التي تمثلها الميثولوجيا و الفولكلور، و الرموز الوطنية و القومية و الانسانية[2].

في مصطلح علم الاجتماع الفرنسيين (دوركايم و موس)، استخدما الوصف الرمزي في مجال الأساطير و الطقوس و الأضحية و الصلاة، و يقوم كتاب موس الشهير (**Essai sur le don**) على تصور للرمزية الاجتماعية يشدد على المؤثرات الاجتماعية للوظيفة الرمزية. هذا ، و يشدد دوركايم في كتابه (الأشكال الأولية للحياة الدينية) على تصور للرمزية مماثل لتصور موس. فهو يصور المعتقدات و العبادات و الطقوس تفسيراً رمزياً، لا تفسيراً حرفيا، و يرى أن الأقدمين لا يكرمون النباتات و الحيوانات و إنما

---

[1]- معن خليل العمر، معجم علم الاجتماع المعاصر، دار الشروق للنشر و التوزيع، ط2، 2006، ص 406

[2]- عبد الغني عماد، سوسيولوجية الثقافة- المفاهيم و الإشكاليات من الحداثة إلى العولمة، المرجع السابق، ص 169

يكرمون المجتمع. ذلك الشيء الذي يجسد الحيوان و النبات.و إذا وضعنا جانبا المعنى الذي يعطيه دوركايم للمجتمع، فإننا مع ذلك نراه يشدد على أنّ المجتمع من أصل رمزي (جوهره رمزي)[1].

يقدم التحليل النفسي لعلماء الاجتماع نظرية مغرية جدا عن الرمز، فقد أتاح **علم الأحلام** (**La traumdeutung**) الفرصة أمام فرويد لكي يطور نظريته الرمزية (الصورة الحلمية تتميز عن الصورة الادراكية، و عن الذكرى: إنّ الصورة الحلمية ترمز للرّغبة المقموعة)، إذن رمزية فرويد هي مسار إبدال و مسار تسوية و هي تسمح بمعالجة الدوافع الغريزية اللاّواعية من جهة، و معالجة الاكراهات الاجتماعية و بشكل أعمّ موجبات مبدأ الواقع من جهة ثانية[2].

و يتطلب الرمز إذا ثلاث عناصر:

- **دالّ** (**Signifiant**): و هو الشيء الذي يحل محل شيء آخر، أي الرمز نفسه بالمعنى الدقيق و الملموس للكلمة.
- **مدلول** (**Signifie**) : و هو الشيء الذي يحل الدال مكانه.
- **الدلالة** (**La Signification**) : و هي العلاقة ما بين الدال و المدلول. و هي علاقة ينبغي لها أن تدرك و تفسر على الأقل من قبل الشخص أو الأشخاص الذين يتوجه الرمز إليهم.

و جميع الرموز الاجتماعية تقريبا ليست في الواقع إلاّ كناية عن علاقة عرفية مع مدلولها[3].

---

[1]- **خليل أحمد خليل، المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع، المرجع السابق ، ص 110**
[2]- **المرجع نفسه، ص 112**
[3]- **عبد الغني عماد، المرجع السابق ، ص 170**

2. وظيفة الرّمز:

تؤدي الرموز وظيفتين اثنتين، الأولى هي وظيفة **الاتصال**، و الثانية هي وظيفة **المشاركة**. و هما يتساندان في أوجه الفعل الاجتماعي، فرمزية الاتصال تيسر المشاركة و تساعد عليها ، و رمزية المشاركة تقيم أنماطاً عدة من الاتصال أيضا.

يستخدم الإنسان وسائل عديدة للتعبير عن حالته النفسية و أفكاره أهمها:

✓ **اللغة الانفعالية أو العاطفة**: الانفعالات و العواطف و الهيجانات تعبيرات تظهر على حركاتنا، و تبدو بصورة خاصة على تقاطيع الوجه.و هي إن كانت غامضة بعض الشيء لكنها واضحة (مثل حالات الفرح، الخجل احمرار الوجه..إلخ).الإشارات و الرموز أيضا تستخدم للتعبير، لغة الفنون و إشاراتها، فلكل فن لغته، فالرسم يستخدم الخطوط و الموسيقى تتنوع بتنوع الآلات.الأصوات و هي تستخدم بكيفيات متعددة، فاللغة المحكية تستعمل مجموعة من الأصوات كي تؤلف تنوعا كبيرا من الرموز هي "الكلمات"، و عندما تصبح اللغة مكتوبة يتاح لها أن تكون أوسع انتشارا. إن هذه الأشكال المختلفة من الاتصال تؤلف أول مستوى من الرمزية[1].

بالإضافة إلى الاتصال، فإن الرموز لها وظيفة أخرى تتعلق بالمشاركة، إنها تستخدم بصورة فعالة في تحسين الحقائق المجردة، العقلية أو الأخلاقية في المجتمع و تجعلها مرئية و ملموسة، و هي بهذا تسهم في التذكير و المحافظة على مشاعر الانتماء، و في إثارة أو تأمين المشاركة التي تلائم الفاعلين حسب الوضع و الدور الذي يفرضه. و بحسب "غي روشيه" يمكن حصر أنواع الرموز بالأوجه التالية:

أ. **الرّموز الدافعة إلى التضامن**: و ذلك باعتبار الجماعات كيانات تحتاج إلى رموز لتمييزها عن الرموز الأخرى أو لتثبيت وجودها في نظر الآخرين، هذه حالة الجماعات القومية أو الاثنية التي تتميز برموز

[1]- **المرجع السابق ، ص 172**

متنوعة : علم، شعار شرف أو نسب، نشيد وطني، لون مميز، رجل دولة و قائد كاريزمي..هذه الرموز لا تساعد فقط على تقديم الجماعات و تمثيلها بصورة حسية، بل يمكن كذالك أن تستخدم من أجل أن تثير التضامن و الانتماء عند الأعضاء[..]، و على المستوى الميكروسوسيولوجي يتميز كثير من الأعياد و الحفلات العائلية بطابع رمزية المشاركة و هو دليل على التضامن.

ب. **الرموز المحددة للتنظيم التراتبي للجماعات**: يترافق مع جميع أشكال التراتبيات الاجتماعية نوع من الرمزية في غاية الغنى، تظهر التميزات في المرتبة و النفوذ بوضوح و جلاء. فالحي و نمط السكن، و السيارة و المدرسة التي يدرس فيها الأولاد ، و الجمعيات، مكان قضاء العطل، اللغة، كل ذلك يستخدم كدليل أو إشارة أو رمز للمكانة التي نحتلها، و للسلطة التي نمارسها و للهيبة أو الوجاهة التي نتمتع بها.

ج. **الرموز التي تشد الحاضر إلى الماضي**: يحمل الماضي إلى أي جماعة بعضا من هويتها كما هو الحال أيضا بالنسبة إلى الأفراد. و أي مجتمع يتحدد و يعرف في جزء منه، بأصوله و تاريخه و تطوره. لقد دافع "موريس هالبواك – **Maurice Halbwachs**" ببراعة على هذا الرأي في موضوع ما يسميه" **الذاكرة الجمعية**". حيث إن التشابه غالبا ما يكون بارزا بينها و بين الذاكرة الفردية. تعمد الذاكرة الجمعية إلى الرمزية بكثرة[1].

[1]- **المرجع السابق ، ص 174-175**

الخلاصة

و نستخلص مما سبق أن المجتمع لا يبقى كما هو في حالة استقرار و ثبات لكنه في حالة دائمة من الحركة و التطور، لذا فإن عملية التغير أو التحول عملية دائمة و مستمرة وهي ظاهرة طبيعية تحدث في كافة المجتمعات بحيث يؤدي إلى سلسلة من التغيرات تحدث بدرجات متفاوتة و هذا راجع إلى عدة أسباب منها العولمة و التطور التكنولوجي ،كما أن التغير في عالمنا المعاصر قد اتخذ اتجاها سريعا، و أصبحت المجتمعات تعيش في عالم لا تستطيع أن تلاحق التغيرات التي تحدث فيه يوما بعد يوم. كما تطرقنا إلى مفهوم الرمز و استخلصنا أنه فعالية إنسانية ، بها يعيش الإنسان ويؤثث وجوده ويبني عالمه المادي والمعنوي ويرسي نظام الأشياء والعلاقات بينه وبين الآخرين من الناس. ،وما يهمّنا هي الممارسات الرمزية المنظّمة التي ينخرط فيها النّاس جميعا وتكاد لا تخلو منها أفعالهم الفردية و الجماعية ، ألا وهي الطقوس الاحتفالية للزواج، و هذا ما سنحاول تبيانه في هذا البحث.

الفصل الرّابع

(تلمســـان بين الأمس و اليوم)

الفصل الرّابع: مدينة تلمسان بين الأمس و اليوم

تمهيد

المبحث الأوّل: تلمسـان تاريخيا

المبحث الثاني: تلمسان جغرافيا

المبحث الثالث: تلمسان ثقافيا و حضاريا

الخلاصة

تمهيد:

تلمسان مدينة من بين أعرق مدن التاريخ و الحضارة في المغرب العربي و التي يلقبها سي قدور بن غبريت بـ (**لؤلؤة المغرب الكبير**)[1] ، تزخر بآثار كبيرة خلفتها حضارات الأمم و الشعوب التي تعاقبت على المنطقة و ظلت شاهدة على عمق ماضيها و عظم شأنها بين المؤرخين و الرحالة و الجغرافيين. اشتهرت تلمسان بكونها مركزا عسكريا و تجاريا و حضاريا و سياسيا بارزا في منطقة الشمال الإفريقي عبر العصور، ممّا دفع بكل الدول التي حكمت هذا الفضاء الجغرافي إلى السعي الدءوب للسيطرة عليها و ضمّها إلى حظيرة ممتلكاتها.

لقد أنجبت تلمسان فطاحل العلماء و الأدباء و الشعراء و الفقهاء و الكتاب والمفكرين و المؤرخين، شاركوا في بناء صرح الحضارة العربية الإسلامية و إثرائها تلك الحضارة التي كانت أهم رافد لنهضة أوروبا و يقظتها، فهي تعتبر من قلائل المدن العالمية التي حظيت بدراسات كثيرة عبر مراحلها الحافل بالأحداث المليء بالأمجاد، لها ماضيا تاريخيا هاما اكتسبته من موقعها الجغرافي و من كونها كانت عاصمة المغرب الأوسط لأكثر من ثلاث قرون، ازدهر خلالها الفكر، و أخصبت الحضارة و تطور العمران، و استهوت العديد من رجالات الفكر و السياسة و الثقافة ممّا جعلها في الأخير مدينة " الفن و الثقافة والتاريخ".

و من خلال هذا المبحث سنحاول التعرف بإيجاز عن ميدان بحثنا (مدينة تلمسان قديمًا و حديثاً) ، معتمدين بصورة أساسية على ما كتب حولها و تطورها عبر الأزمنة و العصور لكثير من المؤرخين، بالإضافة إلى إبراز أهم مميزاتها بإيجاز من الناحية التاريخية، الجغرافية و الحضارية و الثقافية.

[1]- **سي قدور بن غبريت، تلمسان لؤلؤة المغرب، مجلة (Richesse de France) ، العدد 18، دلماس، بوردو، 1954، فرنسا**

المبحث الأول: تلمسان تاريخيا (نشأة مدينة تلمسان و تطورها التاريخي):

1. ما قيل قديما عن تلمسان:

لقد استقطبت تلمسان منذ القديم اهتمام المؤرخين الذين استهوتهم مآثرها [...]، وسنكتفي بما قيل في تلمسان قديما بالاستعانة ببعض المقولات لشخصيات مرموقة في التاريخ، و علم الاجتماع، و الرحالة و الأدب لنقف على سحرها:

- قول مؤرخ: قال **الشريف الادريسي** عن تلمسان: " هي مدينة أزلية و لها سور حصين الوثاق، و هي مدينتان في واحدة يفصل بينهما سور و إحدى المدينتين بناها المرابطون و هي 'تاقرارت' ".
- قول عالم الاجتماع: حيث قال فيها **عبد الرحمان بن خلدون**: " ...فأصبحت –أي تلمسان– أعظم أمصار المغرب ، و نفقت فيها أسواق العلوم و الصنائع، و ضاهت أمصار الدول الاسلامية و القواعد الخلافية".
- قول ناثر: و ممن وصفوا تلمسان لسان **الدين بن الخطيب الأندلوسي** حيث قال فيها: " تلمسان مدينة جمعت بين الصحراء و الريف و وضعت في موضع شريف، كأنها ملك على رأسه تاجه، و حواليه من دوحات حشمه و أعلاجه، عبادها يدها و كهفها كفها، و زينتها زيانها و عينها أعيانها..."[1].
- و **العبدري** الرحالة يقول عن تلمسان : " مدينة كبيرة سهلية ، جبلية، جميلة المنظر مقسومة بإثنين بينهما سور و لها جامع عجيب مليح متّسع، و بها أسواق قائمة وأهلها ذو لياقة و لا بأس بأخلاقهم و بظاهرها في سند الجبل موضع يعرف بالعباد و هو مدفن الصالحين و أهل الخير و بها

[1]- محمد الحربي حرز الله، تلمسان مهد الحضارة و واحة ثقافة، دار السبيل للنشر و التوزيع، ط1، الجزائر، 2011، ص 18-19

مزارات و من أعظمها و أشهرها قبر الصالح القدوة فرد زمانه أبي مدين شعيب و عليه رباط مليح مخدوم مقصود[1].

2. أصل التسمية:

يستغرب الكثير من المؤرخون الذين اهتموا بتلمسان عدم اهتمام القدامى بأصل التسمية للمدينة رغم أنهم تناولوا جوانب عديدة من تاريخ هذه البلدة الضارب في القدم، فلا ابن خلدون ' عبد الرحمان و يحي' و لا ابن عبد الجليل التنسي و لا غيرهم فصل في أصل التسمية و سببها.و لأسباب السالفة الذكر ، يختلف علماء الآثار و المؤرخون في أصل تسمية المدينة بتلمسان، و يذهب أهل الاختصاص في طرح الافتراضات كثيرة يعتقد أنها كانت مصدراً لأصل التسمية، و لابد من الإشارة أن المدينة لم تحمل هذا الاسم وحدهُ عبر تاريخها الطويل، بل اتخذت أسماء عديدة لعلّ من أهمها في تاريخا الوسيط اسم "**أغادير**" و معناها الصخرة (**Rocher**) أو القلعة الحصينة (**Citadelle**) باللغة البربرية، و لقد ظلت محتفظة بهذا الاسم لمدة طويلة، أما ابتداءًا من النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي و مع ظهور الموحدين ، فقد اتخذت المدينة هيكلاً جديداً في الضاحية الغربية لأغادير عرف باسم " **تغرارت**" يمعنى المحطة (**Station**) و أصبحت أهم ثاني مدينة في المغرب العربي بأكمله بعد مراكش، بعد أن التحمت بالمدينة القديمة "أغادير"، و يعتقد أنه خلال هذه الفترة بالذات بدأت المدينة تأخذ اسم "**تلمسان**" بشيء من التحريف حيث كانت تُلفظ بـ " تيليمسان – **Tilimcène** "[2].

و حسب د. يحي بوعزيز يتألف اسمها من كلمتين بربريتين هما (تلم) و معناها تجمع و (سان) و معناها اثنان و معناهما (تجمع اثنين) الصحراء و التّل[3].

---

[1]- **مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، منشورات الحضارة للنشر، ط1، الجزائر ، 2009، ص 129**
[2]- **محمد الحربي حرز الله، المرجع السابق ، ص 35**
[3]- **يحي بوعزيز، مدينة تلمسان – عاصمة المغرب الأوسط، دار الغرب للنشر و التوزيع ، ط2، الجزائر ، 2003، ص 15**

أمّا جورج مارسي فيعتقد أنّ اسم تلمسان من البربرية (تلا و مسان)، و معنى كلمة (تلا) عنده المنبع و (مسان) بمعني الجاف لتصبح كلمة تلمسان (المنبع الجاف) أو (البئر الجاف)[1].

و يقول الشيخ مبارك الميلي عن تلمسان:" عاصمة مملكة الزيانيين هي تلمسان بكسرتين فسكون، اسم زناتي مركب من (تلم) بمعنى تجمع و (سان) بمعنى اثنين يعنون أنها تجمع بين الاثنين (التل و الصحراء) و هي في سفح الجبل بني ورنيد المار جنوبها[2].

و يضيف الشيخ الميلي: " و تلمسان مدينتان إحداهما قديمة تعرف "بأغادير" أسّسها بنو يفرن قبل الإسلام و الثانية أحدثها يوسف بن تاشفين سنة 474م بمعسكره المحاصر لأغادير و سماها " تاغرارت" باسم المعسكر في لسانهم، و في عهد الادريسي ،كان يفصل بينهما سور و يحيط بهما سور آخر حصين متقن الوثاقة[3].

و يقول عبد الرحمان ابن خلدون أن اسم تلمسان يتكون من (تلم) و (سان) الذي يعني بلغة الزناتة الجمع بين الاثنين و معناها (الأرض و البحر)، أما بالنسبة لأخوه يحي بن خلدون فقد أخذ معنى الجمع بين الاثنين و لكن بمعنى آخر و هو (الصحراء و التل)[4].

و درج عند بعض العامة بكونها كلمة عربية مركبة من كلمتين (تلم) تجمع و(سان) الناس لتصبح تلمسان " مجمع الناس" رغم أنه لا يوجد له سند علمي و تاريخي . ولم تحمل دائمًا تلمسان هذا الاسم بل كانت تسمى " بوماريا" و " أغادير" ثم "التاغرارت"[5].

---

[1]- عبد الحق حميش، أعلام تلمسان، دار التوفيقية للنشر، ط1، 2011، ص 22

[2]- مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر القديم و الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، الجزائر، 1986، ص 444

[3]- المرجع نفسه، ص 445

[4] - ABDERRAHMEN Khalifa, Tlemcen capital du grand Maghreb central, Colorset, Alger, 2011, p 12

[5]- عبد الحق حميش، المرجع السابق ، ص 23

3. المراحل التي مرت بها مدينة تلمسان :

من المؤكد أن تلمسان قد مرت عبر تاريخها الطويل بمراحل كثيرة ، تركت بكل مرحلة بصمة من حضارة الدول التي تعاقبت على المدينة، و في ذلك يقول أحد العلماء المهتمين بتاريخ تلمسان و الذي كان له الحظ المكوث فيها طويلاً: " ليست الآثار الموجودة في تلمسان وحدها بل الصروح التي لا تزال قائمة بها أيضًا، هي التي تفتح فضل الباحثين، فكل دولة أو مملكة قامت بالمدينة تركت بصماتها و عبقرية صانعها"، و يُلخص هذا العالم إلى إمكانية دراسة تاريخ المدينة استنادًا إلى صروحها الأثرية التي لا تزال قائمة ، فيقول: " و نستطيع على كل حال ، كتابة تاريخ تلمسان من خلال معالمها"[1].

عرفت تلمسان كمدينة ابتداءًا من القرن الرابع عشر حيث أطلق عليها الرومان إسم "**بوماريا– Pomaria**" و معناها الحدائق أو الفواكه، و من الصّدف أن روعي هذا المعنى في الاسم البربري (تلمسان) الذي يطلق على العيون الجارية. كانت مدينة تلمسان أو بوماريا في العهد الروماني تابعة للمنطقة الثالثة حسب التقسيم الإداري لبلاد المغرب العربي الحالي في العهد الروماني، هذه المنطقة كانت تعرف بمنطقة موريطانيا القيصرية التي كانت قاعدتها مدينة شرشال، و هي تمتد من وادي بجاية إلى وادي ملوية (المغرب الأقصى) [2].

1.3. تلمسان في العهد الاسلامي:

إن سكان تلمسان و ما جاورها اعتنقوا الإسلام خلال عهد أبو المهاجر دينار بطرق السلمية لأن سياسة هذا الأخير تمثلت في التقرب من شيوخ القبائل البربرية و استعمال الليونة معهم ممّا جعل هؤلاء

---

[1]- محمد الحربي حرز الله، المرجع السابق، ص 40

[2]- نخبة من الأساتذة و المؤرخين، مآثر تلمسان – ماضيا و حاضرًا- ، القافلة للنشر و التوزيع،الجزائر، 2011، ص 27

يعتنقون الإسلام بدون أي مواجهة عسكرية[1] ، و قد بقيت عين من عيونها تحمل اسمه إلى عهد المؤرخ عبد الرحمان بن خلدون[2].

و حسب المؤرخون و من بينهم عبد الرحمان بن خلدون أن تلمسان كانت من ممتلكات بني يفرن البربرية الزناتية و من مؤسساتهم قبل الفتح مباشرة. حيث قال بن خلدون عن قبيلة يفرن: "كان لبني يفرن من زناتة بطون كثيرة كانوا متفرقين بالمواطن، فكان منهم بإفريقيا...و كان منهم بنواحي تلمسان، و ما بينها تاهرت أمم كثير عددهم، و هم الذين اختطفوا مدينة تلمسان[3].

2.3. تلمسان في عهد الأدارسة:

لما بايع إدريس بالإمارة من قبل برابرة أوروبا و مغيلة و مكناسة نهض إلى المغرب الأوسط سنة 174 فتلقاه محمد بن خزر بن صولات أمير زناتة و تلمسان، فدخل في طاعته و حل عليه قومه مغراوة و بنو يفرن بعد أن غلب عليها أمراؤها من بني يفرن ومكنه منها فدخلها و هو الذي اختط مسجدها و صنع منبره ثم عاد إلى المغرب.و هي كيفية انتقال تلمسان من المذهب الصفري إلى الزيدي العلوي و مصير أبي قرة اليفريني، أما ادريس فإنه عاد إلى المغرب الأقصى بعد أن عُين على تلمسان ابن عمه. و بعد وفاته تولى السلطة ابنه ادريس الثاني الذي هاجم تلمسان بدوره عام 179 ثم جدد مسجدها و أصلح منبرها و دوخ المعارضين له من القبائل الزناتية الذين يبدو أنهم تخلوا عن ولائهم بعد وفاة ادريس الأول، و لكي يحفظ بقاء تلمسان تحت سلطته عين عليها ابن عمه محمد بن سليمان ثم عاد إلى المغرب الأقصى و يبدو أن أبناء محمد بن سليمان استقروا بتلمسان بعد وفاة إدريس الثاني، و استمرت تلمسان بأيديهم إلى قيام الخلافة الفاطمية ببلاد المغرب حيث قضت على الإمارة العلوية و منها تلمسان التي استولى عليها موسى

---

[1]- مختار حساني، المرجع السابق، ص 133
[2]- نخبة من الأساتذة و المؤرخين، المرجع السابق، ص 28
[3]- المرجع نفسه، ص 28

بن أبي العافية و استمرت تابعة للفاطميين إلى أن استعادها منهم يعلي اليفريني سنه 340 هـــ و تمسك بالدعوة الأموية في الأندلس فعينه الناصر لدين الله على كل المغرب الأوسط و منها تلمسان[1].

3.3. استرجاع الأمير يعلي اليفريني مدينة تلمسان:

و لم يزل سلطان يعلي و بنوه يقوى و يتسع حتى قامت الدولة الفاطمية فغزت أقادير و المغرب، و قضت عليهم ، و قتل جوهر الصقلي يعلى فورًا و لكن الأبناء استطاعوا أن يبعثوا إمارة أجدادهم من جديد بفاس ثم بسلا بالمغرب الأقصى ، و قد تحارب أمير أقادير محمد بن الخير بن خزر مدة طويلة مع أمراء صنهاجة ورثاء الفاطميين الذين انتقلوا إلى مصر إلى أن قتل فدخلت أقادير تحت حكم الصنهاجيين مدة من الزمن. إلى أن ظهر زيري بن عطية الصنهاجي بالمغرب الأقصى، فاستبد بها على اثر انقسام دولة صنهاجة، و غزاها المنصور بن بلكين زيري، و أولى عليها ابنه يعلى بن زيري من آل خزر اليفرينيين، و عاشت أقادير عهداً من الاضطرابات نتيجة لهذه الحروب بين الحماديين الصنهاجيين و أمراء المدينة اليفرنيين[2].ثم عادت من جديد إلى المغراويين حيث استولى عليها زيري بن عطية الذي أسّس له إمارة و اتخذ مدينة وجدة عاصمة لدولته و استمرت تلمسان تابعة للمغراويين إلى أن قامت دولة المرابطين فاستولى عليها يوسف بن تاشفين[3].

4.3. تلمسان في عهد المرابطين:

عندما وجد يوسف بن تاشفين صعوبة في الاستيلاء على أقادير شيد مدينة مجاورة لها وأطلق عليها اسم المعسكر أي "تاغرارت" و بنى مسجدها ثم عين عليها والياً من بين قادته العسكريين و هو محمد بن تنغير المسوفي نسبة لقبيلة مسوفة الصنهاجية حليفة لمتونة التي ينتسب لها يوسف بن تاشفين و كان ذلك عام 443. و لما توفي هذا الوالي ، تولاها بعده إخوة تاشفين بن تينغمر و أصبحت ضمن أملاكهم إلى أن

[1]- مختار حساني، المرجع السابق، ص 134-135
[2]- يحي بوعزيز، مدينة تلمسان – عاصمة المغرب الأوسط، المرجع السابق، ص 18
[3]- مختار حساني، المرجع السابق، ص 135

استولى عليها الجيش الموحدي بعد مقتل آخر أمراء الدولة المرابطية بضواحي وهران بعدها عاد عبد المؤمن بن علي إلى تلمسان فاستولى عليها ثم قام بمجزرة بالمدينة لأنها رفضت الاستسلام للموحدين[1].

5.3. تلمسان في عهد الموحّدين:

شهدت تلمسان خلال عهد المحدين تطورا هائلا في الحضارة و العمران، و برز فيها من الزناتيين بنو عبد الواد، و بنو توجين و بنو راشد الذين تغلبوا على ضواحيها و المغرب الأوسط، و ملوكها، و تقلبوا في بسائطها و احتازوا بأقطاع الدولة[2].و لأهميتها جعل الموحدين وولاتها من بين أفراد الأسرة الحاكمة أي من أسرة عبد المؤمن بن علي.من بين الذين تولوا الحكم بها أبو عمران موسى بن أمير المؤمنين يوسف سنة 550 و كان له الدور الأكبر في إعادة بنائها و توسيعها، فهو الذي بنى المشور و اتخذ بها القصور و الصروح و غرس الأشجار و أمر الناس باختطاط الدور الرفيعة و التوسع في الرفاهية أدار عليها الأسوار العظيمة و الخنادق العميقة التي بها الآن.هذا يعني أن تلمسان قبل هذه الفترة كانت مدينة ذات طابع عسكري حيث أن الحروب التي تعرضت إليها أثرت على عمرانها، لذا أمر هذا الولي السكان بإعادة البناء كي تأخذ طابع حضري. و عندما تولاها أبو الحسن بن السيد أبي حفص، عمد هو الآخر إعادة بناء أسوارها لأن فترة توليها تعرضت بلاد المغرب الأوسط لغزو بنو غانية[3].

6.3. تلمسان في عهد بني زيان:

كانت هذه الدولة في بداية عهدها يطلق عليها اسم (دولة بني عبد الواد) ثمّ لما تولى أمرها السلطان أبو حمو موسى الأخير عام 1359م و أحياها بعد اندثارها ، أطلق عليها اسم (الدولة الزيانية) و تاريخ هذه الدولة شائك و مشحون بالحوادث و الاضطرابات[4].

---

[1]- مختار حساني، المرجع السابق، ص 136
[2]- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 21
[3]- مختار حساني، المرجع السابق، ص 137
[4]- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 42

بعد موقعة حصن العقاب سنة 1212م دب الضعف في الدولة الموحد للال ية، فظهرت ثلاث قوى تتنافس على السلطة ، و كل منها تعمل على تدعيم استقلالها. فوضع المغرب العربي تحت سلطتها باعتبارها وريثة الموحدين، و انقسمت إلى : بني مرين في المغرب، و بني زيان في الوسط و بني حفص في الشرق. و دارت بين هذه الممالك عدة حروب كانت الجزائر ساحة لها في أغلب الأحيان نظرا لموقعها بين الدولتين، و في تلك الفترة سعى جابر بن يوسف لدى الحكومة المحدية حتى تتنازل له عن إمارة –تلمسان–، و تحقق له ذلك سنة 1230م، و ما إن جاءت سنة 1235م حتى أعلن **يغمراسن** استقلاله التام عن الموحدين فأعلن نفسه أميرًا في تلمسان فطال عمره و حكم نحو خمسين سنة (481–1229/637–1282). و انقسمت تلمسان إلى جزأين 'تاغرارت' و هو مركز المدينة الرسمي و العسكري و مقر إقامة السلطان، أما 'أقادير' فهي الحي الشعبي الذي يسكنه العامة و تتمركز فيه الحمامات الشعبية و يضم هذا الحي الجامع الكبير و الذي أهدى إليه الملك (يغمراسن) ثريا مزركشة بالفسيفساء و النحاس و خشب الأرز، و هذه الثريا محفوظة حتى الآن في متحف تلمسان، كما شيد جامع ' أقادير' بمئذنة ضخمة تعطي للحي رونقا و روعة و قد رصعت جدرانها بالفسيفساء ذات اللون الأحمر قاتم[1].

"**بنو زيان**": و الزيانيون أو بنو عبد الواد، هم سلالة بربرية حكمت في غرب الجزائر في الف ترة الممتدة ما بين (1230–1554م)، و يرجع أصلهم إلى قبيلة زناتة البربرية التي استقرت شمال الصحراء الكبرى ثم هاجرت في حدود القرن الحادي عشر إلى شمال افريقيا أين أصبحوا من أنصار الموحدين.فنقلت إليهم الدولة الموحدية إدارة مدينة تلمسان، و بعد سقوط الدولة الموحدية استقل أبو يحي يغمراسن بنو زيان بالحكم لمدة 47 سنة تمكن خلالها من وضع قواعد و أسس لدولة قوية، سواءً في عهده أو بعده.

[1]- **عبد الحق حميش، المرجع السابق ، ص 94-95**

استمرت إمارة بني عبد الواد أبو بني زيان أكثر من ثلاث قرون، و لكن تلمسان بقيت مطمعا لجيرانها من الحفصيين، حكام افريقيا (تونس 625-981 هـ/1228-1574م) و المرينيين، حكام المغرب الأقصى (591-875هـ/1195-1470م) لموقعها الجغرافي وازدهار تجارها[1].

* **الجانب الاقتصادي و الثقافي لتلمسان خلال عهد الزيانيين:**

➢ **الجانب الاقتصادي:**

كانت تلمسان في القرن السابع هجري الثالث عشر ميلادي من أكبر أسواق السلاح الوارد من اوروبا عن طريق ممالك إسبانيا النصرانية، ثم الجمهوريات الإطالية و موانئ فرنسا الجنوبية و كان هذا السلاح يرد إليها فيبادله تجارها بالعاج و الأبنوس و تبر إفريقيا، و الصوف، و ريش النعام و التوابل و الطرائف الافريقية التي كان الناس يقبلون عليها، و قد تنبه يغمراسن إلى أن هذه التجارة مورد خير كبير لدولته، فأحسن معاملة التجار، و شارك هو و بعض أهل بيته في التجارة، و أصبحت تلمسان في أيام يغمراسن مركزا مالياً رئيسيا في المغرب كله.

➢ **الجانب الثقافي:**

تلمسان كانت دائما بلد علم و علماء، و كان بنو زيان من رعاة العلوم، فاستقدموا أهل العلم و الأدب و خاصة الشعراء و أحاطوا أنفسهم بالفقهاء على مثال ما كان يفعله جيرانهم و منافسوهم بنو حفص و بنو مرين، كذلك كثر في تلمسان أهل التصوف و الصلحاء و العباد[2]. كما كانت مركز إشعاع علمي و معرفي، و كان ملوكها وأمراؤها يحبون العلوم و الفنون و الآداب و يستقطبون العلماء من كل أنحاء العالم[3].

[1]- المرجع السابق ، ص 96
[2]-المرجع نفسه، ص 97
[3]- المرجع نفسه، ص 101

"**المرينيون**": خلف بني عبد الواد، المرينيون القادمون من المغرب الأقصى حاصروا تلمسان سبع سنوات ابتداءًا من عام 1299م بقيادة زعيمهم السلطان المريني "أبو يعقوب" و لم يرفع الحصار عن المدينة إلاّ بموته، إلاّ أن المرينيين قد بَنَوا خارج أسوار المدينة القديمة مدينة جديدة أطلقوا عليها اسم " المنصورة". و في الوقت الذي كانت فيه تلمسان حاضرة المغرب الأوسط كانت المدن الساحلية تكوّن دويلات مستقلة شبيهة بالدويلات القائمة بإيطاليا. و قد أدّى ذلك غلى طمع القوى الأوروبية النصرانية في البلاد، فغزو الصقليون بعض مدنها الساحلية و احتلوها فترة خلال القرن السابع الهجري ، و اشتد الخطر الاسباني عليها منذ بداية القرن العاشر الهجري، و قد كان الإسبان آنذاك يحتلون سبتة و مليلة. و قد شنت القوات البحرية الإسبانية على ميناء المرسى الكبير في غرب الجزائر سنة 1505م، و استولت على حجر باديس سنة 1508م، و على وهران و بجاية سنة 1509م، و أجبرت ميناء دلس و الجزائر على دفع إتاوة، و أقام الإسبان أمام هذه الأخيرة حصنا على صخرة مواجهة عُرف بالبينون. ضعف أمر بني زيان في القرن السادس عشر ميلادي، و عجزت مملكة تلمسان الزيانية عن مواجهة الخطر الإسباني، بسبب ضالتها و تعرضها في تلك الفترة لتفكك جديد و اضطرابات داخلية، فانتهى بها الأمر إلى عقد صلح مع الإسبان سنة 1512م، اعترفت فيه باستيلائها على عدة موانئ في غرب البلاد. إلاّ أن المدينة عانت بعد ذلك من الغزو الإسباني حيث سيطر عليها الإسبان و بدأوا في الزحف إلى المغرب العربي كله و بدأ الإسبان في محاولة تنصير المدينة و إكسابها الطابع الكاثوليكي. و لم ينفذ هذه الأخيرة من الهاوية التي تردت فيها، إلاّ ظهور الأسطول العثماني في غربي البحر المتوسط كقوة قادرة على وقف الخطر الإسباني و سيطرت على تلمسان سنة 1553م[1].

[1]- **المرجع السابق، ص 104-105**

7.3. تلمسان في عهد الامبراطورية العثمانية:

مما لا شك فيه أن تلمسان تدهورت خلال العهد العثماني و فقدت مكانتها السياسية و العلمية، و احتفظت نوعا ما بمكانتها الاقتصادية[1].

دخل العثمانيين من الجزائر العاصمة بعد معركة مع الإسبان و جعلوها تابعة لهم. و قد خضعت للعثمانيين سنة 1555 بعد أن كان فتحها القائد العثماني "**بابا عروج**"، فلما فتح عروج و خير الدين تلمسان أسرع أمراء بني حمود (الخونة) و تحالفوا مع الإسبان و شنوا هجوما ضاريا لاستعادة تلمسان، و حاصروها حصاراً شديدًا و قامت الأساطيل الإسبانية بقصف المدينة قصفًا مكثفًا، و دافع عروج و رجاله عن المدينة، حيث في 1518م وقعت اشتباكات عنيفة بين الإسبان و معهم خونة بني حمود و بين عروج و رجاله، و انتهى بمقتل عروج و أخيه إسحاق و الكثير من رجالهما. و ظلت تلمسان عثمانية إلى غاية سقوطها في يد المحتل الفرنسي[2].

* **أما الجانب الثقافي للمدينة:** تراجع المد العمراني للمدينة و توقف عطاؤها الثقافي و اختفت عن مسرح الأحداث لمدة ثلاث قرون، قبل أن تعود للظهور مرة أخرى على يد الأمير عبد القادر الذي قاد الكفاح ضد الاستعمار الفرنسي و نجح في استرداد المدينة عام 1836م[3].

* **التركيبة السكانية للمدينة:** بعد دخول الأتراك إلى الجزائر ظهر عنصر بشري جديد فيها بسبب علاقات الزواج القائمة بين الأتراك و السكان المحليين يعرفون بـ "**الكولوغلي**"، و ظل الجنس التركي مؤثرا على الوضع الديموغرافي للمدينة إلى أن صار سائدا على حساب بقية مكوّنات المجتمع من البربر و العرب الأندلسيين[4].

---

[1]- نخبة من الأساتذة و المؤرخين، المرجع السابق، ص 45
[2]- عبد الحق حميش، المرجع السابق ، ص 105-106
[3]- المرجع نفسه، ص 106
[4]- عبد الحميد بوسماحة، تلمسان تاريخ و ثقافة، منشورات الريان، تلمسان، 2011، ص 88

8.3. تلمسان في عهد الاحتلال الفرنسي (1830):

بين عامي 1830-1833م تبعت تلمسان سلطان مراكش، و ذلك بعد أن تحررت من سلطان الأتراك في تلك الحقبة، و اعترف الأمير بهذه التبعية و استعان بالحضر (و هم عرب المغرب و البربر) فأفلح في بسط سلطانه على تلمسان، بيد أن هذا السلطان لم يكن موطدا، و دخل الفرنسيون تلمسان أول مرة 1836م، و لكنهم تخلوا عنها إلى نائب الأمير عبد القادر في 1837م، بموجب معاهدة تافنة، و في 1842م استولى بيجو **Bugeaud** مرة ثانية على تلمسان بعد أن نقضت معاهدة تافنة[1]. و وقعت معركة حاسمة بين جيش الأمير و الجيش الفرنسي الذي كان يقوده الكولونيل "**دو مونطانياك – De Montagnac**" بالكركور قرب مدينة مغنية، خسر فيها الجيش الفرنسي ما يزيد عن المائتين قتيل، من بينهم دو مونطانياك ، ثم وقع في نفس تلك المدة بالقرب من مدينة الرمشي لقاء بين جيش الأمير و حامية فرنسية مركبة من مائتي جندي، فاستسلم أفرادها لجيش الأمير من دون قتال، و هذه الواقعة هي التي كانت سببا في نقض ما تعهد به ولي عهد ملك فرنسا للأمير و سجن مدة طويلة في قصر أمبواز[2].

لم يكن للأمير عبد القادر الوقت الكافي ليترك بصمته بمدينة تلمسان لأن تركيزه الوحيد كانت المقاومة[3].الاحتلال الفرنسي لم يُدِم حكم الأمير عبد القادر طويلاً لتلمسان، إذ أن الفرنسيين سرعان ما عادوا فاحتلّوا المدينة من جديد و بَنَوا بها مركزاً عسكريا في حي " المشور" ، ثم عادت المدينة لتسقط تحت الاستعمار من جديد في عام 1844م و كان في هذه المرة فرنسيًا و استمر حتى الستينات من القرن العشرين عام 1962م حين استقلت الجزائر[4].

---

[1]- المرجع السابق، ص 107

[2]- نخبة من الأساتذة و المؤرخين، المرجع السابق، ص 48

[3] - ABDERRAHMEN Khalifa,Ibid, p 116

[4]- عبد الحق حميش، المرجع السابق ، ص 108

اكتسب المدينة تنوعا إنسانيا واسع النطاق ظهر فيه الثقافة و الآداب و العادات الاجتماعية في مزيج فريد لا تحوزه إلاّ تلمســـان.

المبحث الثاني: تلمسان جغرافيا:

سوف نتعرض إلى الموقع الجغرافي لمدينة تلمسان مع أهم المميزات المناخية و الطبيعية.

1. موقعها الجغرافي:

تشغل مدينة تلمسان الجهة الغربية من وهران، و هي تمثل المركز، و لاسيما أنها كانت العاصمة المغاربية القديمة التي سبقت دولة الجزائر العاصمة، و هكذا يعتبر موقعها استراتيجيا حيث يقدر ارتفاعها بـ 800 م و يفسر تنظيم تضاريس أرضها ميل هذا الإقليم الذي يُعد منطقة عبور بين المغرب و الجهة الوهرانية و بين البحر الأبيض المتوسط و الصحراء. و قد كانت تلمسان منذ العصر القديم أرض الاجتياحات و الغزوات و في الوقت نفسه فضاء سلسلة من العلاقات و التبادلات بينها و بين الشعوب الأخرى، إنّ هذين العاملين التاريخيين مترابطان و متداخلان و متقاطعان بحيث يعتبران حاسمين في تحديد أهمية تلمسان في الميادين الاقتصادية و السياسية و العلمية و الدينية، كما يكشفان لنا خصوصيات هذه المنطقة التي تمكن سكانها و سلطاتها الاحتفاظ بها و التعبير عنها في مناسبات عديدة[1].

2. مميزاتها الطبيعية:

تتوفر في تلمسان سهول خصبة و المياه المنحدرة من المرتفعات على شكل شلالات إلى جانب خصوبة الأراضي و كثافة الأشجار بمختلف أنواعها و كذلك الحدائق و البساتين و الرياض بثمرات الزيتون و الخضر و الفواكه[2].

1.2. المناخ:

مناخ تلمسان، هو مناخ متوسط، (و مناخ البحر المتوسط: دافئ و يميل إلى البرودة في الشتاء و أمطار غزيرة، حار و جاف صيفا)، و يتميز بموسمين:

---

[1]- عبد الحميد بوسماحة، المرجع السابق، ص 10
[2]- المرجع السابق، ص 14

✓ **موسم الأمطار**: الذي يمتد من تشرين الأول/ أكتوبر إلى أيار/ ماي مع عدم انتظام هطول هذه الأمطار. و تقع نسبة هطول الأمطار من 400 ملم إلى 850 ملم حسب السنوات. ثلاث أرباع هذه الكمية من الأمطار التي تتلقاها منطقة الترارة تسقط من تشرين الأول/أكتوبر إلى آذار/ مارس، و يبلغ متوسط درجة الحرارة بهذا الموسم بشكل عام 10 درجات مع درجة حرارة دنيا مطلقة قد تصل إلى ناقص 6 درجات.

الشتاء في تلمسان قاس نسبيا إضافة لهبوط الرياح و سقوط الثلوج و نزول الصقيع.

✓ **موسم الجفاف**: هو من شهر يونيو/جوان و حتى سبتمبر، و يبلغ متوسط درجة الحرارة في هذا الموسم ما يقارب الـ 26 درجة و قد تصل كحد أقصى إلى 40 درجة. المتوسط السنوي لدرجة الحرارة 18 درجة.

موقع تلمسان و ارتفاعها جعل من الفروقات المناخية كثيرة، و بالتالي تعددت –الميكرو- مناخات لتصبح منطقة تلمسان غنية بنباتات عديدة و متنوعة من: جبلية إلى غابية فمرجية و مائية[1].

فكانت تلمسان (معبدًا لعلماء النبات)، و لكن التركيبة الجيولوجية لتلمسان بموقعها داخل جبال الأطلس جعلها بمثابة ممر لنسمات البحر و التي تخفف من برودة الشتاء و حر الصيف. تتمتع تلمسان إذاً بمناخ صحي منعش معتدل في أغلب فصول السنة، و تشتد فيها وطأة البرد في بعض السنين،كما تسقط فيها الثلوج و تتراكم على قمم جبالها مما يُعطي للمدينة حلة بيضاء ، و في الصيف تبقى سماؤها دائمة الزرقة في النهار ما عدا بعض الزخات الرعدية الصيفية من حين إلى حين لتلطف الجو[2].

[1]- الموسوعة الجغرافية، (http://www.4geography.com/vb/t2842.html)
[2]- عبد الحق حميش، المرجع السابق ، ص 29

* **شلالات تلمسان:** كما تتميز مدينة تلمسان بماء غزير يجري في شكل شلالات على جانب الصخور، فالمدينة تدين للماء و البساتين التي بعثت فيها الحياة باسمها القديم "بوماريا" الذي يعني مدينة التفاح. و يتوفر فيها أشجار التين و الزيتون و الكرز[1].

2.2. معلومات و أرقام جغرافية عن تلمسان:

البلد: **الجزائر**

ولاية: **تلمسان**

دائرة: **تلمسان**

مساحة ولاية تلمسان: **9.071,69 كم^2**

المدينة: **370,2 كم^2**

الأرض: **359,4 كم^2**

مسطحات مائية: **10,8 كم^2**

حضري: **1295 كم^2**

الامتداد العمراني: **10135 كم^2**

الارتفاع: **183** م

السكان: **200.000 نسمة**

[1]- **عبد الحميد بوسماحة، المرجع السابق، ص 22**

* **الأرقام:**

رمز الولاية: **13**

الترقيم الهاتفي: **043**

عدد الدوائر: **20**

عدد البلديات: **53**

الرمز البريدي: **13000**[1].

موقع تلمسان في الخريطة

[1]- عبد الحق حميش، المرجع السابق ، ص 17

المبحث الثالث: تلمسان ثقافيا و حضاريا:

و هنا سوف نتطرق إلى التعريف بالمدينة حضاريا وثقافيا بهدف إبراز مميزات المدينة ثقافيا مع ذكر البنية الفكرية و طبيعة حياة الاجتماعية لأهالي المنطقة.

أ. تلمسان حضاريا:

يعود تاريخ مدينة تلمسان إلى آلاف السنين فقد كانت على الدوام أرض الحضارات و معبر للأمم و منطقة استقطاب الشعوب، ولعل ما يميز هذه المنطقة بالذات الثراء التاريخي النابع من أصالة سكان المنطقة والبارز في المعالم الأثرية الضاربة في عمق التاريخ منذ قرون نتيجة المزيج الثقافي و الحضاري التي تشهد تعاقب هذه الحضارات. أما اليوم فمدينة تلمسان تتربع على قمة المناطق السياحية في الجزائر، وتعد المدينة العتيقة قطبًا سياحيًا نظرًا للثراء الحضاري والتاريخي والثقافي الذي تزخر به والذي من شأنه أن يجعل منها وجهة مفضلة لدى السّواح من داخل وخارج الوطن.

1. هضبة "لالة ستي":

"لقد تمّ خلال السنوات الخمس الأخيرة تهيئة المناطق الجبلية لاسيما "**هضبة لالة ستي**" التي تطل على مدينة تلمسان و التي تحولت إلى منتجع أدخل الفرحة على سكان تلمسان و الزوار الوافدين من كل التراب الوطني"[1] ، وأصبحت ‘‘لالة ستي" منطقة سياحية بامتياز تسمح لزوارها بزيارة الحظائر الوطنية، التي تتوفر عليها والمتحف التاريخي للولاية.كما يربط المدينة و هضبة "لالة ستي" التليفريك و يمتد إلى وسط المدينة بغرض التجول في المعرض الحضاري لتلمسان والإطلاع على مختلف الحقب التاريخية.

[1]- نادية زايد، تلمسان عاصمة التراث و التاريخ، منشورات CDSP، ب ط ، 2010، الجزائر، ص176

2. مغارات "بني عاد":

كما تتوفر المدينة على ثاني أكبر المغارات في العالم بعد مغارة المكسيك و هي مغارة "بني عاد" و هذه المغارة طبيعية تتواجد في بلدية عين فزة في ولاية تلمسان و "هي عبارة عن كتل جبلية مع إضافة الماء تتشكل الأنفاق الأرضية و الكهوف"[1] تقع على بعد 57 مترًا تحت سطح الأرض، وتمتد على طول 700 مترًا ولها درجة حرارة ثابتة طوال العام بحدود 13 درجة ، "و لا يعتقد أن هذه الكهوف الجميلة يقتصر على المناظر الطبيعية و الأشكال الرائعة التي تحث بها بفعل التآكل، بل أن دورها يكمن أيضا في احتمال إيوائها لإنسان العصر القديم الذي كان يستغل كل الامكانيات التي تتوفر له ليتخد منها سكنات فردية أو جماعية .. و يبقى البحث العلمي الجاد وحده هو الكفيل بالإجابة عن أسئلة علماء الآثار و التاريخ القديم و الأنثروبولوجيين بصفة خاصة"[2].

ويعتبر أول مكتشفيها قبائل الأمازيغ الذين استوطنوا الجزائر، وحسب الخبراء تمتد المغارة حتى تراب المملكة المغربية.

3. ضريح الولي الصالح "سيدي بومدين":

كما تتواجد آثار تاريخية في أعالي هضبة العباد، حيث يرقد الولي الصالح سيدي أبو مدين بن الحسين الأنصاري الأندلسي الأصل، و ثمة ضريح الصالح – مسجد – و آثار قصر – و مدرسة . و هي من جلائل أعمال السلطان المريني 'أبو الحسن'.

وتكثر الحركية في هذا الموسم جراء توافد أعداد هائلة من الزوار ممن يقصدونه من ولاية تلمسان وخارجها، تقديرًا لمكانة هذا الرجل. وما أكثرهم من النسوة اللواتي يقصدن الضريح طمعًا في دعاء مستجاب.

---

[1]- المرجع السابق ، ص197

[2]- محمد الحربي حرز الله، تلمسان مهد الحضارة و واحة ثقافة، المرجع السابق، ص 382

وفي هذا المكان حيث يرقد سيدي بومدين يوجد باب الضريح مقابل باب المسجد، يؤدي إلى مدرج ينزل بواسطته إلى قبر الشيخ أبي مدين المدعو محليًا "سيدي بومدين". وهذا الباب صغير ذو قوس يحيط به إطار من الفسيفساء، وفي داخل الضريح غرفة مربعة يعلوها سقف ملوّن جميل، هرمي الشكل في الخارج.

ويدخل الضوء إلى هذه الغرفة من أربعة نوافذ صغيرة تضئ قبري الشيخين أبي مدين شعيب على اليمين والفقيه ابن عبد السلام التونسي المتوفى بالعباد على اليسار.

ومع مرور الوقت، تحول المكان إلى مجمع ديني بعد أن بنيت به مجموعة المعمارية من طرف المرينيين، تكريمًا لأبي مدين.وتضم هذه المجموعة الهندسية إضافة إلى الضريح مسجدًا ومدرسة ودار السلطان.

ويوجد بمسجد سيدي أبي مدين منبر يزيد عمره عن 100سنة، ويقال أن الأمير عبد القادر صعد عليه، كما أنه أسس الدولة الجزائرية انطلاقًا من هذا المسجد العتيق.

4. شواطئ تلمسان:

تتوفر مدينة تلمسان على "07 شواطئ مسموحة من أصل 23 (مرسى بن مهيدي – تافسوت – هنين– رشقون – و سيدنا يوشع – و بيدر ..إلخ)، و تشكل الشواطئ الأخرى الخمسة عشر خلجان صغيرة حيث سيتم تهيئتها تشجيعا للسياحة الترفيهية، و ستشيد منتجات سياحية كبيرة بشواطئ بيدر و موسكاردا"[1].

5. الحمّامات:

كما تتوفر تلمسان على حمامات معدنية تستقطب الزوار من داخل و خارج المدينة و هي:

[1]- المرجع السابق، ص 208

- **حمام بوغرارة**: الذي يقع في شرق مدينة مغنية، و تعرف مياهه بقدرتها على معالجة بعض الأمراض مثل (الروماتيزم و الأمراض العصبية و أمراض الجلد).
- **حمام شيقر**: الذي يتواجد على بعد 05 كلم شمال مدينة مغنية، تخفف مياهه أمراض الجلد و الروماتيزم.
- **حمام سيدي العبدلي**: يتواجد على بعد 40 كلم شمال شرق مدينة تلمسان، حيث تعالج مياهه اضطرابات المعدة و الأمراض العصبية و أمراض الدّم.

6. الفنادق:

تتوفر المدينة على 09 فنادق مصنفة من (نجمة واحدة إلى خمس نجوم)، وتم فتح فندق جديد فخم (05 نجوم) تحت اسم (**RENAISSENCE**) مع بداية سنة 2011 و يتواجد بهضبة 'لالة ستي' بعلو 1150 متر، و فندق (**الزيانيين**) (04 نجوم) ، فندق (**IBIS**) (03 نجوم). كما تم إحصاء 25 فندق و 475 مخيم.

7. جامعة تلمسان:

"لقد مكنت المجهودات المبذولة من طرف السلطات المحلية في قطاع التربية و التكوين و التعليم العالي من تحسين الإمكانيات البيداغوجية و الإقامية[..]، و تمّ ظهور قطب جامعي جديد يتسع لأكثر من 30.000 مقعد بيداغوجي و 17 ألف سرير، و يشهدكل زائر لهذا القطب الجامعي الجديد بجمال هندسته، و فضلا عن كل ذلك مجهز بأفضل الوسائل، و قد مكنت الجهود المبذولة في مجال التربية من رفع نسبة التمدرس لتصل إلى 2010 إلى 97 % ، و قد عرف القطاع إنجاز عدد كبير من المؤسسات التربوية في مختلف الأطوار".[1]

[1]- المرجع السابق، ص 244

ب. تلمسان ثقافيا و اجتماعيا:

كانت تلمسان مركزا دينيا ثقافيا و معماريا هاماً لتميزها أكثر من غيرها من المدن الجزائرية بالعادات و التقاليد و الاحتفالات الدينية و الاجتماعية المتأثرة بالأجداد و الأسلاف. كما يفتخر سكان تلمسان بأصلهم المتنوع و الذي يُعد ثراءًا بشريا للمنطقة، و يتكون من الأمازيغ و هم السكان الأصليون و العرب الفاتحون و المهاجرون و الأندلسيون و الأتراك، و كل هذا التنوع انعكس إيجابيا في الإسهام الحضاري لتلمسان.

- ***الصناعات التقليدية:***

حافظت مدينة تلمسان على موروثها من المهن و الحرف التقليدية المحلية رفيعة و التي تظهر جليًا في الألبسة التقليدية المطرزة من بينها لباس العروس (**القرفطان**) والحلي المصنوعة بالأحجار الكريمة (**الجوهر**) والفن التشكيلي.

"كما تنتج أدوات حديدية، و تصنع الأسلحة، و تصنيع الجلود و نسج الزرابي و أنواع النسيج الأخرى الصوفية و القطنية و من الكتان. فضلا عن حرف أخرى و صنائع كالنقش، الزليج، الطرز، الصياغة، و التفنن في السروج و في طرزها، الجلود، و لم يبق منها سوى النسيج. و من أسماء الاحياء التلمسانية القديمة، يمكن معرفة بعض الحرف: السويقة، الصاغة، الصباغين، الخراطين، الحلفاويين، سوق الغزل"[1].

- ***الطبخ التلمساني:***

يمتلك الطبخ التلمساني إرثا قديما يستمد جذوره من تقاليد تلمسان و التأثيرات الأندلسية و التركية، و من نماذج أطباقها نذكر:

[1]- **عزي بوخالفة، تلمسان منارة إشعاع فكري و حضاري، دار السبيل للنشر و التوزيع، ب ط، تلمسان، 2011، ص 430**

- **الحريرة:** حساء متكون من أنواع الخضر مع قطع اللحم.
- **الطواجن:** 'لَمْحَمَّرْ' (طبق لحم محمر) و 'البْرَانِيَة' (متكونة من قطع دائرية من البادنجان المقلية و اللحم) و الزيتون (متكون من زيتون الأخضر مع دجاج محمر).
- **الطواجن الحلوة:** البرقوق مع المشمش أو الزبيب باللحم، السفيرية (متكون من عجينة اللوز و اللحم).
- **الحلويات:** أبرزها " الكعك، المقروط، القريوش، الصامصة، القنيدلات، كعب غزال، غريبية بالزيت".

- ***الاحتفالات و الأعياد:***

- **الاحتفال بالمولد النبوي الشريف:**

"اعتاد أمراء و ملوك و سلاطين تلمسان و المغرب الأندلس على إحياء ليلة المولد النبوي الشريف...و ظلت تلمسان وفية لهذا التقليد إلى اليوم، و بخاصة المساجد حيث يجتمع 'الطلبة' لقراءة القرآن الكريم، و تقدم أنواع المأكولات التي اشتهرت بها مدينة تلمسان لجميع الحاضرين دون استثناء".[1] و بهذه المناسبة تقوم النسوة بربط (الحناء) للأطفال الصغار، و تحضير نوع من الحلوى المعروفة بـ (تاقنتة) غالبا ما تقدم عندما تلد المرأة في يوم (السّابع)، في جو من الفرح تتخللها مفرقعات و أغاني بالدربوكة حتى الصباح.

- **أعراس تلمسان:**

مدينة تلمسان لا تزال تحافظ على تفاصيل عدّة في طرق التحضير لمراسم الزفاف بدأً بعادات الخطبة إلى غاية الاحتفالية، إذ تعتبر الأسر القاطنة في تلمسان أن التمسك بتلك التقاليد خلال حفلات

[1]- المرجع نفسه، ص 382

الزفاف هو المحافظة على التراث القديم، إضافة إلى حرصهم على ارتداء العروس الأزياء التقليدية المعروفة في المنطقة على غرار (**القَرْفطَانْ**) أو ما يسمى بـ (**الشدة التلمسانية**) و أهم ما يميز هذا الرداء أنه مصنوع من خيوط ذهبية و عقود من اللؤلؤ، إضافة إلى التاج المذهّب الذي تضعه العروس على رأسها، و غيرها من الألبسة التقليدية (**كالزّدَا**) و (**الكَارَاكُو**) و (**البْلُوزَة**). و العزف على الموسيقى الأندلسية خلال المناسبات و أهلها أشبه ما يكونون عائلة واحدة مترابطة في هذه المناسبة.

الخلاصة:

إن لمدينة تلمسان ماضيا تاريخيا و موقع جغرافي هام أكسبها موقع استراتيجي لاستقطاب السّواح من داخل و خارج الوطن، عرفت كثير من التغيرات نتيجة توافد الحضارات و الشعوب، تتميز بتراث ثقافي غزير يتمسك به جميع سكانها.

تتشبع بعادات و تقاليد معينة تميز أنظمتها الاجتماعية و الثقافية و تعمل على تكريسها و تلقينها للأجيال من خلال المؤسسات الاجتماعية و خاصة أهم مؤسسة و هي الأسرة كخلية أساسية و كوحدة أولى في التنشئة الاجتماعية.

تمر بمرحلة التغيير و التحول تبعا لما يعرفه المجتمع من تحولات نتيجة الحداثة و العصرنة مما انعكس على أنظمتها الاجتماعية و هذا ما سنحاول رصده في الفصل الميداني من خلال أهم نظام اجتماعي و هو الزواج لمعرفة مدى التحولات و التغيرات التي طرأت عليه في ظل الثقافة الجديدة.

الفصل الخامس

(الدراسة الميدانية)

الفصل الخامس: الدراسة الميدانية

أولاً: مجال الدراسة

1. المجال الجغرافي
2. المجال البشري
3. المجال الزمني

ثانيا: أسلوب اختيار العينة

ثالثا: أدوات جمع البيانات

4. الملاحظة
5. المقابلة

رابعا: منهج الدراسة

أولاً. مجال الدراسة:

1. المجال الجغرافي:

تمّ إجراء الدراسة الميدانية في مدينة تلمسان باعتبارها مجال حضري عمراني تتميز بحياة حضرية حديثة و بالتحديد في منطقة (**أقادير – سيدي الحلوي– الكيفان – العباد**) ، و اختيارنا لهذه المناطق لتعرض المجتمع التلمساني خلال السنوات الأخيرة للهجرة الداخلية و الخارجية نتج عن ذلك هجرة بعض العائلات دو أصول تلمسانية لمدن أخرى، أما المناطق السابقة الذكر، فوجدنا أغلب العائلات التلمسانية مازالت متمركزة بها و تشمل على الخصائص العينة التي تفيدنا في مجال دراستنا على أساس الأصل و العرق و الثقافة، إضافة لاقترابنا منها بصفتنا منتميين لهذا المجتمع ، سهّل علينا عملية الاتصال و التردد عليها بصفة دائمة.

2. المجال البشري:

تمثلت عينة البحث على بعض العائلات التلمسانية، و تم الاختيار على النساء فقط بصفتهن لهنّ تجربة في مجال الزواج و المراسيم الاحتفالية في منطقة تلمسان، و اقتصرنا على المعلومات القليلة الموجودة حول مجتمع البحث، بحيث تتوفر على نفس الخصائص و هذا من أجل الوصول إلى نتائج موضوعية.

3. المجال الزمني:

تمّ إجراء البحث الميداني في الفترة الممتدة بين شهر نوفمبر 2014 إلى غاية شهر جانفي 2015 تم من خلالها جمع المعلومات الخاصة بالموضوع، و ما سهّل علينا المهمة هو تواجد أفراد العينة بمنازلهم الخاصة و في جو من الهدوء و التركيز.

ثانياً. أسلوب اختيار العينة:

1. العينة:

إن اختيار العينة تكون مطابقة مع طبيعة الموضوع و أهدافه، " و غالبا ما يجد الباحث نفسه غير قادر على دراسة جميع المفردات البحث علاوة على أن دراسة المجتمع ككل قد تكون مضيعة للوقت و تبديدا للجهد و المال بغير مبرر"[1]، و عينتنا تتكون من نساء يقطنون بمدينة تلمسان متزوجات أو أرامل و التي عشن و تتبعن لمراسيم الزواج التلمساني بالماضي، حيث تتراوح أعمارهن ما بين 58 سنة و 75 سنة.

و في ضوء هذا تمّ جمع عشر (10) مبحوثات، و هذا العدد سوف يتم التحليل البناء عليه، و تكون ممثلة لخصائص المجتمع الكلي من حيث (السن، الحالة العائلية ، الانتماء العائلي).

ثالثاً: أدوات الدراسة:

تساهم أدوات جمع البيانات المختلفة في جمع المعلومات اللازمة للبحث و التي تتماشى مع طبيعة الموضوع الذي تجري فيه الدراسة الميدانية وقد استخدمنا الأدوات التالية:

1. الملاحظة:

"الملاحظة هي اللبنة الأولى التي يقوم عليها البحث العلمي حيث إنها الأسلوب الأول و الأهم الذي يلجأ إليه الباحث حتى في اختياره لموضوع البحث.. فالملاحظة من أقدم طرق البحث، إذ يبدأ العلم بالملاحظة و يعود في النهاية ليثبت صحتها. و تتميز الملاحظة العلمية عن الملاحظة الغير علمية، فالملاحظة العلمية لا تقتصر على مجرد الحواس بل تستعين بأدوات علمية للقياس، فهي مشاهدة دقيقة لظاهرة ما مع الاستعانة بأساليب البحث و الدراسة التي تتلاءم مع طبيعة هذه الظاهرة".[2]

---

[1]- خالد حامد، منهجية البحث العلمي، دار ريحانة، ط 1، الجزائر ، 2003، ص 123

[2]- موسى معيرش، المعرفة و البحث العلمي- مدخل إلى المنهجية العامة، دار الكتاب الحديث،ط1، القاهرة، 2009، ص 112

"الملاحظة هي من أهم الوسائل التي يستعملها الباحثون الاجتماعيون و الطبيعيون في جمع المعلومات. و الملاحظة كوسيلة من وسائل جمع المعلومات لا تقل أهميتها عن المقابلة الرسمية أو غير الرسمية أو عن دراسة الحالة في تقصي المعلومات و الحقائق عن المبحوثين"[1].

و في دراستنا قد تم استخدام الملاحظة المنظمة للحصول على المعلومات المطلوبة التي تتعلق بموضوع البحث و أهدافه، و وضع صورة دقيقة عن مظاهر التغيرات و التحولات في طقوس الزواج التلمساني، حيث تمكنا من معرفة بعض الخصائص التي تتميز بها المبحوثات ، و الطريقة التي تزوّجن بها كذلك طريقة الاحتفال بالزواج التلمساني التي كانت سائدة بالماضي عن طريق رصد سلوكاتهن.

2. **المقابلة:**

"تعتبر المقابلة من أهم الوسائل البحثية لجمع المعلومات و البيانات من الميدان الاجتماعي"[2].كانت المقابلة من بين أهم الوسائل و التقنيات التي اعتمدنا عليها لجمع المعلومات، حيث كان من الصعب علينا استعمال " الاستمارة" لكون أغلب المبحوثات أميّات. و كوني أنتمي إلى المنطقة نفسها، أعطى لتقنية المقابلة مصداقية أكثر من خلال منح الحرية و الرّاحة التامة للمبحوثات للإدلاء بأرائهنّ، فكانت المعلومات التي حصلنا عليها قيمة و سوسيولوجية.

رابعًا: منهج الدراسة:

إن المنهج العلمي هو " أسلوب اكتساب المعارف القائمة على الاستدلال و على الإجراءات معترف بها للتحقق في الواقع "[3]

---

[1]- احسان محمد الحسن، مناهج البحث الاجتماعي، دار وائل للنشر، ب ط، عمان، 2005، ص 123
[2]- المرجع نفسه، ص 247
[3]- موريس أنجرس، المرجع السابق، ص 102

ففي دراستنا لموضوع ' التحولات الثقافية و الرمزية لمراسيم الزواج في الأسرة التلمسانية'، حاولنا الكشف عن مظاهر التحولات في الطقوس الاحتفالية و رموزه و دلالاته الاجتماعية، و يتطلب طبيعة البحث الاعتماد على منهجين (المنهج الوصفي و المنهج المقارن).

1. **المنهج الوصفي التحليلي**: " يعد أسلوب من أساليب التحليل المركز على معلومات كافية عن الظاهرة أو موضوع محدد خلال فترة أو فترات زمنية معلومة، و ذلك من أجل الحصول على المعلومات التي تتطلبها الدراسة كخطوة أولى، ثم يتم تحليلها بطريقة موضوعية و ما ينسجم مع المعطيات الفعلية للظاهرة كخطوة ثانية، و التي تؤدي إلى التعرف على العوامل المكونة و المؤثرة للظاهرة كخطوة ثالثة و لا يشترط هذا المنهج وضع فروض أو إجراء تجارب"[1].

و يعتبر هذا المنهج من أنسب المناهج لدراسة طبيعة التحولات الثقافية و الرمزية الناتجة عن ظاهرة الزواج و مدى تأثيرها على النسق القيمي للمجتمع التلمساني من خلال تفسير مدلولاتها و رموزها.

2. **المنهج المقارن**: "..إن المنهج المقارن يفترض دوما وجود موضوعين أو مسألتين أو أكثر، و نبحث عن نقاط التي تميزهما أو بالأحرى تميز بعضهما عن الآخر، كما نبحث عن نقاط الاتفاق و التشابه إن وجدت و نحاول الكشف عن محاسن هذا الطرف و مساوئ ذاك و في كل الحالات نبحث عن العلاقة بينهما إذا كان هناك تشابه أو اختلاف، تأثير أو تأثر، جزء بكل، تناقض، تضاد، تكامل..إلخ"[2].

و به يتم عرض تفاصيل الممارسات الاحتفالية للزواج بين الماضي و الحاضر و إبراز أوجه التشابه و الاختلاف، و معرفة أهم التغيرات التي حدثت على الطقوس و كيف يعبر عنها حاليا باستعمال البراهين العقلية.

---

[1]- **محمد عبيدات و آخرون، منهجية البحث العلمي- القواعد و المراحل و التطبيقات -، كلية الاقتصاد و العلوم الإدارية، الجامعة الأردنية،الأردن، 1999، ص 46 - 47**

[2]- **المرجع نفسه، ص 72**

الطقوس الاحتفالية للزواج في مدينة تلمسان بين الماضي و الحاضر

تمهيد

المبحث الأول: الأسرة التلمسانية بين الماضي و الحاضر

المبحث الثاني: الطقوس الاحتفالية للزواج التلمساني بين الماضي و الحاضر

الخلاصة

تمهيد:

يأخذ موضوع الزواج خواصا متعددة و تختلف تقاليده من منطقة إلى أخرى تبعا للتنوع الثقافي، كما تختلف ترتيباته و طقوسه، لكنّ الرابط الأساسي هو العلاقة الشرعية بين الشاب و الفتاة و وفقا لقوانين اجتماعية متوارثة، إلاّ أن التحولات الثقافية و الاجتماعية و السياسية الأخيرة التي شهدها المجتمع الجزائري عَمِل على تغيير نمط الاجتماعي بسبب العولمة و الغزو الثقافي أدى نوعا ما إلى التغيير في الممارسات الطقوس الاحتفالية للزواج ، و من خلال هذا المبحث سنحاول التعرف على مميزات الأسرة التلمسانية بين الماضي و الحاضر بما في ذلك طقوس الزواج بالمنطقة و محاولة التعرف على أهم مظاهر التغيرات التي طرأت على الممارسات الاحتفالية و ما انجر منها من تحولات في رموزها و دلالاتها ،و ذلك بدءًا بعملية الاختيار الزواجي إلى غاية إنهاء مراسيم الزواج و بالاعتماد على مقاربة سوسيو-أنثروبولوجية من خلال وصف ظاهرة الزواج بين الماضي و الحاضر و المقارنة بينهما للتعرف على أسباب التحولات و محاولة تفسيرها.

المبحث الأول: الأسرة التلمسانية بين الماضي و الحاضر:

1. مميزات الأسرة التلمسانية:

"الأسرة هي جماعة اجتماعية أساسية و دائمة و نظام اجتماعي رئيسي، وليست الأسرة أساس وجود المجتمع فحسب بل هي مصدر الأخلاق و الدعامة الأولى لضبط السلوك"[1].و الواقع أن وجود الأسرة يبدأ بوجود رابطة بين الزوجين وبالصورة التي يقرها المجتمع لتلك الرابطة، و قد يتسع نطاق الأسرة ليضم الأبناء والأجداد معاً، و بذلك قد تشمل الأسرة على جيل الآباء ، أو جيل الآباء و الأبناء، أو جيل الآباء و الأبناء و الأجداد معاً. بمعنى قد تقوم على جيلين أو ثلاثة أجيال، والواقع أن لكل جيل ظروفه و أوضاعه و متطلباته و مقاييسه الخاصة بحكم الواقع وظروف العصر الذي نتفاعل معه،و الذي تُصاغ الشخصية من خلال معطياته الاجتماعية والثقافية[2].

و الأسرة التلمسانية كانت لا تختلف كثيرا عن باقي أسر المجتمعات العربية ، عاشت حياة تقليدية فرضها الواقع، فكانت أسرة ممتدة تتكون من عدة وحدات أسرية تجمعها الصلة الدموية و الإقامة المشتركة تتكون من جيلين أو أكثر و تستمر لمدة طويلة، يجمعنا بيت واسع أو كما يسميه **مصطفى بوتفنوشت** 'بالدار الكبيرة' " .. هذه الدار الكبيرة التي يستطيع أن يتعايش فيها بين 20 و 60 شخص وثلاث إلى أربع أجيال يمكن أن يبلغ الحدود القصوى"[3]. هذا البيت الواسع الذي يحتوي على عدة غرف، غالبا ما كان رب البيت يقوم بكراء هذه الغرف لمن لا يملك سكن خاص، خاصة المتزوجين الجدد.

تقول المبحوثة رقم (**10**) " **التْلَمْسانِيين مَا كَانُوشْ كِيمَا دَرْوَأْ عَايْشِينْ فِي l'appartement ، لِي عَنْدُو دَارُو كْبِيرَة صَحَّ.. وَ لِّي مَا عَنْدُوشْ يَكْرِي مْعَ لْجِيرَانْ، وْ كَانَتْ وَسْط الدَّارْ تْلَمْنَا ، وْ هَذَا مَا**

[1]- سناء الخولي، الأسرة و الحياة العائلية، المرجع السابق، ص 37
[2]- فادية عمر الجولاني، الأسرة العربية – تحليل اجتماعي لبناء الأسرة و تغير اتجاهات الأجيال-، المرجع السابق، ص 12
[3]- مصطفى بوتفنوشت، العائلة الجزائرية، المرجع السابق ، ص 40

كَانْ يْحُبْ عَلَى هَذَا.."أي [**التلمسانيون كانوا لا يعيشون في شقق مثل ما هو الحال اليوم، الذي لم يكن له بيت واسع كان لزاما عليه الكراء مع الجيران، و كانت ساحة البيت مكان التقاء الأسر في جو من التضامن]**. ما يفسر أنّ " الدار الكبيرة تقوم بدور التماسك الأسري و أيضا الأمان و المحافظة على الأقارب في وضعية تجمع و تعاون دائم"[1]، "و ذات وظائف متعددة سواءا داخل المنزل أو خارجه..فيتزوج الأبناء و يستمرون في منازل آبائهم، بل كانت تضم أبناء العم و الخال الذين يعتبرون كجزء هذه العائلة"[2] فخصائص الدار الكبيرة تتجلى في جملة من الاعتبارات أهمها:

- أهمية الدار كمجال ينتج داخله جملة من العلاقات الاجتماعية بين أفراده.
- زيادة الاتصال و التواصل بشكل خاص نتيجة الاحتكاك اليومي.
- تلعب الدار دورا هاما في وحدة تماسك العائلة الممتدة.

"ويعبر مصطلح الدار الكبيرة على الفضاء المرجعي الذي يرجع إليه في كل الأحوال والمناسبات الثقافية وفي كل الطقوس للاحتفالات أو المآتم، التي يعود فيها للعائلة وللتقاليد"[3].

أما نوعية العائلة التي كانت تسود منطقة تلمسان هي "العائلة الأبوية "، الأب هو الذي كان يدير شؤون البيت ماديا و معنويا و لا يحق لأي فرد فيها أن يبدي رأيه في أي مجال، حيث لا يسمح بمناقشاته و التدخل في شؤون حياته ، تقول المبحوثة رقم (02)" **الأَبْ كَانْ يَدَبّرْ رَاسُو فِي كُلْ شِيء.. حْنَا نَعَرْفُو غِي نَاكْلُو و نَأكْلُ دِي جَانَا..كَانَت الأُم تْفَتَتْ لِنَا (الخُبز مْعَ اللّبَنْ) و نَشَبْعُو.. وْ كُنَّا مَا نَشَرْطُوشْ فِي المَاكْلَة**" أي [**الأب هو الذي كان يدير جميع الأمور، نحن كنا نعرف الأكل فقط، ونأكل الذي كان متوفر، الأم كانت تفتت لنا الخبز مع اللبن و كنا نشبع دون أن نشترط.**] " إذًا

---

[1]- مصطفى بوتفنوشت، المرجع السابق، ص 40

[2]- نجاة ناصر، ظاهرة زواج الأقارب و علاقاته بالأمراض الوراثية –منطقة تلمسان نموذج، مذكرة ماجستير في أنثروبولوجية الصحة، جامعة تلمسان، 2012، ص 76

[3]- Bienêtre , le magazine de toute la famille- N° 18, janvier 2006, p 11

يتطلب في العائلة الأبوية على كل فرد فيها أن يحترم و يمتثل لأوامر رئيس العائلة الذي هو السّيد بلا منازع، بحيث لا يُترك لأحد من أعضاء العائلة أن يتصرف بمحض إرادته"[1].

طبيعة العلاقات الأسرية:

طبيعة العلاقات التي كانت سائدة في الأسرة التلمسانية هي "وحدة التماسك والعلاقات التي تربط أعضاء هذه العائلة قائمة على أساس التعاون والمودة والتضحيات و الالتزام غير محدود في مختلف المجالات و هذا ما يمنح لهؤلاء الأفراد الشعور بالاطمئنان و الاستقرار العاطفي و عدم القلق تجاه الأزمات أو النكبات المحتملة الوقوع"[2]. فالأب كان يمثل مركز السلطة و قراراته كانت لا تناقش، فكان لزاما على العائلة الطاعة و الخضوع التام، أما علاقة الأب مع أبنائه فغالبا ما كانت علاقات مباشرة و قريبة أكثر، مما يسمح له أن يكون على دراية تامة بأمورهم الشخصية و النفسية مجرد النظر في وجوههم حسب تصريح المبحوثة رقم (**04**) " **كِي كَانْ يَدْخُلْ الأَبْ نَلْتَمُو عَلَى لَغْذَاء و عَلَى لْعشَاء وِيلاَ كَانْ عَنْدنَا حَاجَة يَعْرَفْهَا فِي عَيْنِينَا و بالرغم أَنَنَا مَنْبَيْنُولُوشْ..**" أي [**مجرد وصول الأب إلى البيت كنا نجتمع على الغذاء أو العشاء، و إذا كان هناك مشكل بأحدنا ، كان يعرفها بالرغم أننا نخفي الأمر**] ،إذًا الأسرة هي وحدة متماسكة و متجانسة، و إذا حصل مشكل مسّ أي فرد من الأفراد فهو بالضرورة يمس العائلة بأكملها و هذا ما يفسر تأكيد الشعور بالانتماء و المشاركة الجماعية، "لأن الفرد يكون عضو أكثر منه فردا مستقلا، و يعتبر كل تصرف أو قرار مستقل خروجا على وحدة العائلة تنكرا لجميلها. إن كون العائلة وحدة اقتصادية و نواة للتنظيم الاجتماعي يجعل القرارات الأساسية شأنا عائليا و ليس شأنا فرديا"[3].

---

[1] - **TOUALBI Radia, les attitudes et les représentations du mariage chez la jeune fille algérienne, éd ENAL, 1984, P 49**

[2] **- مليكة لبديري، الزواج و الشباب الجزائري إلى أين، المرجع السابق، ص 48**

[3] **- حليم بركات، المجتمع العربي في القرن العشرين – بحث في تغير الأحوال و العلاقات، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1،بيروت، 2000، ص 364**

كما كان يطغى على العائلة التلمسانية طابع الحياء و الحشمة " التي تمثل القيمة الأساسية في تثبيت التربية..و مفهوم الحشمة ينطبق على الشعور بالعار أمام أي عمل أو موقف خاطئ، و في نفس السياق يوحي بما هو ممنوع و له ارتباط مباشر بمفهومي 'العيب' أو 'حرام'"[1]،فالإبن كان لا يجرأ على التكلم بعفوية أمام أبوه أو أن يدخن سيجارة أمامه و لا يجلس و أبوه قائم، أو الخروج من المنزل أمامه، أو طلب أي شيء "حتى و إن كانت لديه طلبات يفترض به اللّجوء للتوسل و الاسترحام"[2] أو يطلبه عن طريق والدته، أما الفتاة فكانت محتشمة سواء في لباسها أو كلامها أو في طريقة تعاملها مع الآخرين، فنجدها مع والديها مطيعة لهما لا يعلو صوتها على صوتهما، راضية بالجو الأسري الذي وفراه لمعيشتها، تقوم بواجباتها تجاه عائلتها على أكمل وجه ، لا تخرج من البيت إلا للحاجة و إذا خرجت تكون برفقة والدتها أو مع أحد المقربين من أهلها، معتدلة في مشيتها و عيناها إلى الأسفل حتى في طريقة حديثها مع الآخرين كجاراتها أو قريباتها أو أخواتها فهي تخجل إلى التطرق لبعض الأمور كالحب و الزواج مثلاً ،و إذا خرجت تلبس لباس مستور و تضع نوع من القماش يسمى بـ "الفوطة" أو "نص حايك" يغطي رأسها إلى ركبتيها غالبا ما كان يُلبس للفتيات التي أعمارهنّ ما بين (12و 14 سنة) و ما إن تتم 15 سنة كان لزاما عليها ارتداء 'الحايك' * بكامله و كانت تزاول دراستها به، و كان يمنع عليها لبس السروال" بحكم أنّ هذا لا يتماشى مع تقاليدهم و قيمهم.

- **عمل المرأة التلمسانية:**

عمل المرأة التلمسانية غالبا ما كان يقتصر على عملها في البيت كالخياطة و "صناعة الزاربي" أو ما يُسمّى في منطقة تلمسان بـ "دار الزرابي " فقط، أما عملها خارج البيت فكانت القلّة تُسمح لهنّ بالعمل

[1]- TOUALBI Radia, op.cit, P 54

[2]- حليم بركات، المرجع السابق، ص 368

*(الحايك) هو ستر و حجاب للمرأة و هي عادة كانت عند التلمسانيين تلبسه الفتاة عند بلوغها السن 15 عشرة، أما اليوم فهو يستعمل غالبا لستر العروس التلمسانية حين خروجها من بيت أهلها متجهة إلى بيت زوجها فقط.

كمدرسات ، أما أن تعمل في مكتب بإدارة فكان شبه مرفوض لأن أغلب الآباء كانوا يعتبرونه مسيء لصمعة الفتاة التلمسانية بحكم اختلاطها مع الذكور حيث تصرّح المبحوثة رقم (07) " **أكْثَرِيَتُنَا بَكْرِي كُنَّا نَخَدْمُو فِي 'دَارْ الزَرَابِي'.. و كَانَتْ قْلِيلْ لْبَنْت لِي تَخْدَمْ فِي Les Bureaux كَانْ عَنْدنَا عَيْب، كَانَت لْبَنْت إِمَّا تْقَرِّي إِمَّا تَقْعُدْ فِي الدَّارَ تَتْعَلّم الخِيَاطَة**" أي [**أغلبية البنات في الماضي كانت تعملن في 'دار الزرابي' (مكان صنع الزرابي)، و كانت القلّة منهن تعملن بمكتب، كنا نعتبره عيب ، كانت إما تدرس إما تتعلم الخياطة في البيت.]** .

- **الزواج في تلمسان:**

أما عن مسألة الزواج فكان من صلاحية الأسرة فلا تسمح العادات والتقاليد والأخلاق والقيم للرجل باختيار زوجته بنفسه لأن هذا من شؤون الأسرة حتى و إن أعجبته إحدى البنات فغالبا ما تكون من بنات الجيران، و لكن القرار الأخير كان يرجع للوالدين أولاً، و ما إن تتم الموافقة على العروس، فلا يسمح له برؤيتها أو الاختلاط معها قبل الزواج ، فتقول المبحوثة رقم (09) " **بَكْرِي الرَجل مَاكَانْش يَختَارْ مْرَاتُو..يَخْتَارْهَا فِي حَالَة وَحْدَة بَنْت لْجِيرَانْ يْكون شَايفْهَا مَنْ صُغْرُه و يَعْرَف صُمْعَتها مْلِيحْ.. يْزِيفطْ أمُه تُخْطبْهَالُو بصَّحْ بالرضَى دِيَالْهَا**" أي [**في الماضي الرجل ليس هو من كان يختار زوجته، إلاّ في حالة واحدة "بنت الجيران" ذلك للمعرفة الجيدة بشكلها و بصمعتها، فكان يبعث والدته لخطبتها.]**، ولا يحق للشخص البالغ إخبار عائلته أو تذكيرهم بضرورة زواجه، فهم الذين يقرّرون موعد الزواج ويختارون الزوجة المناسبة ، وأيضا لا تسمح العادات والتقاليد الاجتماعية للفتاة بمفاتحتها أو مصارحتها حول موضوع زواجها، فزواجها كان يحسم من قبل والديها،وما إن تُعطى الموافقة على الزواج، يبقى الترتيب من قبل عائلة الزوج وعائلة الزوجة دون إعطاء المجال للرجل أو الفتاة التي تنوي الزواج باتخاذ القرارات المتعلقة بذلك.

نستطيع القول أن الأسرة التلمسانية و على غرار جميع الأسر الجزائرية التقليدية كانت تحمل نفس المعايير و القيم التي كانت تتماشى مع الأسرة الممتدة آنذاك كما كانت يربطها سمات التفاهم و التكامل والتجانس ، "إلاّ أنه نتيجة لتحول كثير من المجتمعات من الزراعة إلى الصناعة انهارت روابط الأسرة الممتدة وتناقصت أهميتها"[1].

و بعد التعرف على صورة الأسرة التلمسانية التقليدية سوف نمر إلى التعرف على التحولات و التغيرات التي مست هذه الأسرة في العقود الأخيرة.

2. أسباب التحولات في الأسرة المعاصرة:

و في ظل التحولات و التغيرات الاجتماعية و آثار التحضر، فقدت الأسرة التلمسانية و كباقي الأسر الجزائرية لكثير من وظائفها التقليدية بعد ما كانت أسرة ممتدة ، كما أدت التطورات السياسية والاقتصادية و الاجتماعية إلى عدة تحولات نتيجة لعدة أسباب أهمها:

1.3 **ارتفاع المستوى التربوي**: الذي عُرف ارتفاعا ملحوظا حيث توسع التعليم العالي في الوطن العربي، فتغيرت نظرة الشباب للحياة الزوجية ، و العلاقات بين الزوجين و أصبحت الزوجة مثقفة.

2.3 **طول مدة الدراسة و تأخر سن الزواج**: لقد أدت الحاجة التربوية و طول مدتها عند الجنسين، إلى تأخير سن الزواج، و هي ظاهرة آخذة في التوسع أكثر فأكثر.

3.3 **الصعوبات الاقتصادية**: ساهمت الصعوبات الاقتصادية، في الحد من عدد الأطفال التي تنجبهم و ترعاهم الأسرة لما يتطلب ذلك من أكل و لباس و تربية و عناية، خاصة بعد ظهور و انتشار حبوب ووسائل منع الحمل.

[1]- سناء الخولي، المرجع السابق، ص 66

4.3 **عمل المرأة خارج المنزل:** إن اضطرار المرأة للخروج للعمل، أدى تقليص وقتها المخصص إلى العناية بالأطفال. و هو ما شجع على تقليص حجم الأسرة و اعتماد فلسفة تباعد الولادات.

5.3 **ضيق السكن:** حيث انتشرت العمارات السكنية في المدن و هي شقق لا تتسع للأسرة الكبيرة، وهذا ما أدى إلى استقلال الأسر الصغيرة في شقق، و ما ساعد على ذلك تبني الحكومات لسياسة بناء العمارات، و خاصة في المدن الكبيرة.

و قد أدت هذه الأسباب إلى تقلص حجم الأُسر، لتقتصر على الأب و الأم والأبناء بالدرجة الأولى، و قد تقلص عدد أفرادها إلى حد كبير، و خاصة في المدن[1].

فالأسرة التلمسانية و في ظل هذه التحولات بعد ما كانت أسرة ممتدة أصبحت أغلبيتها أُسر نووية تعيش في شقق صغيرة تضم الزوج و الزوجة و الأبناء غير متزوجين مما أدى إلى التغيرات حتى في العلاقات بين الآباء و الأبناء "حيث أن الواقع الجديد الذي برز من خلال العيش في المدن، و في شقق حضرية ضيقة، فرض واقعا جديدا يتطلب جلوس أفراد الأسرة الواحدة و الحوار و النقاش، و هكذا اختفت كثير من العادات التقليدية، و أصبحت العلاقات أكثر تفتحا و أكثر صراحة و أقل صرامة"[2] هذا يعني أن المسائل العائلية أصبحت تعني كل فرد من أفرادها و أصبح للأبناء الحق في التشاور و التحاور و الأخذ بآرائهم، " أما الأب لم يعد يمثل مركز القرار فهو في نظر أبنائه مستشار مسموع وأحيانا يلتمسون استشارته، فنجد البعض من الدارسين يلجئون إلى استخدام عبارة استقالة الأب، وهذا لا يعني استقالته من وظائفه الأساسية أو تخليه عن واجباته وإنما يقصدونه التغيير الحاصل في صورته وتعديل مركزه ووظائفه داخل الأسرة، فأصبح الأب يعتني بابنه و لم يعد يعاقب بل يستمع إلى أبنه ويحاوره[3]، و في هذا المجال تقول المبحوثة رقم (**03**) " **الدَنْيَا تْبَدْلَتْ.. وَلاَوْ الأَوْلاَدْ هُمَا لِي يَحَكْمُو و يَقَّرْضُوا رَأْيُهُمْ فِي كُلْ شِيء..**

---

[1]- بوفلجة غيات، تحولات ثقافية،المرجع السابق، ص 63

[2]- المرجع نفسه، ص64

[3]- بويعلي وسيلة، فرج الله صورية، ملتقى الوطني الثاني حول: الاتصال و جودة الحياة في الأسرة أيام 10/09 افريل 2013، ص 6

والوَالْـدِينْ يَتَبْعُـوا"، و تضيف المبحوثة رقم (**08**) " **الوَالْـدِينْ وَلاَّوْ يْشُـوفُوا المُنْكَـرْ و يَسَـكْتُو عَلِيـه.. والأَبْ مَابْقَاتْش عَنْدُو الهِيبَة كِيمَا زْمَانْ**" أي [**الدنيا تبدّلت، أصبح الأولاد هم الذين يتحكمون و يفرضون رأيهم في كل شيء ، و الوالدين يخضعون**] .

عمل المرأة: لم يعد خروج المرأة التلمسانية للعمل يشكل عائق كما كان في السابق بل بالعكس فقد أحدث تغيرا كبيرا في مكانتها و وضعيتها في المجتمع، "حيث أصبحت تتعلم و تعمل في شتى الميادين الثقافيـة و الصـحية و السياسـية و الاقتصـادية و الإداريـة، و بـذلك أصـبحت تشـارك الرجـل في جميـع الميادين.. و هذا المسعى يتعاظم من يوم إلى آخر"[1] و بعد ما كانت الأسرة التلمسانية في زمن مضى تنبذ عمل المرأة التلمسانية خارج البيت أصبحت تشجع بناتها على الدراسة و العمل بل أصبح من ضروريات قبل الزواج من أجل حصولها على منصب يليق بها و بالتالي يعطيها نظرة الإيجابية بالنسبة للمجتمع.

3. التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة:

"التنشئة الاجتماعية هي عملية تعلم هدفها إعداد الطفل في مختلف أطواره، للاندماج في النسق الاجتماعي و التوافق مع المعايير الاجتماعية، و القيم السائدة و اكتساب لغة الاتصال و اتجاهات الأسرة التي ينتمي لها، ثم التوافق مع الجماعات المحيطة به، كما يستوعب الحقوق و الواجبات المرتبطة بالمراكز التي يشغلها، و ما يتناسب معها من أدوار الآخرين و طرق التعامل معهم في المواقف الاجتماعية المختلفة"[2].

فعملية التنشئة الاجتماعية هي عملية مستمرة تبدأ مع الولادة و تتواصل مدى الحياة..و لا يمكن إهمال في المجتمع الجزائري دور الأب و الأم كلاهما في هذه العملية، حيث ينشأ الطفل على فعل الخير و حب الآخرين و مساعدة المحتاجين، فيربى الذكور على الرجولة و السلطة و المسؤولية، و الإناث على الحسن والحياء، و الحب و العطف، و تبذل الأسرة جهدا مستمرا لتنشئة الطفل تنشئة اجتماعية سليمة تحترم قيم

[1]- طاهر محمد بوشلوش، التحولات الاجتماعية و الاقتصادية و آثارها على القيم في المجتمع الجزائري (1967-1999)، المرجع السابق، ص 363

[2]- عبد الغزيز خواجة، مبادئ في التنشئة الاجتماعية، المرجع السابق، ص 14

و عادات و ثقافة مجتمعه، و تحكم العلاقات الأسرية ضوابط عديدة: فالصغير مطالب باحترام الكبير وطاعاته و هذا الأخير مطالب بالرفق بالصغير و الشفقة عليه[1].

" أما التنشئة الاجتماعية للطفل الذكر، فيقترن مجيئه بالترحيب والفرح والسرور، داخل الأسرة لأنه في نظر أبويه سيكون في المستقبل تأمينا لهما على العجز والكبر، وسوف يرث رأسمال الأسرة المادي والرمزي، المتمثل خاصة في اسم العائلة.. و عندما تكلف الأسرة أطفالها ببعض المهام المنزلية، فإنها تسند للذكر القيام بأعمال مثل شراء بعض الحاجيات من الدكان، رمي النفايات، مساعدة أبيه في بعض أعمال الإصلاح داخل المترل...الخ، ومثل هذه الأعمال ترسخ في ذهنه صورة الرجل أو الأب "[2]. أمآ البنت ففي سن مبكرة تبدأ بالتدرب على القيام بالأعمال المنزلية ،كتنظيف البيت وترتيبه، و غسل الأواني والملابس، تحضير القهوة والشاي، صنع الحلويات. وتُدرب كذلك على طرق تقديم المأكولات في سائر الأيام وفي المناسبات الخاصة، كالأعياد أو عندما يحل الضيوف بالبيت، فإذا آنست الأم من ابنتها أنها حدقت هذه الأعمال بعد التلقين الطويل، تنتقل بعدها مباشرة لإشراكها في تسيير ميزانية الأسرة، فتعلمها أساليب التدبير المنزلي والاقتصاد والتقشف، خاصة إذا كانت الموارد المالية شحيحة[3]. فالتنشئة الاجتماعية في الأسرة التلمسانية تميزت أيضا بالسّيطرة المطلقة للآباء على الأبناء و استمرارهم في معاملتهم بنفس الطريقة التي كانوا يعاملونهم بها و هم في مرحلة الطفولة ، بحيث كانوا متشددين في المعاملة معهم و كانوا لا يسمح لهم بالتعبير عن رأيهم، و تأنيبهم المستمر على أتفه الأشياء حيث تصرح المبحوثة رقم (**01**) " **حْنَا صَحْ تْرَبِينَا عَلَى الزِّيَارْ.. كَانُو غِي يْشُوفُو فِينَا بَالْعَيْن نَفَهْمُو الْمَعْنَى.. وْ كَانُو يَهَدْرُو مْعَانَا غِيرْ خَطْرَة وْ مَا يْزِيدُوشْ، وْ كِي لَكْبَارْ يَهَدْرُو الصْغَارْ يَسَكْتُو**".أي [**تربيتنا نحن كانت صارمة، كانوا الوالدين، ينظرون فقط في أعيننا نفهم المعنى، و كانوا يتكلمون معنا مرة فقط بدون إعادة ، و عندما الكبار**

[1]- مزوز بركو، "التنشئة الاجتماعية في الأسرة الجزائرية"، مجلة شبكة العلوم النفسية العربية ،العدد 21-22 شتاء 2008، ص 46
[2]- دحماني سليمان، المرجع السابق، ص 78
[3]- المرجع السابق ، ص 79

يتكلمون ، الصغار يسكتون.] إذا الفرد يولد في الأسرة فيجد نفسه وسط روابط مستقرة و منتظمة وتقوم الجماعات بتنشئته و تشكيله وفقا لقوالبها الاجتماعية و طبيعة نظمها واتجاهاتها.

نتيجة للتغيرات الاجتماعية و الثقافية ، فقدت الأسرة التلمسانية بعض من قيمها "فقد أصبحت التنشئة الاجتماعية الأسرية قائمة على عدم اهتمام الأهل بسلوك أبنائهم، سواءا أكان هذا السلوك إيجابي أم سلبي، و عدم قيامهم بتوجيههم و رعايتهم و الإشراف عليهم بالشكل المطلوب. فالتراخي مع الأبناء – أي التهاون معهم– و تحقيق جميع رغباتهم، فضلاً عن اللاّمبالاة، أي ترك الأبناء يتصرفون على هواهم و وفقا لرغباتهم دون توجيه و رعاية و إشراف "[1]. فتقول المبحوثة رقم (**05**) " ..**أَنَا بَنْتِي صَحْ قَارْيَة وهِيَ دَرْوَكْ رَاهَا تْعَلْمْنِي بَزّاف صْوَالَحْ مَاكُونْتشْ نَعْرفْهُمْ بَكْرِي..كُنَّا جَاهْلِينْ**" أي [**أنا ابنتي مثقفة وهي الآن تعلمني عدة أمور لم أكن أعرفها ..كنا جاهلين**] أي هذا ما يفسر ارتفاع المستوى الثقافي والاختلاط بين الجنسين و خروج المرأة إلى العمل أعطى نوع من الشرعية في التصرف بكل حرية و إبداء الآراء داخل الأسرة بحجة أنّ أفكارهم و آراؤهم و قيمهم أحسن بكثير عن تلك التي يعتقد بها أهلهم، ما أضعف النظام الداخلي للأسرة و سبّب في تراجع سيطرة الآباء على الأبناء. فالابن أضحى " يعتقد بأن مسألة زواجه التي كانت من مهام الرئيسية الموكلة للعائلة قضية تتعلق به أكثر مما تتعلق بأسرته، لذلك له كل الحق في تسيير إجراءات زواجه بما في ذلك اختيار شريكة الحياة، كما أن الفتاة هي الأخرى أصبح لها كلمة و شأن في هذا المجال"[2]، و تقول المبحوثة رقم (**08**)" **الْبَنْت وَلاَّتْ تُخْرُجْ مَنْ دَارْهُمْ تْقُولْ رَاهَا مَاشِيَة لْسَهْرَة تَلْبَسْ لَبْسَة غِير مُحْتَشَمَة و تْحُطْ مَاكِيَاجْ تْقُولْ عْلِيهَا عَرُوسَة.. و تْزِيدْ تُخْرُجْ قُدَّامْ وَالْدِيهَا و حَتَى وَاحَدْ مَا يْحَاسَبْهَا**" أي[**أصبحت البنت تخرج من البيت كأنها ذاهبة إلى سهرة تلبس لبس غير محتشم و تتزين بالماكياج كأنها عروس..و تخرج أمام والديها دون أن يحاسبها**

[1]- ماجد ملحم أبو حمدان، "طرائق التنشئة الاجتماعية الأسرية و علاقتها بمدى و مشاركة الشباب في اتخاذ القرار داخل الأسرة"، مجلة جامعة دمشق، المجلد 27، العدد الثالث و الرابع 2011، ص 375

[2]- مليكة لبديري، الزواج و الشباب الجزائري إلى أين، المرجع السابق، ص 54

أحد]، معنى أنّ وسائل الإعلام و التلفزيون لعبا دورا مهما و فاعلاً في عملية التحضر و الانفتاح و هذا يتجلى بالشكل الملحوظ في لباس الفتاة حيث أصبحت غايتها الوحيدة مواكبة الموضة و ما يعرضه الدخلاء في المحلات التجارية و على شاشة التلفزيون غير مبالية إذا كانت تتماشى مع قيمها و عاداتها، همها الوحيد هو إظهار مفاتنها إلى الشارع دون مراعاة أهلها و حتى جيرانها .

و بناءا على ما سبق، فلقد ظلت العائلة التلمسانية تعيش وتمارس كثير من عاداتها و تقاليدها حاضرا كما مارستها وعاشتها في الماضي، و لم تر فيها أبدا عائق من عوائق التقدم العائلي، بل اعتبرتها رمزا للأصالة وللتمسك وللانتماء، إلاّ أنّ التحولات العصرية الراهنة، بدأت تتعرض إلى فقدانها لقيمها وعاداتها و تقاليدها التي كانت تضبط نظامها الداخلي و تبنيها لقيم جديدة كتلك السائدة في المجتمعات الغربية، كما أن العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة أصبحت تتميز بالضعف نظراً لكونها أضحت براغماتية ونفعية تبحث عن الاستقلالية و الفردية في كل تصرفاتها و يظهر ذلك من خلال المناسبات، كما أدت التغيرات إلى إلغاء سلطة الأب و تكون السلطة للأولاد و إدارة شؤون الأسرة مشتركة. أما مسألة الزواج هو الآخر عرف تغيرات وتحولات واسعة النطاق على مستوى الممارسات و الطقوس و هذا ما سنوضحه لاحقًا.

المبحث الثاني: الطقوس الاحتفالية للزواج التلمساني بين الماضي و الحاضر

1. الاختيار للزواج:

تعتبر عملية الاختيار الزواجي مرحلة أساسية في عملية الزواج، و هي محاولة اختيار الرجل لشريكته أولا قبل طلبها للزواج ، و لكن هذه المبادرة ليست بالأمر السهل و لا تأتي تلقائيا بل هي نتيجة تفكير طويل و قد تشمل العائلة ككل كما يقول عدي الهواري "ليس أي رجل يستطيع أن يطلب أي امرأة للزواج"[1]."و يتضمن إجراءات ترتبط بثقافة المجتمع، و تتأثر بالرؤية الشخصية و المعايير الاجتماعية... وتختلف المجتمعات في معايير الاختيار الزواجي و أسسه بحسب ثقافة كل مجتمع، فهناك بعض المجتمعات تقوم فيها الأسرة بدور الوكيل للزواج و تختار الزوج أو الزوجة لأبنائها بالنيابة عنهم و من دون الرجوع إليهم كالمجتمعات البدوية و الريفية و التقليدية، و بعضهم الآخر يتخذ الفرد فيها قرار الاختيار بمفرده من دون الرجوع لأسرته كالمجتمعات الصناعية بوجه عام"[2].

فأشكال التنظيم الأسري في المجتمع التلمساني في السابق كان يعتمد على خصائص منها (قلة الارتباط بالمجتمعات الخارجية– كثرة الارتباط على روابط الدّم – إعطاء الأهمية و الأولوية لنظم القرابة) مما جعل الاختيار الزواجي يرتكز بالدرجة الأولى على القرابة الدموية، أما مسألة الزواج فكانت من صلاحية الوالد فهو الذي كان يقرر على زواج ابنته مع الذي يراه مناسبا لها بدون حتى أن يستأذنها حتى تجد نفسها أمام قرار الزواج. و جعل الاختيار من مسؤولية الآباء هو عدم تحكم الأبناء في مستقبلهم لأن زواجهم كان مبكر جعل الآباء هم الذين يقررون بدلا عنهم في تقرير مصيرهم ، لأن الأب كان يرى أن ابنه تنقصه

[1] -ADDI Lahouari, op.cit, P , p 89

[2]- كلثم علي غانم، اتجاهات الشباب نحو قضايا الزواج –دراسة استطلاعية على عينة من الشباب القطري، المجلس الأعلى لشؤون الأسرة، قطر، 2010، ص 28

الخبرة في اختيار شريكة حياته، و غالبا ما كانت الفتاة تتزوج في سن مبكر كون أن المجتمع التلمساني يعتبر البنت التي تعدت السن الثلاثين في تعداد العوانس.

كما كانت تعطى العائلات التلمسانية أولوية في طلب يد الفتاة من المقربين كأبناء العمومة أو الخؤولة و هذا ما صرّحت به أغلب النساء حيث تقول المبحوثة رقم (06) " **وَقْتَنَا الْبَنْت كِي كَانْ يْجِيلْهَا مَكْتُوبْهَا الأَبْ هُوَ لِي يُقَرِّرْ..كَانْ يْمَدْهَا يَا إِمَّا لْوَلْد عَمْهَا وَ لاَّ لْوَلْد خَالَتْهَا يَا إِمَّا لتْلمْسَانِي بَصَّحْ بِشَرْط يْكُونْ تْلَمْسَانِي حُرّ**" أي **[في وقتنا آنذاك البنت عندما كان يأتي الشاب لخطبتها ، الأب هو الذي كان يقرر، كان يقبل إما ابن العم أو ابن الخال أو تلمساني بشرط أن يكون من أصول تلمسانية]** و بما أن العائلة التلمسانية كانت عائلة ممتدة فهذا كان يُسهل عملية الاختيار على الأهل فإذا وقع اختيار الزواج بنت العم من ابن عمها أو بنت الخال من ابن خالتها مثلاً فهذا يختصر الكثير من الوقت و الجهد في عملية البحث لأنهما يعرفان بعضهما منذ الصغر و كل منهما يعرف عائلة الآخر ما يفسر أن الاختيار كان قائمة بالدرجة الأولى على الرابطة الدموية أو ما نسميه بالزواج الداخلي، "حيث يكون شريك الحياة معروف مسبقا، و أحيانا يكون معروفا منذ الطفولة المبكرة، فيقوم الكبار بتعيين الزوجات و هن في طفولتهن و ذلك من بين أبناء العمومة و يمكن أن يمتد الاختيار إلى أبناء العمات ولأخوال و الخالات، و يعتبر من العيب الاجتماعي ترك بنات الأقارب و الزواج من خارج القرابة الواحدة"[1].كما جرت عادة متعارفة و هو الزواج بـ **' النْعِيتْ'** و هي طريقة قديمة كانت شائعة للراغب في الزواج من خارج دائرة القرابة، فتكلف والدة الشاب المقبل على الزواج سيدة في مقتبل العمر لها دراية ببعض الفتيات للزواج، فتقوم بالبحث عن عروس تحمل صفات مطابقة للشروط ، فان اقتنعت بإحداهنّ تصطحب والدة الشاب للمرة الثانية لرؤيتها بنفسها.

[1]- ناصر قاسمي، سوسيولوجية العائلة و التغيير الاجتماعي، دار الكتاب الحديث، ط1، القاهرة، 2012، ص 29

أمّا الشاب إن لم يكن من أقارب العروس فيشترط أن يكون من أصول تلمسانية و أحيانا كانت تتم التحريات حتى على والدة العريس إن كانت أيضا من أصول تلمسانية أم لا، تقول المبحوثة رقم (**03**) "**كَانُو يْمَدُّو بْنَاتْهُمْ للتِلِمْسَانِيِين بَصَحْ للْبَرَانِي لاَ**" أي [**كانو يعطون بناتهم للتلمسانيين ولكن للأجنبي لا**] فأول جملة كانت تُقال له حين يتقدم الشاب لخطبة الفتاة " **نْتِينَا بَنْ دِي مَنْ؟**" بمعنى "**أنت من أي عائلة التلمسانية ؟**"، و تشير كلمة ' **بَنْ دِي** ' إلى الشق الأول من الاسم العائلي مثلا كعائلة (**بن دي مراد، بن دي حسان ، بن دي جلول**..) و هذا لا ينحصر فقط على العائلات سابقة الذكر و إنما هو رمز الانحلال في المجتمع التلمساني، فإذا كان الشاب ينتمي إلى أحد العائلات التلمسانية المعروفة فالاحتمال كبير تكون الموافقة على الزواج، أما إذا كان من عائلة غير معروفة أو ليس من أصول تلمسانية أو ما يُسمى بـ '**البَرَّانِي**' و الكلمة تعني' **أجنبي**' أي يكون انتماؤه خارج الحيز التلمساني، غالبا ما يكون الموافقة بالرفض، لأنه يعتبر مجهولا و غير معروف في نظر التلمسانيين و هذا ما يعيق عملية الزواج خوفا من مستقبل الفتاة و تقول المبحوثة رقم (**10**)" **بَكْرِي لَوْ كَانْ مَا يْكُونْش تِلَمْسَانِي و الله مَا يْعَجِّبِي لْبَنْت.. عْلَى خَاطَرْ مَا تَعْرَفْش فَاشْ الطِّيحْ.. خُوتِي وَ نْسَابِي مَازَالْ للآن مَتْمَسْكِينْ بهَذه الفِكْرَة ويْسَقْسِيوْ عْلَى الأَبْ شْكُونْ و حتى الأُمْ شْكُونْ**" أي [**في الماضي الزوج إن لم يكن 'تلمساني'، لا يتزوج البنت، لعدم المعرفة الجيدة بأصله،أخواني و نسايبي مازالوا متمسكين بهذه الفكرة، يتحرون على الأب وحتى على الأم**] و هذا يعني أن هذه العادة مازالت مترسخة عند أغلب التلمسانيين و لم تندثر و يفضلون المصاهرة مع بعضهم البعض و التباهي بها .

كما أن الفتاة كان لا يترك لها فرصة حرية الاختيار و لا حتى السماح لها برؤية زوجها المستقبلي ذلك راجع للتنشئة الاجتماعية الأسرية و القيم التقليدية و ما تحمله الأسرة من ضوابط بترك مجال للمعنيين بالزواج محرومين إن صحّ التعبير من حق الموافقة أو المعارضة لأن هذا يتعارض حسب ظنهم مع

رضا الوالدين وما يعبر عنه بمصطلح (دعوة الشّر) ، إذ أن رضا الوالدين و طاعتهم من رضا الله، فإتمام هذا الزواج يأتي بموافقة الوالدين أولاً ، حيث يتم اللقاء بين والد الفتاة و بين والد العريس في مكان مخصص كالمقهى مثلا أو في محل أو عند أحد الأصدقاء أين يتم التفاهم على كل الشروط. و حين يُعلن والد العروس على موافقته يبقى الشطر الثاني من صلاحية أهل العريس في تكملة مراسيم الزواج.

أما اليوم و نتيجة التغيرات و التحولات الاجتماعية و الثقافية " فقد عُرف الزواج في العائلة الحديثة نظرة تختلف عن تلك التي كانت سائدة من قبل، و هذا نظرا لما أحدثته حركة التطور الاجتماعي من تأثير في ذلك بعد بروز الأسلوب الفردي في عملية الاختيار للزواج"[1]، فالاختيار الزواجي أصبح عملية فردية بعدما كانت عملية جماعية تخص العائلة بأكملها، فالشاب الراغب في الزواج لم يعد يطلب من والدته أن تختار له عروس بحكم أنه أصبح مؤهلا لذلك، و نتيجة للانفتاح و التحضر و وسائل الاتصال والاختلاط بين الجنسين سواء في أماكن الدراسة أو العمل من أهم العوامل الأساسية في تفتح الذهنيات على النموذج الغربي، حيث أصبح من حق طرفي الزواج أن يختار كل واحد منهما الآخر و الاقتناع به والموافقة عليه "و هذا وفقا للمقاييس الجديدة التي عرفتها عملية الاختيار الزواجي و المتمثلة في الحب المتبادل بين الطرفين، البحث عن الأمن الاقتصادي، المنزل المستقر، الوصول إلى وضع اجتماعي أحسن من الوضع الذي كان يعيشه كل طرف علما بأن الفتاة هي الأخرى أصبح لها حق في الإدلاء برأيها في مسألة زواجها و ذلك بالموافقة أو الرفض"[2].

فبعدما كان أهل الشاب في الأسرة التلمسانية هم الذين يقومون باختيار زوجة مناسبة له، أصبح يعرض الزواج على الفتاة مباشرة بدون حتى استشارة أهله فتقوم هي بعرض الموضوع على أهلها وبالخصوص على والدتها و هي بدورها تكون الوسيط بين ابنتها و والدها، فإن وافقوا يقوم الشاب بمفاتحة

[1]- مليكة لبديري، المرجع السابق، ص 56
[2]- المرجع نفسه، ص 57

الموضوع على أهله حتى و إن عارضوا الفكرة يستمر في إصراره و ذلك بعدم فرض قراره في الأول و إنما السعي لإيجاد وسيلة للتفاهم، فإن أصروا على عدم موافقتهم يستعمل بعض التهديدات كعدم زواجه على الإطلاق أو الهروب من البيت بدون رجوع مثلا، حتى تجد العائلة نفسها خاضعة لقراره و الموافقة على هذا الزواج.

أما زواج الأقارب فقد عُرف هو الآخر تراجع و بالشكل الملحوظ في المجتمع التلمساني نتيجة التفتح على الآخر "و أصبح الاتجاه الغالب هو البحث عن شريك من خارج القرابة الواحدة لعدة اعتبارات تتعلق بصحة الأبناء في حالة الإنجاب و الخوف من التشوهات الخلقية، و أحيانا يتعلق الأمر بالخوف من تأثر العلاقات القرابية في حالة فشل الزواج"[1]،إذ أصبح الشاب المقبل على الزواج يعتمد على الأسلوب الشخصي في الاختيار و بما يتماشى مع قناعاته و ميولاته، فالاختيار هنا يُصبح مسألة تخصه فقط ولا دخل لعائلته، حتى و إن عُرض عليه الزواج من بنت عمه أو بنت خاله مثلا فلا يصل هذا إلى حد الإرغام مثلما كان شائعا في الماضي و لم يعد نموذج المرأة الذي تقترحه والدته يعجبه "فإذا كانت المرأة المتعلمة والمرأة المتفتحة على الحياة الحضرية و المرأة العاملة تشكل في السابق مصدر خوف للخاطبين فقد أصبحت الآن نموذج مطلوبا و لا تحوم حولها تلك المخاوف السابقة"[2] فقد صرحت المبحوثة رقم (**02**) في نفس المجال " **اليُوم الرَّاجَلْ رَاهْ يْفَتَشْ عْلَى مَصْلَحْتُه.. و بَعْض العَائِلاَت التِلْمسَانِيَة رَاهُمْ يْشَرْطُو لْبَنْت تْكُونْ تَخْدَمْ بَاشْ تْعَاوَنْ زَوْجَهَا**" أي **[الرجل يبحث عن مصلحته.. و بعض العائلات التلمسانية تشترط على أن تكون البنت تعمل كي تساعد زوجها]** ما يفسر أن هذه ظاهرة الاختيار الوالدي قد تراجعت و بنسبة كبيرة.

[1]- ناصر قاسمي، المرجع السابق، ص 30
[2]- المرجع نفسه، ص 32

ما كشفه لنا الميدان أن أغلب المبحوثات تفضلن زواج أبنائهن ممّن تحمل شهادات جامعية وذلك بسبب التباهي و التفاخر خاصة إذا كان الابن له مستوى تعليمي عالي و بالتالي له مركز اجتماعي معين في المجتمع تقول المبحوثة رقم (09) " **زَوَّجْت وَلْدِي أُسْتَاذْ في الجَامِعَة هَذِه 3 سَنَوَاتْ و عَبَّاهَا بَنْت الدَّارْ مَا قَارْيَاشْ بَزَّافْ وْ زْوَاجُه مَا نْجَحْش عَلاَخَاطَرْ مَا تْفَاهْمُوشْ في ٱلعَقْلِيَة، و بَعْد الطْلاَقْ عَاوَدْ الزّوَاجْ مَنْ وَحْدَة أُسْتَاذَة في الابْتِدَائِي و الْحَمْدُ الله رَاهُمْ عَايْشِين غَايَة**" أي [**زوّجت ابني أستاذ في الجامعة منذ 3 سنوات من فتاة كانت لا تعمل (ماكثة في البيت) و مستواها الثقافي محدود، وزواجه لم ينجح لعد التفاهم بينهما، و بعد الطلاق أعاد الزواج من أستاذة في الابتدائي و الحمد لله مستقرين في حياتهم]** و تصرح أخرى " **كُلْ فِرْد يَحْرَثْ مْعَ قْرَايْنُو" أي [كل ثور يحرث مع قرينه]**،و هو مثل الشعبي شائع في مدينة تلمسان و المعنى أن كل شخص عليه أن يتزوج الفتاة من نفس مستواه الاجتماعي و التعليمي و الثقافي مثلا أن (الشاب المتعلم عليه أن يتزوج من فتاة متعلمة ، الغني عليه أن يتزوج غنية ، و الفقير عليه أن يتزوج من مستواه) و هذا لا يعني أنها قاعدة عامة و إنما تطبيق هذه المقولة هي السائدة في الغالب.

و رغم تمسك العائلات التلمسانية بفكرة المصاهرة الداخلية و إعطاء أولوية تزويج بناتهم من نفس القرابة أو من ذوي الأصول التلمسانية محض، فإن العصرنة و التحضر الذي طرأ على الأسرة التلمسانية أدّى إلى تعقيد عملية الاختيار لعدة أسباب خلفتها عملية التغير الاجتماعي و الثقافي و التي دعمتها وسائل الاتصال كالانترنت الذي أصبح يربط بين البشرية في مختلف مجتمعات العالم ، كذلك عَمِل على تقريب المسافات بين الناس و تعريفهم على بعضهم البعض و بصفة دائمة و بالتالي أصبح الشاب يعرف عن شريكته المستقبلية الكثير ما أدّى إلى تمتين العلاقات لتصل إلى حد الزواج، و دون مراعاة إن كانت الفتاة من نفس بيئته أو ثقافته أو مستواه، المهم أنه اقتنع بها. كما أدى عامل التعليم خاصة (الجامعات)

إلى منح فرص التعارف بين الجنسين و بصفة مباشرة و نتيجة الاحتكاك اليومي إلى تطور العلاقات إلى حد الزواج، فأصبح الشاب التلمساني يتزوج من فتاة قد تكون من الشرق الجزائري أو الوسط أو حتى الجنوب، فبعد أن كان التركيز على تشابه القيم والكفاءة في المستوى الاجتماعي و الاقتصادي و الثقافي، أصبح هذا التشابه يقتصر على المستوى التعليمي و العاطفي فقط، حتى العائلة التلمسانية لم تعد تُعير اهتمام إلى المكانة الاجتماعية كما في السابق، فالذي أصبح يهُمّها هو سعادة ابنها فقط ، حتى و إن لم تقتنع بفكرة زواجه لا يصل هذا إلى حد المعارضة، فتقول المبحوثة رقم (**07**)" **أَنَا مَا نْسِيبشْ رَاسِي مْعَ لْبَرّانِي بَصَّحْ وَلْدِي لَوْ كَانْ تَعَجْبُو وَاحْدَة بَرَانِيَة مَا نْقُولْش لاَ المُهِمْ يْكُونُو مَتْرَاضْيِينْ..وْ بَاشْ نْرُوحْ شَخْصِيًا نَخْطَبْلُو بَرَانِيَة الصّرَاحَة مَنَخْطَبْلُوشْ**" أي [**أنا لا أندمج مع الأجنبي، و لكن ابني لو تعجبه فتاة أجنبية لا أعارض، المهم الرضا بينهما..و لكن أخطبها شخصيا لا أفعل**]. حتى بالنسبة للفتاة التلمسانية هي الأخرى تغيرت وضعيتها و تطلعاتها اتجاه الزواج نتيجة هذه التغيرات، حيث أصبح لها رأي في اختيار شريك حياتها بعد ما كان هذا من مهام الأسرة و ذلك لاكتسابها قيم و ثقافة جديدة نتيجة خروجها إلى المدارس و الجامعات، ما جعلها ترسم حياتها حسب قناعاتها ، فأصبح الزواج بالنسبة لها يرتكز بالدرجة الأولى على الماديات إذ أنها تفضل الرجل الذي يوفر لها كل ما تحتاجه و تشترط أن يكون له مسكن خاص و سيارة و رحلات سياحية من حين لآخر و لا يهمها إن كان من أصل تلمساني أو من منطقة أخرى المهم أن يكون غني، و حتى العائلة لم تعد تركز على الزواج الداخلي أو الزواج المحلي، فبعدما كانت تعطى الأولوية في طلب يد الفتاة من المقربين ، أصبحت تتساهل في مسألة الزواج من الغرباء المهم أن تعيش حياة سعيدة و في رفاهية. في هذا المجال تصرح المبحوثة رقم (**02**) " **بَكْرِي الوَالْدِين كِي كَانُوا يَرَفْضُو الخَطّابْ، البَنْت مَا تْزِيدْش تَهْدَرْ وَ الْيُوم كِي تْقُولْ كَلْمَتْهَا و لُوكَانْ حَتَى وَالْدِيهَا ما يَقَبْلُوشْ**" أي [**في الماضي الآباء عندما كانوا يرفضون الخُطَّاب ، الفتاة لا تناقش الأمر، أما اليوم تفرض رأيها**

في الزواج حتى و ان لم يقبل الآباء الخطيب] .ما يفسر أن الفرد أصبح يخضع إلى تنشئة اجتماعية خارج نطاق الأسرة و بالتالي قلت ارتباطاته بعائلته ما أضعف سلطة الآباء على الأبناء و التمرد إن صح التعبير على نظام الأسرة التقليدية و أصبحت تصوراته مغايرة تماما عما كان عليه آباؤهم."هذه الوضعية الاستثنائية في الحياة العائلية و التي هي الاختيار عند الزواج و اتخاذ القرار للزواج، تتم وفقا لتداخل مزدوج بين القديم و الحديث، فمن القديم تستلف العائلة كل المراسيم و الخطوات..كما تستلف اللباس للزينة وكيفية تنظيم العرس، و من الحديث تستلف العائلة كل المزايا المادية و النفسية، على الخطيبين أن يكونا متفقان على الزواج و بإمكانهما أن يتقابلا مرات قبل الزواج"[1].

إن التغيرات التي شهدها المجتمع التلمساني في العقود الأخيرة أدّى إلى تغيير نظرة الشباب للزواج،فبعدما كان الزواج مبني على الاختيار الوالدي أصبح يركز أكثر على الاختيار الشخصي نظرا لتعدد الاتصالات و العلاقات بين الجنسين عن طريق التعليم و العمل، و تفضيل الخروج من دائرة القرابة، و ما لاحظناه من خلال الميدان أن عملية الاختيار الزواجي وجد اختلافات واسعة النطاق بين الماضي والحاضر، ما يفسر سيطرة الحياة الفردية على الحياة الجماعية و تخلي الأسرة بنسبة كبيرة عن وظيفتها التزويجية.وبالرغم من تدخل العصرنة على جيل الشباب إلاّ أن العادات و التقاليد و إن طرأ عليها بعض التحولات لا يعني هذا الاستغناء عن تدخل الأسرة في كل مراحل الزواج و هذا ما سنكشفه في المرحلة التي تأتي بعد عملية الاختيار الزواجي و هي مرحلة الخطبة.

[1]- مصطفى بوتفنوشت، العائلة الجزائرية ، المرجع السابق، ص 309

2. الخطبة:

تعتبر الخطبة أول خطوة في عملية الزواج و تأتي مباشرة بعد الاختيار الشريك، و هي مرحلة التعارف بالنسبة للخطيبين أو فترة تمهيدية، "و التأكيد على هذه المرحلة تأتي بتحديد المهر و قراءة الفاتحة "[1] وتحديد موعد الزفاف و غيرها من الطقوس.

"و تحظى الخطبة في كثير من المجتمعات الشرقية التي لا تقبل أي علاقة غير رسمية بين الفتى والفتاة، الأمر الذي تصبح معه الخطبة هي الوسيلة الوحيدة المقبولة من الأسرة و المجتمع للتعارف بين الفتى والفتاة، و تنطوي الخطبة على مرحلة التحول النهائي للمكانة المتغيرة من العزوبة إلى الزواج، و كذلك التحول من التواعد مع أكثر من شخص إلى التواعد المقصور على شخص واحد (الخطيب أو الخطيبة)"[2].

شهدت عملية الخطبة في منطقة تلمسان اختلافات بين الماضي و الحاضر في طقوسها نتيجة التحولات الثقافية، ففي الماضي كانت تتم بين أهل العريس و أهل العروس بدون تدخل طرفي الزواج (الشاب و الفتاة)، و وفق معايير متعارف عليها، فكانت الخطبة تتم أساسا على الحسب و النسب والأخلاق الذي يثبت هويتها بمعنى التي تتمتع بسمعة طيبة و عرض شريف و قادرة على تحمل أعباء الحياة الزوجية، إذ جرت العادة أن والدة الشاب هي التي تقوم بمهمة البحث عن زوجة مناسبة لابنها دون أن يعارض الابن الفكرة، و اختيار الخطيبة غالبا ما كان يقع على المقربين كبنت العم أو بنت الخال أو حتى بنت الجيران نظرا لمعرفتهم الجيدة بها، تقول المبحوثة رقم (08) " **بَكْرِي لْوَلْد كِي يْجِي مَاشِي يَزْوَج يْقُولْ لأمُّه تْشُوفْلُو مَاشِي هُو يْشُوفْ، كَانَتْ تْشُوفْلُو مْلاَفَامِي وَلاَّ بَنْت لْجِيرَانْ..وْ كِي يْكَمْلُوا مَا يُخْرُجْش مْعَاهَا** " أي [**في الماضي الابن المقبل على الزواج، يطلب من أمه تختار له الفتاة و ليس هو، فكانت تختارها من العائلة أو بنت الجيران، و عند إعلان القبول، الخطيب لا يخرج مع خطيبته**]

[1] - TOUALBI Radia, op.cit, P 64

[2]- سناء الخولي، الأسرة و الحياة العائلية ،ص 190

وإن كانت الفتاة المراد اختيارها بطريقة" **النْعِيتْ**"، فكانت تذهب والدة الشاب لتزورها دون موعد مسبق و دون إخبارهم بأنها تنوي خطبتها و ذلك من أجل التعرف على جو الأسرة لرصد السلوكات وكذا ملاحظة بعض التفاصيل كنظافة البيت و طريقة تقديم القهوة.. إلخ، أما عن والدة الخطيبة فكانت تعتبر المعيار الأساسي في معرفة البنت من حيث الأصل و الانتماء تبعا للمثل الشعبي الشائع في المنطقة " **قْلَبْ القَدْرَة علَى فُمْهَا تَطْلَعْ البَنْتْ لأُمْهَا**" و المعنى أن الفتاة تستمد كل السلوكات و التصرفات من والدتها نظرا لتعرضها لتنشئة اجتماعية داخل البيت و بالتالي كلما كبرت في السن زادت شبها بوالدتها، و هذا يعني قبول الخطيبة يأتي بالاقتناع التام عن والدتها و محيط عائلتها.

كذلك من بين شروط كان تركيزهم أكثر على قيمة الجمال و خاصة صحة الجسم لأن في الأسرة الممتدة آنذاك كان يتطلب على المرأة جهد مضاعف نظرا للأعمال الشاقة التي تنتظرها من طبخ و غسيل و تربية الأولاد و كذا إمكانيتها في تسيير شؤون العائلة و البيت. تقول المبحوثة رقم (**03**)" **كَانَتْ مُعْظَم الأُمَهَات كِي يْحَبُو يْشُوفُو لْوَلْدهُم خَارِج نِطَاق العَائِلَة يْرُوحُو لَلْحَمَامْ يْشُوفُو لَبْنَاتْ**" أي [**كانت معظم الأمهات إذا أردن اختيار الفتاة خارج نطاق العائلة يذهبن إلى مكان الاستحمام، حيث تتجمع أغلب العازبات.**]، ما يفسر أن 'الحمام' أو مكان لاستحمام، كان الملجأ الوحيد لاختيار البنات ، فكانوا يفضلون البنت مقبولة الشكل و خاصة مليئة الجسم الذي هو رمز لجمالها و صحتها.

و بعد قرار موافقة أهل الشاب في اختيار الفتاة وفق المعايير سابقة الذكر ، يبقى طلبها رسمي من أهلها، حيث كان تذهب والدة الشاب و تأخذ معها بعض أفراد عائلتها حسب الأصول و القيم فكانت تصطحب معها إحدى بناتها المتزوجات أو أحد قريباتها كأختها أو أحد المقربين من زوجها، و ما إن تتم الموافقة الأولية للخطبة يبقى الموافقة النهائية لأهل الخطيبة ، فإن كان من المقربين فهو معروف و إن لم يكن ذلك وجب عليهم التحري عليه و على عائلته لأن لهم الحق في ذلك ، و بعد الإعلان الرسمي عن الموافقة

يبقى الاتفاق على شروط الزواج كالمهر و موعد "**المْلاَكْ**"، و كان يوم الخطبة اليوم الرسمي للاتفاق على كل شيء، و لم يكن هناك موعد آخر حسب تصريح المبحوثة رقم (**01**) " **مَا كَانْش كَايَنْ الخُطْبَة الأُولَى يْشُوفُوهَا و الخُطْبَة الثَانِيَة يْكَمْلُوا عْلِيهَا، كَانْ نْهَارْ الخُطْبَة يَتَفْقُوا عْلَى كُلْ شِيء و يَتَفْقُوا عْلَى نْهَارْ لِي يْجِيبُو فِيه الْملاَكْ**" أي **[لم تكن هناك خطبة أولى التي يتم فيها رؤية الفتاة و الخطبة الثانية التي يتم فيها الموافقة الرسمية، كان يوم واحد للخطبة يتم فيها الاتفاق على كل شيء بما فيه 'الملاك'].**

أما عن رؤية الشاب لخطيبته فنادرا جدا ما كان الشاب يرى خطيبته يوم الخطبة و إن حصل ذلك يكون برفقة أحد من قريباته و من كثرة خجلهما لا يستطيع تطلع أحدهما في وجه الآخر، و لكن معظم المتزوجين من جيل الآباء كان لا يتسنى لهم رؤية الخطيبة إلاّ يوم العقد القران الذي تفصله بضعة أيام عن موعد الزفاف، فتقول المبحوثة رقم (**07**) " **أَنَا تْزَوَجْت بالنْعِيتْ ، وَالْدِيهْ جَاوْ شَافُونِي و خَطْبُونِي لِيهْ و مَا عْرَفْتُو و مَا شَفْتُو حَتَى يَوْم الْعُرْس شَافْنِي بالرَّغْم أَنَّ الخُطْبَة دَامَتْ سَنَة و ثَلَاث أَشْهُر و عَشْنَا غَايَة الْحَمْدُ الله**" أي **[أنا تزوجت عن طريق 'النْعِيتْ' والديه أتوا لرؤيتي و خطبوني له، لم أعرفه أبدا و لم أراه حتى يوم الزفاف، بالرغم أن الخطبة دامت سنة و ثلاثة أشهر و عشنا حياة مستقرة]**، و مدة الخطوبة كانت لا تتعدى السنة الواحدة باعتبارها فترة حساسة و كانت العائلة تفضل التّعجيل تبعا للّمقولة المتداولة " **الخُطْبَة كِي تَطوَالْ تَسْمَاطْ**" أي **[عندما تطُول مدة الخطبة تُمل]**، ذلك اجتنابا لأي عائق قد يحدث بين العائلتين يؤدي إلى فسخ الخطبة و كلما كانت فترة الخطوبة قصيرة زاد احتمال حصول الزواج و العكس صحيح .

أما عن الهدايا فكانت على حسب مقدورية كل عائلة فمنهم ما كان يقدم الذهب مثلا كخاتم أو سلسال و منهم ما كان يقتصر فقط على ثياب و بعض الحلويات التقليدية و هذه العادة تسمى بـ "

التّفْقِيدَة" و هي هدية تقدمها والدة الشاب في أيام مخصصة كعيد الفطر و عيد الأضحى أو حتى مناسبة أخرى كعيد المولد النبوي أو عاشوراء، و هي عادة مازالت مستمرة و المعنى هي زيارة و تفقد العروس من أجل الاطمئنان.

و خلال فترة الخطوبة يقوم كلا الخطيبين بتجهيز نفسيهما ، من جهة الخطيبة تقوم بتحضير جهازها 'جهاز العروس' الذي يُسمى في منطقة تلمسان بـ ' **الشُّهْرَة**' و جرت العادة عند أغلب الأمهات الحرص على توفير بعض المستلزمات التي تراها باهضة الثمن لبناتها عند بلوغها السن 14 سنة،**'كالذهب'** و**'الجوهر أو اللؤلؤ'** مثلا و بعض الأقمشة **'كالقطيفة'** و' **قماش البلوزة**' بدون خياطة و قطع الصابون و بعض الألبسة لتكون إضافة لما يجهزه الرجل، و ما إن يحن موعد زواجها تشرع الأم في خياطة هذه الأقمشة، إضافة إلى مستلزمات العروس اليومية من ألبسة تقليدية التي تلبسها يوم زفافها، ألبسة يومية، إضافة إلى الفراش أو **'الفَرْش'** فكان اختياري بين العروس أو العريس، الذي يحتوي على أغطية ' **البُورَابَحْ**' و **'لحْيِفَاتْ'** و وسادات من الصوف و كذا ' **مْطَارَحْ الصُّوفْ**' و العدد يكون ثمانية من كل نوع، أما من جهة الخطيب فعبئه يكون أثقل من عبئ الخطيبة نظرا لما ينتظره من تكاليف الزواج من أكل و شرب وتجهيز البيت. و هذا يفسر محاولة إثبات وظيفته كرجل مسؤول في تلبية حاجيات زوجته في المستقبل.

إن التحولات و التغيرات العصرية لعبت دور كبير في تغيير نوعي في عادات الخطبة في الأسرة التلمسانية، أدى إلى انسحاب الآباء من مهمة البحث عن عروس و هذا راجع إلى الخوف من المشاكل المستقبلية التي قد يتعرض إليها الزوجين، تقول المبحوثة رقم (**10**) " **أَنَا خُوتِي وَالْدِيَا هُمَا لِي زَوْجُوهُمْ بَصَّحْ الدَنْيَا تْبَدْلَتْ، وْلَادِي يْشُوفُو وَحَدْهُمْ بَاشْ إِلَا صْرَاتْ حَاجَة مَا يْقُولُولِيشْ أَنْتِي جَبْتِيهَا**" أي **[والديا هما اللذان اختروا العروس لأخي، و لكن الدنيا تغيرت، أبنائي هم من يختارون عروستهم المستقبلية،لأنه بصراحة إذا حصل أي مشكل بينهم لا يقع علي اللّوم إذا أنا اخترت]** و استنادا إلى

هذا أصبح الشاب هو الذي يختار شريكته المستقبلية وفق معاييره الشخصية و يكلف فقط والدته بخطبتها له. فكان اليوم الأول مخصص فقط لزيارة الفتاة زيارة أولية بغرض التعرف عليها ، فتذهب والدة الشاب باصطحاب إحدى بناتها أو أحدى قريباتها لزيارة الفتاة حتى و إن لم تعجبها يبقى هذا اختيار ابنها و لن تستطيع المعارضة، أما مسألة التحريات عن الشاب أو الفتاة مثل السابق فقد أصبح هذا غير مجدي بحكم أنهما يعرفان بعضهما جيدا و لا داعي لذلك، و هذا لا يعني انعدام هذه عادة بل مازالت مترسخة عند بعض العائلات.و بعد الإعلان عن الموافقة يأتي اليوم الثاني و هي الخطبة الرسمية أو ما يسمى بـ **' الكْمَالْ'** حيث ترجع فيه والدة الشاب و باصطحاب معها بعض النسوة من أقاربها مرتديات أحسن ثياب و أحسن حلي، و فيه يتم الاتفاق على الشروط المهر و هي (**القيمة المالية**) **و الذهب مثلا** (**La parure**) واللباس العروس الرسمي (**القرفطان**) أو (**الكاراكو**)، أما **'الفَرْش'** أو الفراش كان يعتبر من بين الشروط ولكن يبقى اختياري بين العروس و العريس، فإذا كانت الفتاة هي التي تقوم بتجهيزه فعليها شراء عدد كبير من الواسدات و الأغطية و الأفرشة باهضة الثمن و أغطية طاولة مطرزة إضافة إلى نوعين أو ثلاث من تجهيزات غرف لاستقبال و كلما كان جهاز العروس وفير و معتبر عكس قيمتها عند أهل زوجها والعكس صحيح و هذا يبقى رمز لمكانتها في بيت زوجها و ربما تحتقر قليلة المتاع و هناك مقولة متداولة عند التلمسانيين " **الْبَنْت لِي تْجِي عُرْيَانَة تَبْقَى عُرْيَانَة فِي نَظَرِنَا مَهْمَا طَالْ الزْمَانْ**"، هذه العادات هي متعارف عليها في المنطقة . و بعد الموافقة على الشروط تقوم والدة الخطيب بتلبيس كنتها خاتم و لكن ليس بخاتم الخطبة و إنما **' خَاتَمْ الْكَلْمَة'** الذي هو رمز القبول الرسمي و المعنى أنها أصبحت محجوزة، فهذا الخاتم أصبح ضروري أكثر منه ثانوي بعدما كان يقدم فقط خاتم واحد يوم 'الملاك'. و بعد الموافقة على شروط الزواج يتم الاتفاق على يوم 'الملاك'.

أما عن الجمال الجسدي " فضخامة الجسم لم تعد مطلوبة كما في السابق بل أصبحت معيقة لخطوبة الفتاة و ربما لاستمرار زواجها"[1]، فقد أصبح تأثير الإعلام و التلفزيون واضح على شباب اليوم في اختيار شريكة الحياة حيث أصبحوا يقلدون الغرب و الفنانات و هذا ما ساعدهم في تحديد ملامح الخطيبة و حتى الأم أصبحت تركز أكثر على جمال الوجه و رشاقة الجسم خاصة في العائلة التلمسانية يفضلون البنت طويلة القامة بيضاء البشرة أو الشقراء ذو العينين الخضراء أو الزرقاء بالإضافة إلى معايير أخرى كأن تكون لها مستوى جامعي و تعمل.

كذلك من العادات الشائعة و هي تفضيل المصاهرة الداخلية، أي التلمسانيين مع بعضهم البعض كقولهم مثلا " **بَنْتِي عَبَّاهَا وَلْد بْرِيكْسي**" و ذلك من أجل التفاخر و التباهي، بالرغم أنا مسألة المصاهرة الداخلية عرفت تنازلات ملحوظة نتيجة التحولات العصرية، لكن ما يمكننا تفسيره اجتماعيا هو أنّ الدافع المادي أصبح هو سيد الموقف في هذا المجال ، حيث أصبحت الفتاة التلمسانية تقبل الزواج من رجل غريب أو أجنبي شريطة أن يكون غني ، و لا يمكننا التّعميم لأن ما لاحظناه خلال الميدان أنه مازالت بعض العائلات المتجدرة متمسكة بفكرة المصاهرة الداخلية، فمدينة تلمسان تحتوى على طبقات أسرية حتى وإن كان الخطيب ميسور الحال ماديا يكفي أن يكون ذو الأصول التلمسانية و من العبارات المتداولة في هذا الشأن" **الاسْم العَالِي وَ الرَسْم الخَالِي**" أو " **أَنَا عَبِيتْ الاسْم فقط**".

أما عن رؤية الخطيب لخطيبته فقد عُرف هذا تغيرات كبيرة نظرا لعامل التحضر، إذ أصبح اللقاء الطرفين ضروري قبل الزواج بحجة التعارف أكثر، و ما شجع على ذلك أماكن الالتقاء كالمطاعم و(**Salon de thé**) و الحدائق العامة و حتى رؤية بعضهما كل يوم خاصة إن كانا يعملان مع بعضهما بعض، كذلك نجد تدخل مؤشر آخر و هو تردد الخطيب نفسه عند بيت الخطيبة دون مراعاة والديها

[1]- ناصر قاسمي، المرجع السابق، ص 35

وحتى سمعة و شرف الفتاة ما يبرز المحيط الثقافي، و هذا لا ينفي وجود بعض العائلات ترفض هذه التصرفات بدافع العرف و القيم و التقاليد و بدافع الديني أو (العين) قد يؤدي إلى فسخ الخطبة ،تصرح المبحوثة رقم (**06**) " **الدَنْيَا تْبَدْلَتْ مَا بْقَى حْيَا مَا بْقَاتْ حْشُومَة.. وَلاَّ الرَّاجَلْ يْدُورْ مْعَ خَطِيبْتُه Normal قُدَّامْ خَاهَا وْ أَبُوهَا و فَامِيلَتْهَا.. كِيفَاشْ حَبِيتُو رَبِي يْسَخَّرْلَهُمْ**" أي **[الدنيا تغيرت و راح الحياء و الحشمة،أصبح الرجل يجول مع خطيبته أمام أبوها و أخوها و عائلتها و يرونه شيء عادي، كيف أن الله يُسخر هذا الشيء]** و تضيف المبحوثة رقم (**07**) " **دَرْوَكْ الوَلْد يَخْرُجْ مْعَ الْبَنْت عَامَاتْ و سْنِينْ و يْشُوفْهُمْ العَادِي و البَادِي بَصَّحْ كِي يَتْزَوْجُو عُشْرَتْهُمْ مَا طُولْشْ**" أي **[اليوم الولد أصبح يخرج مع الفتاة عدة سنوات و يروهم كل الناس ، و لكن عندما يتزوجون عشرتهم لا تدوم.]**، ما يفسر أن هذا التغيير أثّر كثيرا على القيم السائدة في المجتمع التلمساني أدّى إلى فقدان الآباء لسلطتهم و سيطرتهم على الأبناء.

كما عُرفت طول مدة الخطوبة مقارنة مع جيل الآباء اختلاف واضح و قد تستمر حتى أربع إلى خمس سنوات و هذا راجع إلى الضرورة الاقتصادية، فقد أصبح الشاب يفضل تأخير الزواج خاصة إذا كان خريج جامعة أو راتب عمله غير كافي فهذا يعيق مسألة توفير المهر و كذا تكاليف الزواج، أما الفتاة أصبحت تفضل إنهاء دراساتها و إيجاد عمل يساعدها على شراء جهازها،"فإن ارتفاع تكاليف الزواج والالتزام بالممارسات الاجتماعية المتعلقة بالزواج تعد من أهم الأسباب التي تدفع بالشباب إلى تأجيل الزواج ما دام إتمامه يستلزم سنوات عديدة من العمل و التوفير و الادخار له كما هو معروف"[1].

و من خلال ما سبق يمكننا القول أن التحولات الثقافية و الاقتصادية و الاجتماعية عملت على تغيير نموذج الخطبة في الأسرة التلمسانية و نلتمس هذا من خلال ضعف سيطرة الآباء على الأبناء، فبعدما

[1]- مليكة لبديري، المرجع السابق، ص 58

كانت البحث عن عروس و خطبتها من مهام الآباء أصبحت قضية تخص الشاب أكثر من عائلته، و ما ساعد على ذلك الاختلاط بين الجنسين من خلال التعليم و وسائل الاتصال و بروز معايير جديدة أهمها ضرورة التعارف على بعضها قبل الزواج. كذلك الاتفاق على موعد الزواج و قيمة المهر بات قرار ينحصر بين الخطيبين فقط. و بالرغم من هذه التحولات إلا أن الخطبة في مضمونها العام مازالت محافظة على شكلها و لكن بتدخل عناصر جديدة.

3. المـلاَكْ:

'الملاك' يأتي مباشرة بعد الخطبة و هي احتفالية تقام في بيت العروس "و بهذه المناسبة، يحضر أولياء و ضيوف العروس، و فيه يتم تقديم الشروط الزواج المادية للعروس و المتمثلة في أشياء قيّمة إضافة إلى المهر و هو عبارة عن مبلغ مالي"[1].

و لتوثيق هذه الشروط على أسس متينة يبرم ' عقد الفاتحة' أو قراءة الفاتحة و تكون في الصباح في المسجد معروف في منطقة تلمسان يسمى بـ **'الجامع الكبير'**، وبحضور كل من العريس و والده و والد العروسة و مجموعة من الرجال حسب تصريح الأغلبية " **نْهَارْ لَمْلاَكْ كَانُوا يَقْرَاوْ الفَاتْحَة في الجَامَعْ الْكَبِيرْ**" أي [**يوم 'الملاك' كانوا يقرأون الفاتحة في المسجد الكبير**] و في نفس السياق تقول المبحوثة رقم (**02**)" **فِي بَيْت العَرُوسْ كَانُو يَعَمْلُو الطّعَامْ (الكسكس) للرّجَالْ ، و الطّعَامْ كِي يْبَخَرْ مَعْنَاهْ الزّوَاجْ تَمْ هَذَا هُوَ الْحلاَلْ تَاعْ الصّحْ**" أي [**في بيت العروس كان يتم تحضير 'الكسكس' للرجال، والكسكس عندما يتبخر معناه أنه تمّ الزواج**] و إذا كان المسجد قريب من بيت أهل العروس يرسل إليهم صحنان أو أكثر صدقة حتى تكون الفاتحة مباركة كقولهم " **بَاشْ رَبِي يْسَخَرْ**".

تبدأ مراسيم الملاك في بيت العريس أولا، حيث تكون المدعوات من قريبات أم العريس و الأغلبية بنات عازبات مجتمعات في جو من الفرح ، و بعد حضور الجميع تنطلقن في سيارات خاصة و عادة ما تكون أربع أو خمس سيارات مزينة و كل واحدة من المدعوات تحمل معها نوع من مقتنيات العروس مصاحبة بزغاريد. و في حين انتظار الملاك، تبدأ العروس بتزيين نفسها و تقوم بارتداء اللباس واحد التقليدي فقط الذي يسمى بـ **'الرّدا'** لاستقبال أهل زوجها و هو زيّ معروف في المنطقة و لازال يستعمل عند بعض العائلات.

[1]- **TOUALBI Radia, op.cit, P 64**

و حين وصول أهل العريس بالملاك برفقة ' **الطْبَلْ**' أو باللفظ المتداول ' **جَابُو لَمْلاَكْ** ' يقوم أهل العروس باستقبالهم بالزغاريد، و هنا يتم وضع مقتنيات العروس في طاولات خاصة في وسط الغرفة لكي يراها الجميع، و الملاك كان يوضع في صينية كبيرة الحجم دائرية أو ما يسمى بـ' **الطيفور**' معبأ بالحنة (ورقية) و الحلوى و الأنواع المكسرات و الفول السوداني و قالب سكر في الوسط و مغطى بما يسمى بـ ' **المَنْسُوجْ**' و هو قماش العروس كانت تشترطه أم العروس لبنتها، إضافة إلى الذهب و غالبا كان سلسال ثقيل أو ما يسمى' **المَسْكِيَة**' أو أساور ' **المْسِيبْعَة**'، زيادة إلى خروف، وبحضور بنات صغار حاملين معهم شمعتان و ولد صغير حامل معه' **غُرَّافْ الحَلِيبْ**'.

أما المبلغ المالي فيختلف يوم تقديمه لأهل العروس فغالبا ما يقدم بعد قراءة الفاتحة و هذا راجع إلى مقدورية الزوج، و هناك بعض العائلات تقدمه بعد الملاك مباشرة. و للمهر مضمون اجتماعي عند الأسر التلمسانية به يقاس قيمة العروس، فكلما كان المهر كبير زادت قيمتها و العكس صحيح حسب قول المبحوثة رقم (09)" **أَنَا بَنْتِي دَاكْ الْوَقْت دَفْعُو فِيهَا (خَمْس مْلَايِينْ) كَانُو دْرَاهَمْ..وْ كَامَلْ النَاسْ نْخَلْعُوا**" أي**[انا ابنتي بالماضي دفعوا فيها قيمة المهر يقدر ب 'خمس ملايين' كان مبلغ كبير أنذاك، ما أدهش الجميع]** . ما يفسر أنّ غلاء المهر له دلالة اجتماعية و اقتصادية تعكس مكانة البنت بين أهلها و معارفها.

أما الاحتفال إذا كان في النهار فغالبا ما كان يبدأ بعد الظهر لينتهي بعد العصر، أما إذا كان في المساء فإنه يبدأ بعد المغرب إلى غاية ساعة متأخرة من الليل. بعد قراءة الفاتحة و تقديم الغذاء للمدعوين، تبدأ الاحتفالية و ذلك بخروج العروس و جلوسها في كرسي في زاوية الغرفة و الموسيقى كانت عبارة عن دربوكة أو طبل بين النسوة فقط و البنات العازبات يرقصن و الزغاريد متعالية ، و كان ممنوع على الرجال حتى و إن كان من المقربين الدخول عند النسوة أو الاختلاط معهم، و حتى خاتم الملاك فكانت تُكلف

أخت العريس أو أحد المقربين في تلبيسه بدلا من العريس لأن حضوره ليس ضروري. و كانت القلة من البنات المدعوات التي تقطن بعيدا أن تبيت في بيت العروس، و لكن أغلبية البنات كان يمر عليهن آبائهن لأخذهنّ عند منتصف الليل.

و في صبيحة يوم الملاك تفترق النسوة من قريبات العروس بعد وجبة الغذاء التي تحضره أم العروس، أما العروس فلا يتسنى لها رؤية زوجها بعد هذا اليوم و لا التكلم معه إلاّ يوم عقد القران و ذلك احتراما للعرف و القيم، تقول المبحوثة رقم (**03**) " **وَ صْبَاحْ الَمْلاَكْ الرَاجَلْ مَا يْفَتَّشْ فِيهَا وَ هِيَ مَا تْفَتَّشْ فِيـهْ.. وْ مَاكَـانْش كَـايَنْ RDV وَ لاَ هَـذا التِّبَاهْـدِيلْ دِي رَاهْ دَرْوَأ**" أي [**و مجـرد انتهـاء 'الملاك'، الرجل لم يكن يرى خطيبته بعد ذلك و لم يكن بينها لقاءات مثل ما هو عليه اليوم من بهدلة.**] ما يفسر عدم رضا جيل الآباء عن سلوكات جيل الأبناء و ما ينجر منهم من قيم دخيلة على المجتمع.

و مع التحولات الراهنة اختلف طقس الملاك بين الماضي و الحاضر في تلمسان، نظرا لتداخل ثقافات عصرية، فأصبح الملاك مكلّف للخطيب و الخطيبة معًا، فبعدما كانت قراءة الفاتحة تتمّ في المسجد و بحضور الرجال قلة من أقارب العريس و العروس يفترقوا مباشرة بعد الانتهاء من القراءة و بعد أكل صحن الكسكس ، تغير مدلولها الاجتماعي، و أصبحت تُقام في بيت العروس بعد اتفاق الطرفين على يوم قراءة الفاتحة و هذا اليوم يكون مخالف ليوم الملاك و ليس في نفس اليوم كما جرى في الماضي.و عليه فإن عقد الفاتحة باتت تُقام وفق عادات مغايرة، حيث يتم حضور عدد كبير من الرجال لكلى الطرفين يترأسهم إمام المسجد و ليس شرط (الجامع الكبير) بالإضافة إلى كاميرا التصوير التي أصبحت من الضروريات خاصة في مثل هذه المناسبات.

بعد القراءة يتم تقديم وجبة الغذاء إذا كانت في النهار أما إذا كان بعد العصر فواجب تقديم العشاء التي تحضره أم العروس من أشهى الأطباق بعدما كان يقتصر على 'الطعام' أو الكسكس، و هذه الأطباق

ممثلة في (**حريرة، البرقوق، مع سلطة و مشروبات غازية، و فاكهة الموسم**). أما مهر العروس (قد سبق ذكره) يتم الإعلان عليه بصفة رسمية في عقد القران أما يوم عقد الفاتحة يبقى الإعلان عليه دون ذكر قيمته المالية.

تحضير يوم الملاك يكون مُكلّف و مشابه لتحضيرات يوم الزفاف، فيبدأ الاتفاق أولاّ على مكان الملاك، و غالبا ما تكون قاعات الحفلات هي الحل الذي يرضي أهل الطرفين خاصة إذا كان المدعويين يفوق عددهم الستين ، و هناك بعض العائلات ضد فكرة حجز قاعة حفلات باعتبارها مكلفة خاصة في حفل الملاك حيث تصرح المبحوثة رقم (**05**) " **وَلاَّ حَتَى الْملاَكْ يَعَمْلُوهْ في الصَّالَة بالنِسْبَة لِيَ خْسَارَة كْبِيرَة**" أي [**أصبح حتى حفل 'الملاك' يُقام في قاعة الحفلات، بالنسبة لي خسارة كبيرة**] ، فتفضل قيامه في البيت العروس أو بيت أحد الأقارب إذا كان بيت أهل العروس صغير و لا يسع للمدعوين. ويبقى هذا حسب القدرة المالية و الطبقة الاجتماعية.

و خلال هذه الفترة تكون العروس قد تمت خياطة أنواع الألبسة الخاصة بهذا اليوم المتمثلة في (**الزّدَا – الكَارَكُو– فُوقِيَة – بْلُوزَة – و لباس سهرة خاص عند تلبيس الخاتم و يشترط أن يكون لونه أبيض أو وردي**)، أما من جهة العريس فتبدأن النسوة (الأم و الأخوات و الخالات..) في تجهيز لوازم العروس و هي شروط الزواج المتفق عليها إضافة إلى خاتم الملاك، و تحضير بعض الحلويات التقليدية المشهورة في المنطقة توضع في **أطباق** (**Les Plateaux**) و يتم تغليفها بإحكام ، كذلك شراء عدد من سلاّت مغلفة بقماش حريري أبيض و مزين بأربطة ملونة و ورود، و تكون سلّة معبأة و مزينة بمواد التجميل و العطور، و سلة أخرى (بأنواع الشكولاتة و أنواع الحلوى '**Dragées**') و أخرى فيها نوع من قماش ' البلوزة' بدون خياطة و معه حذاء و حقيبة العروس يحملان نفس لون القماش، و سلة معبّأة

بأنواع الفواكه.أما فيما يخص الثياب الذي هو لباس العروس**'القرفطان'**و**' الكاراكو'** فيوضع في حقائب خاصة **' Les Valises diplomatique '** بعدما كانت في الماضي توضع في صينية كبيرة.

و في صبيحة يوم الملاك، تذهب أم العروس إلى قاعة الحفلات التي تمّ حجزها برفقة بعض النسوة من أقاربها و معها طباخة و مساعديها، حيث تبدأن في تجهيز وجبة العشاء للمدعوين، إذ تكون هذه الوجبة مكلفة و منوعة بوصفات عصرية و غربية حسب تصريح المبحوثة رقم (**04**) " **لِي يَعْمَلْ الَمْلَاكْ فِي La salle يَضْرَبْ حْسَابُو لَعْشَاء فْرِيعْ**" أي**[الذي يُقيم حفل 'الملاك' في قاعة الحفلات،يعمل حساب لعشاء رفيع]**، معنى أن تحضيرات الملاك في قاعة الحفلات مكلفة جدا ، بدءًا بتكاليف القاعة والعروس و العشاء و هذا كله بسبب التباهي أما الضيوف، فنجد بعض العائلات يرون أنّ الملاك في القاعة خسارة كبيرة و يفضلون تأجيل هذه الخسارة ليوم الزفاف حسب قول المبحوثة رقم (**08**) " **الْخَسَارَة خَطْرَة مَاشِي مِائة خَطْرَة**" أي [**الخسارة مرة و ليس مائة مرة**].و في حين النسوة منشغلات بتحضير العشاء تذهب العروس باكرا عند الحلاّقة لتزيين نفسها على أكمل وجه من تصفيف شعر و ماكياج وطرز الحنة برفقة أختها أو أحد قريباتها، و بعد الانتهاء مباشرة تتوجه إلى القاعة الحفلات و تبدأ بارتداء لباس**'الرّدا'** أو لباس آخر الذي تستقبل به أهل زوجها و تجلس في كرسي خاص بالعروسين مزين ليكون الأكثر بروزا في القاعة.

تبدأ مراسيم لاحتفال بقدوم المدعوين من أهل العروس خاصة الفتيات من قريبات و صديقات العروس التي تمثلن أغلبية المدعوين إلى قاعة الحفلات في جو من الزغاريد و الأغاني الأندلوسية، و في هذا الحين يتم وصول أهل العريس و معهم المقتنيات و مستلزمات العروس (**أي الدّْفُوعْ**) بمعنى المهر، ليقوم أهل العروس باستقبالهم و يتم وضع هذه المقتنيات في طاولة خاصة بغرض عرضها و تصويرها، و بعد مدة يتم الإعلان عن وصول العريس مع بعض الرجال من أهله و أصدقائه حامل معه باقة ورد للعروس، و بعد

التقاط لهما صور مع المدعوين تبدأ العروس بعرض ألبستها من حين لآخر و في جو من الرقص على أنواع الموسيقى العصرية، و عندما يجهز عشاء الضيوف، تكون الأولوية للرجال أولاّ ثم النساء.

أما عادة ربط 'الحناء' للعروسين، فتقوم أم العريس بتحضير صينية من الفضّة مزخرفة خاصة 'بالحناء' تحتوي على شمعتين و قالب سكر و صحن الحنة و 'مريرشة' أي قارورة صغيرة معبأة بنوع من العطور و قفازين خاص بالحناء مصنوعة من الحرير ، فتكلّف إحدى النساء في مقتبل العمر من أهل العروس أو العريس بعملية ربط الحنة للعروسين.

و تبقى السهرة مستمرة ،إلى أن تقوم العروس لارتداء لباس سهرة خاص حتى يتسنى للعريس تلبيسها الخاتم، و يتوسطهما كأسان من الحليب و قطعة كبيرة من الحلوى، يتبادلان بينها شرب الحليب رمز للعلاقة الزوجية صافية صفاء الحليب و أكل قطعة حلوى رمز لحلاوة الحياة و هذا بعد تلبيس الخاتم، وفي آخر السهرة يقسّمان حلوى من النوع (**Pièce Montée**) إلى نصفين يدا بيد رمزا للتعاون. و يتم تقسيم و توزيع هذه الحلويات على المدعوين بما فيها الحلويات التقليدية المقدمة من طرف أهل العريس مع مشروبات الغازية و القهوة، و بعد انتهاء الاحتفالية يغادر أهل العريس و معهم نصيبهم من هذه الحلويات.

بالرغم من هذا المزيج الثقافي،إلاّ أنّ بعض الأُسر ترفض مسألة الاختلاط بين الجنسين و عدم حضور العريس يوم الملاك إلاّ أننا لاحظنا من خلال الميدان رؤية بعضهما في أيام أخرى ما يشكل نوع من صراع ثقافي بين القيم التقليدية و العصرية و بروز قيم و رموز جديدة أثبتت وجودها و هذا ما سنلمسه من خلال حفل الزفاف.

4. عقد القران:

يعتبر عقد القران المرحلة الأساسية بعد الزفاف، ففي الماضي كان في نفس الأسبوع الذي يتم فيه الزفاف، و لم يكن يرى الرجل خطيبته إلاّ يوم الدخلة، أما اليوم فتغيرت العادات و القيم و أصبح عقد القران بعد الملاك مباشرة و هناك بعض العائلات من تفضل عقد القران بعد الخطبة خوفا من **'العين'** الذي ينجر منه فسخ الخطبة. كما تغيرت أيضا وضعية عقد القران و عقد الفاتحة بمنطقة تلمسان، فكانت الأسبقية لعقد الفاتحة و يليها مباشرة عقد القران، أما اليوم و باعتبار عقد الفاتحة المنفذ الوحيد الذي يسمح لزواج الرجل بالفتاة خاصة عند رفض الأهل لهذا الزواج ، تمّ بروز ما يسمى **'الزواج بالفاتحة'** الذي يعتبر زواج عرفي بدون عقد القران، المعنى أنه تقرأ فاتحة الزواج في المسجد بحضور العريس و أحد أقارب العروس فقط، ثم يأخذ الرجل زوجته إلى البيت و ينجر من هذه العلاقة أولاد بدون تسجيل و لا اعتراف، و في كثير من الحالات و نتيجة لضغوطات نفسية و اجتماعية و اقتصادية يضطّر الزوج للهروب أو التخلي من هذه المسؤولية تاركا زوجته مع الأولاد يواجهون المجتمع.و استنادا لهذا أصبح عقد الفاتحة يتم بموجب عقد القران و ذلك حفاظا على نظام الأسرة و توازن المجتمع.

5. الزّفاف:

"يعتبر الزفاف نقطة مرور بالغة الأهمية في حياة الأشخاص من الجنسين، حيث من خلاله يكون الإعلان الكبير بقيام العلاقة الزوجية و يترتب عليه حقوق و التزامات لكل من العروسين تجاه الآخر، وبجانب هذا فهو يُحاط بكثير من الطقوس و العناصر الفولكلورية"[1].

كان حفل الزفاف في منطقة تلمسان يكتسي طابعاً خاصاً لما له من اهتمام في عاداته و تقاليده الخاضعة لقواعد اجتماعية و الثقافية، و التحضيرات لهذه المناسبة كانت "تدوم سبعة أيام متواصلة و بداية المراسيم تكون في بيت أهل العروس"[2] وبمشاركة كل العائلة سواءا كان كبيرا أو صغيرا فتقول المبحوثة رقم (02)" **العُرْس كَانْ يْفُوتْ سِيمَانَة مَنْ قْبَلْ و يَتْعَاوْنُو لَحْبَابْ عَلَى كُلْشِي و مَا كَانْش كَايَنْ الْبَرَّانِي**" أي [**كان العرس يدوم سبعة أيام من قبل الدخلة، و يتعاونون الأحباب على كل شيء دون تدخل أي أجنبي**] و ما يفسر أن العائلة وحدها كانت تتولى ترتيب حفل الزفاف بنوع من التجانس والتكامل وتعاون فيما بينها.

كان الزفاف يتمّ عادة بعد عاماً من الخطبة و قراءة الفاتحة و بالاتفاق الطرفي على الموعد، و لهذه الحفلة عادات و تقاليد تختلف باختلاف الثقافات. و خلال هذه الفترة تكون العروس منشغلة في تجهيزاتها بعد استلام المهر خاصة المبلغ المالي فتبدأ بتجهيز الفراش الذي كان يعتمد كثيرا على العمل اليدوي كالطرز و الخياطة، أما العريس فكان ملزم بتحضير غرفة العريسين مجهزة من أثاث و فراش بالإضافة إلى شراء الذهب المتفق عليه في الشروط. أما عن موعد الزواج فالأهل العريس هم الذين يقررون و يحددون اليوم ثم يتم إعلام أهل العروس.

---

[1]- محمد عبده محجوب، المرأة و القيم في المجتمعات العربية، دار المعرفة الجامعية، ب ط، الإسكندرية، 2011، ص 350

[2] - BOUDJEDRA, Rachid, Vies quotidienne contemporaine en Algérie, Librairie Hachette, Paris, 1971, P 46

عند اقتراب يوم الموعود ، تذهب بعض النسوة من أهل العريس و أهل العروس شرط أن تكون متزوجات في زي تقليدي لدعوة الأقارب و الأحباب لحضور الزفاف و تسمى هذه العادة بـ (**الْمَتْسَانْدَة**)، و يجب أن تظهر هذه النسوة إلحاحها و رغبتها في مجيء المدعوين لأن لهذه الطريقة دور كبير في تعزيز العلاقات الاجتماعية. و ليبدأ بعد ذلك تحضير الحلويات التقليدية في البيت و كانت تقتصر فقط على (**الكَعْك – المَقْرُوطْ – القْرِيوَشْ**) و بالتعاون مع نساء العائلة أو (**صْحَابْ الدَّارْ**) أما الأكل فكان أغلبية وجبات الغذاء **'الكسكس باللحم'** و في العشاء **' الفاصوليا الخضراء باللحم'**.

أما فراش العروس و أغراضها الشخصية، فكانت تأخذه بعض النسوة من قريباتها صباحا إلى بيت زوجها يومين قبل الزفاف أيضا بزي تقليدي و يشترط على إحداهن ارتداء لباش "**الشدة**"، و عند الوصول تشرع مباشرة بترتيبه و تزيينه على أكمل وجه في غرفة العريسين حيث يكون كل شيء على حداكي يعطي منظر جميل و لعرض ما أتت به العروس لأهل زوجها ، و تسمى هذه المرحلة بـ (**تَبْيِيضْ الْفَرْش**). و عند الانتهاء يسمح لأهل العريس برؤية الفراش و تصويره. و خلال هذه الفترة يكون قد تم تحضير وجبة الغذاء لأهل العروس.

أما اليوم و نظرا لتوتر العلاقات العائلية و الاجتماعية، و ارتفاع تكاليف الزواج، و تماشيا مع ظروف المعيشة لم يعد حفل الزفاف مثل الماضي يتشارك فيه جميع أفراد العائلة بل أصبح يقتصر على البعض منهم فقط إذ أن التضامن الاجتماعي أصبح أقل مع جيل الأبناء مقارنة مع جيل الآباء، و هذا ما صرّحته أغلبية المبحوثات برفضها لهذا الوضع تقول المبحوثة رقم (**01**) "**بَكْرِي الأَعْرَاسْ كَانُو نْتَاعْ الصَّحْ يَلْتَمُّو لَحْبَابْ و يَتْعَاوْنُوا و يْبَاتُو.. و دَرْوَكْ رَاهُمْ يَكْرِيوْ La salle بَاشْ مَا يَقْبَضُوشْ حْبَابْهُمْ**" أي [**في الماضي كانت أعراسنا مبنية على قيم و تقاليد، كانوا الأحباب يلتمون و يتعاونون و يُبيتون.. أما الآن يقومون بكراء قاعة الحفلات لتجنب فكرة مبيت الأحباب**] و تضيف المبحوثة رقم (**06**) "

وَلاَّوْ يَعَرْضُو النَّصْ و يْخَلِيوْ النَّصْ " أي [**أصبحوا يدعون النصف و يتركون النصف**]، وحتى الحفل لم يعد يدوم سبعة أيام بل أصبح يُجمع في يوم واحد في قاعة الحفلات تقليلا من التكاليف.

و بمجرد الإعلان عن موعد الزفاف، تبدأ العروس التلمسانية في شراء جهازها الذي أصبح يكلف الكثير نظرا للتحولات الاجتماعية و الثقافية، فتراها تخيط أبهى و أغلى الثياب حتى و إن اضطرت إلى استلاف الأموال المهم أن تظهر بأحسن ما عندها، و حسب النماذج التي تختارها بنفسها عكس ما كان في السابق فالأم هي التي كانت تختار القماش و تخيطها بنفسها، و نوعية القماش أيضا له دور في تحديد جهاز العروس،أما الفراش فتجهيزه يكون مكلفا جدا لأنه الأكثر بروزا مقارنة مع الثياب فتفضله أكثر حداثة و تنوعا، و هذا بدافع التباهي و التنافس بين العائلات.

أما عادة **'المتساندة'** فقد عرفت تناقصا كبيرا خلال العقود الأخيرة خاصة مع التطور التكنولوجي، فقد أصبح هاتف النقال يسهل هذه عملية بشكل كبير، ما أضعف العلاقات الاجتماعية. أما فيما يخص الحلويات فلم تعد من صنع (**صْحَابْ الدّارْ**) كما في السابق، فنظرا لتقلص العلاقات وبروز تقنيات جديدة أصبح صنع الحلويات العصرية من مهام مختصين في هذا المجال مقابل مبلغ مالي (**La commande des gâteaux**)، "و بعدما كانت صناعة الحلويات التقليدية في الماضي القريب حكرا على النساء، أصبحت تشهد خلال السنوات الأخيرة محلات بيع الحلويات التقليدية نظرا للإقبال المتزايد عليها من قبل السياح و العائلات التلمسانية"[1] و غالبا ما تكون باهضة الثمن لأن بعض العائلات تشترط أن تكون هذه الحلويات مشكلة و مصنوعة من (**اللوز و البندق و الجوز**) ، حسب تصريح المبحوثة رقم (**03**)" **بَكْرِي كَانْ Gâteaux يَنْعَمَلْ فِي الدّار و رَبِّي يَطْرَحْ البَرَكَة و يُغْرُمْ و دَرْوَأْ قْليل و الزَّوَاقْ**

[1]- مجلة الجوهرة، " تلمسان,, في القمة"، صدرت عن وزارة الثقافة، العدد 21 إلى 31 جانفي 2012، ص 13

بَزَافْ" أي**[في الماضي كانت الحلويات تُصنع في البيت و فيها البركة و الكمية معتبرة، أما الآن الكمية قليلة و يكثرن تزينها]** .

***لُوْشِي أو (ليلة الحناء):**

و تسمى أيضا بليلة الوداع لأنها آخر ليلة التي سوف تقضيها العروس في بيت أهلها و يكون اليوم الموالي أي يوم قبل الزفاف. في الصباح تذهب العروس إلى حمام تقليدي و تأخذ معها بعض النسوة و بنات العائلة الموجودين في البيت و يكون عددهم من (15 إلى 20 امرأة) و تسمى هذه العادة بـ **' التشليل'** و" طقس الحمام هو مكان للاغتسال و الطهارة، أما الطقس المرتبط بهذا المكان فهو ذو طابع رمزي، تدخل من خلاله الفتاة عالم النساء الناضجات، و يتمثل هذا الطقس في إزالة شعر خفيف المنتشر في وجه العروس و كذلك الشعر الذي هو في الشفة العليا، و تحت الإبطين، و على الساقين و الذراعين، و العانة.."[1] بمعنى أن رمزية هذا الطقس يتجلىّ في كون نزع الشعر هو انتقال من مرحلة المراهقة إلى مرحلة النساء المتزوجات و تكلف امرأة متزوجة للقيام بهذه العملية. و بعد الانتهاء من الحمام تتوجه العروس إلى بيت أهلها و هنا تبدأ مراسيم 'لوشي'، حيث تظهر العروس عادية جدا دون أن تزين نفسها حسب قول المبحوثة رقم (**09**) " **الَعْرُوسَة نْهَارْ لُوْشِي نْتَاعْهَا مَا تْزَيّنْ مَا تْحُطْ مَاكِيَاجْ..كَانَتْ تَلْبَسْ غِي بْلُوزَة قْدِيمَة نْتَاعْ أمْهَا و تْحُطْ عْلَى رَاسْهَا فُوطَة، و تَقْعُدْ في الشُوكَة (زاوية الغرفة) و لْبَنَاتْ رَاهُمْ يَشَطْحُو" أي [العروسة يوم 'لوشي' (ليلة الوداع) لا تتزين و لا تحط ماكياج..كانت تلبس لباس والدتها قديم ، و تغطي على رأسها بفوطة، و تجلس في زاوية الغرفة و البنات العازبات ترقصن.]**

و القصد من هذا أن الفتاة يوم (ليلة الحناء) يجب أن تكون طبيعية جدا ، كي يظهر الفرق يوم بروزها كعروس، فتجتمع العائلة و الفتيات فقط تغني و ترقص إلى وقت متأخر من الليل.إلاّ أننا التمسنا مسألة

[1]- سامية حسن الساعاتي، علم اجتماع الأسرة :رؤية معاصرة لأهم قضاياها، دار الفكر العربي، ب ط، القاهرة، 1999 ، ص217

الاختلاط في حفل 'لوشي' من خلال الميدان أن أغلب العائلات ترفض هذا بدافع أن 'لوشي' هو أساسا عادة متوارثة و تخص العروس و بنات العائلة فقط و لا دخل لجنس الذكر حسب تصريح المبحوثة رقم (02) " **مَنْ بَكْرِي لُوْشِي مَعْمُولْ غِي لَبْنَاتْ وْ مَاكَانْش لَخْلاَطْ و هَذا التْبَاهْدِيلْ**" أي **[في الماضي 'لوشي' كان مخصص للبنات العازبات فقط، و لم يكن هناك الاختلاط مع الشباب مثلما عليه اليوم]** و تضيف المبحوثة رقم (**04**) " **حَتَى لَوْشِي وَلاَّ Mixte مَا رَاحْنَا فَاهْمِينْ وَالُو!**" أي [**حتى 'لوشي ' أصبح مختلط، لم نفهم شيء**]ما يبرر رفض التام للاختلاط و يعتبرونه ضد الأعراف والتقاليد. أما في بيت العريس، هو الآخر يحتفل بآخر ليلة له و يودع العزوبية، يدعي كل الأصحاب و الأحباب للغذاء معه و في الليل يبدأ الحفل من رقص و غناء على فرقة ' **الهَالَة'** إلى منتصف الليل.

و نلاحظ تراجع كبير لوظائف هذا الطقس، فبعدما كان 'لوشي' حفلة مخصصة لتوديع العروس قبل ليلة الدخلة و بتضامن المقربين من العمات و الخالات لمواساتها معنويا ، اختفى منه هذه الدلالة و بدأ في التناقص تدريجيا، و هذا ما صرّحته بعض الفتيات المقبلات على الزواج حيث ترى أنّ 'لوشي' لم يعد ضروريا مثل السابق و تفضل إقامة 'الملاك' ثم حفل زفاف مباشرة ، بمعنى أنّ 'الملاك' أصبح يحل محل حفل 'لوشي' و هذا تقليلا من التكاليف فتقول إحدى المقبلات على الزواج (26سنة) " **عُرْسِي بَعْد رَمْضَانْ إنْشَاء الله وْ هَاذَاكْ لِي نَخَسْرُو فِي لُوْشِي نَعَمْلُو مْلاَكْ بَاشْ يْجِيبُولِي دْفُوعِي Directement أي (المهر)**" أي [**عرسي بعد رمضان انشاء الله، و الذي أسرفه في حفل 'لوشي' أوفره لأقيمه حفل 'لملاك' كي يتم فيه عرض المهر المدفوع]**، و هناك بعض العائلات من تفضل إقامة حفل 'لوشي' لابنتها بدون 'ملاك' و لكن ليس قبل حفل الزفاف بيوم كما جرت العادة و إنما بأسبوع أو أكثر، و المهر يُدفع مباشرة في خطبة **'الكمال'**، و لكن هذا لا ينفي إقامة الحفلات الثلاثة مع بعض عند بعض العائلات و هذا يتوقف عند الإمكانية المادية و الطبقة الاجتماعية.

و في صبيحة يوم الزفاف، تتكاثف جميع العائلة من كلا الطرفين ما يشكل تضامنا اجتماعيا حيث كل فرد يقوم بدور معين، أما العروس ففي حدود الساعة العاشرة صباحاً تقوم النسوة بتحضيرها بتلبيسها ' **القرفطان**' و '**بلوزة قديمة**' فقط بدل '**بلوزة المنسوج**' أي اللباس الرسمي ' **للشدة**' ، و تتأهب لوضع نقوش الحناء أو كما تسمى بـ' **القْوِيلْبَاتْ**' في يدها ، و ما إن يحن موعد زفها إلى بيت زوجها ترتدي لباس التقليدي ' **الشدة التلمسانية** '. أما تحضيرات العريس فيصطحبونه أصحابه إلى 'حمام تقليدي' صباحا وبعد ذلك يأتي الحلاق إلى البيت للاعتناء بهندامه و يهيئونه لحفلة الزفاف.

و في حدود الساعة الرابعة مساءا يأتي موكب من السيارات (**Cortège**) حيث تكون سيارة العروس الأكثر تميزا مزينة بالورود ، فتخرج العروس مع أختها و خالتها أو إحدى القريبات مرتدية ' **الحايك**' رمز السترة يغطيها من الرأس إلى القدمين و لا يُكشف عن وجهها، و عند الوصول إلى بيت العريس تستقبلها أم العريس بالتمر و الحليب رمز للسعادة الزوجية و أقاربه بالزغاريد و تتوجه مباشرة إلى غرفتها و لا يراها أحد فتجلس على كرسي ثم تأتي بعض النسوة من أهل العريس بـ '**صِينِيَة الَعْكَرْ**' متكونة من حذاء ذهبي و علبة مساحيق التجميل و قارورة عطر و مرآة و مغطى بوشاح خفيف يسمى بـ' **العبروق**' يُغطى به وجه العروس إلى حين وصول زوجها ، و يتمّ تلبيسها حذاء الذي اشتراه لها زوجها، ثمّ توضع لها دائرتان على خديها بأحمر الشفاه رمز العذرية وتنقط بخمسة نقاط بكريم أبيض لحمايتها من العين، في جو بهيج من الطبل و أهازيج (**الفقيرات**) هم نساء يقومون بإحياء الحفل بالطبل حتى طلوع الفجر، و خلال هذه الفترة يجتمع العريس مع المدعوين في المقهى، إلى أن يمتطي الحصان و مرتديا الرداء الأبيض التقليدي '**البَرْنُوسْ**' ثم يقوده أصحابه و أحبابه إلى بيته مرفوقا بـ '**الطبل**' عبر الشوارع الرئيسية للمدينة و حين وصوله يهيئ له كرسيا بجوار الحصان حتى تتمكن والدته من الصعود و تسلم عليه ثم تضع له نوع من حلي ذهبية سلسلة '**المَسْكِيَة**' تحميه من العين، و بعد ذلك يجب أن يمر تحت قدميها عند

مدخل الباب رمز للطاعة و تكسر فوقه بيضة رمز للإنجاب، ثمّ يدخل مباشرة إلى غرفته أين تكون العروس بانتظاره، فيقوم بنزع الوشاح أو **'العبروق'** من وجهها و يمسح به **'لَعْكَرْ'** بمعنى زوال الحياء بينه و بينها.

و قد انقلبت الأمور بعض الشيء فيما يخص الممارسات حفل الزفاف في الأسرة التلمسانية بين الماضي و الحاضر نظرا لما يمر به المجتمع من تحولات ثقافية و اقتصادية و اجتماعية أدّى إلى تمازج ثقافي بين ما هو تقليدي و ما هو عصري، حتى و إن حافظ على وظائفه من حيث الشكل، فمن حيث المضمون ينخرط في سيرورة مختلفة و متعددة.

فتحضيرات عروس اليوم تختلف عن تحضيرات عروس الأمس، " فإن كانت مراسيم الزواج اليوم تبدو أقل أهمية مما كانت عليه قديما، فيعتبر البعض أن المراسيم التقليدية كانت أكثر غنى بالطقوس المختلفة و الممارسات العديدة"[1]، و هذا ما لمسناه من خلال الميدان رفض بعض العائلات لهذه التغيرات الحاصلة في طقوس الزواج التلمساني حيث تقول المبحوثة رقم (**10**) " **مَا بْقَى وَالُو العَادَاتْ التِلِمْسَانِيَة انْقَلْبَتْ رَاهَا خَالُوطَة، بالنِسْبَة لِيَ La Salle تَبْذِيرْ كْبِيرْ و حْنَا بَكْرِي غِي Caméra كَانَتْ مَمْنُوعَة و الْيُومْ كُولْشِي رَاهْ مَفْضُوحْ، و لَعْرُوسَة وَلاّوْ يْشُوفُوهَا النَّاسْ قْبَلْ رَاجَلْهَا**" أي **[لم يبق شيء، العادات التلمسانية انقلبت، بالنسبة لي قاعة الحفلات تبذير، و في الماضي حتى كاميرا تصوير كانت ممنوعة، و اليوم كل شيء مفضوح، و العروسة أصبح يراها الناس قبل مجيء زوجها.]** بمعنى أن العروس أصبحت تخرج من بيت أهلها في موكب سيارات من آخر طراز ، و هذا بهدف إبراز قيمتها ومكانتها فكلما كانت عدد السيارات كبير و تواكب العصر زادت تباهيا بين الناس و العكس صحيح.

فبعدما كانت تدخل العروس مباشرة إلى بيت زوجها و تتحجب في غرفة و لا يراها أحد، أصبحت اليوم تظهر أمام المدعوين مكشوفة الوجه " و تزف إلى قاعة الحفلات كأول عتبة تمر عليها بدلا

[1]- فريال عباس، "مراسيم الزواج بمدينة قسنطينة، مقاربة انثروبولوجية"، في إنسانيات عدد مزدوج، 29-30 جويلية ديسمبر 2005، ص 60

من عتبة بيت زوجها"[1]، أما عن " **لَعْكَرْ**" فبعدما كان يتم وضعها للعروس في غرفتها الخاصة قبل مجيء زوجها، أصبحت تقام هذه العادة أمام الملء و بحضور كاميرات التصوير و الهواتف النقالة، ثم تقوم اثنان من قريباتها بعرض العروس أمام المدعوين ، و من الطقوس الاحتفالية الجديدة هو بروز "**فرقة قَرْقَابُو**" وهم مجموعة من الشباب يرتدون نفس الثياب و يعزفون على الطبل و الدربوكة و المزمار يقومون بزف العروس خلال خروجها من بيت أهلها ثم يرافقونها عند أخذها بموكب السيارات إلى غاية وصولها لقاعة الحفلات، و وظيفة هؤلاء لا تتوقف عند العزف فقط بل تتعداها لِيُحِلُو محل العريس، فيقومون بالكشف عن وجهها بعد وضع **'لَعْكَرْ'** ثم يُجلسونها في "**الطِيفُورْ**" و هو عبارة عن كرسي مصنوع من النحاس ومنقوش عليه زخارف مختلفة ومغلف بقماش مزخرف بخيوط ذهبية و هي العادة تعود إلى أصول مغربية بحكم قرب المسافة بين تلمسان و المغرب ، تجلس عليه العروس و يتم رفعها و التجوال بها بالقاعة مرددين مدائح شعبية و دينية، ما جعل أغلب المبحوثات غير راضيات بهذه العادات الجديدة إذ تقول المبحوثة رقم (**09**) " **رَاهُمْ صْحَابْ قَرْقَابُو هُمْ لِي يَتْكَلْفُو بالمُهِمَة بَدَلَ العَرِيسْ**" أي [**أصبحوا فرقة 'قرقابو' يتكفلون بالمهمة بدل العريس**]، ما يفسر أن الممارسات الجديدة طغت على الممارسات القديمة و بالشكل الملحوظ، حتى عملت على تغيير الأدوار و الوظائف.

أما العريس فلم يعد يمتطي الحصان ليصل إلى مكان الحفل مثل السابق بل تناقصت هذه العادة بعد الشيء خاصة عند العائلات الغنية، فأصبح أيضا يأتي في سيارة فخمة و مميزة و برفقة سيارتين أو ثلاثة من الأصدقاء و الأحباب. و عند وصوله يكون بانتظاره "**فرقة القرقابو**" ليتمّ استكمال العرض، فبعد تقبيل العروس في جبهتها يجلسونه أيضا في **'الطيفور'** في جو من المرح و الرقص إلى أن يدخلا إلى غرفتهما الخاصة و تكون هذه الغرفة بقاعة الحفلات. و تتواصل السهرة مع أواع الموسيقى العصرية والشرقية

[1]- ناصر قاسمي، المرجع السابق، ص 44

و الجزائرية. خلال هذه الفترة تبدأ العروس بعملية' **التَّبْـرَازْ**' بمعنى بروزها في أحلى و أغلى ثيابها التي تمت خياطتها خلال فترة خطوبتها، و ذلك لإظهار نوعية هذه الثياب من حيث العدد و نوع القماش و طريقة الخياطة "لأنها ترى أنّ المدعوين يتصيدون أبسط الأخطاء في العرس ليكون ذلك شغلهم الشاغل "[1]، وتستمر الحفلة أو ما تسمى ' **بالحفلة الليلة** – **La Soirée**' إلى غاية الواحدة صباحا. و هذا يلعب دور كبير في التفاخر و التباهي بين العائلتين و الأقارب و الأحباب.فتقول المبحوثة رقم (**03**) " **هَـذِه السَّهْرَاتْ مَاشِي دِيَالْنَا وْ مَا دَاخْلاَشْ فِي تَقَالِيدْنَا..وَلَّاوْ غِيرْ يْقَلْدُوا فِي لَقْوَرْ (الأجانب)**" أي[**هذه السهرات ليست من عاداتنا و ليس لها دخل في تقاليدنا..أصبحوا يقلدون الغرب فقط.**]

***الدّخلة:**

إنّ موضوع عذرية العروس كان و لا يزال له أهمية كبيرة في الأسر العربية لأنه متعلق بالدرجة الأولى بشرفها و مستقبلها " فأي علاقة جنسية خارج دائرة الزواج تعتبر علاقة محرمة و عارا خاصة بالنسبة للفتاة، و إذا حدث و انتهك شخص ما عرض فتاة وجب عليه الزواج بها و إلاّ يعرض للعقاب الذي يختلف باختلاف ثقافة الشعوب"[2]، و هذا يعني أن الفتاة يوم زفافها هو يوم الإعلان عن عذريتها، فيكون التركيز أكثر لهذه المسألة، فإذا صانت شرفها و حفظت غشاء بكرتها يثبت هذا عفتها و يبرز مكانتها بين أهلها و أهل زوجها، و لهذا غالبا ما يكون الأهل قلقون و خاصة الأم مجرد دخول العريس إلى غرفة، و لا يهدأ لهم بال إلا إذا رأوا شرف ابنتهم على المنديل أو ما يسمى بـ " **القْمَجَة**".

أما عن عملية فض غشاء البكرة فلا طالما كان شأنا جماعيا " إذ تبقى بعض النساء خاصة العجائز منهم تترقب الأمر عند غرفة العروسين و يبقى الرجال ينتظرون في الخارج أي إشارة لنتائج الدخلة، و يقيس هؤلاء رجولة العريس و شجاعته إذا خرج بسرعة من عند زوجته حاملا معه بعضا من دليل

---

[1]- **جريدة الخبر،"زواج المظاهر يفرغ الجيوب"، العدد 543 من 22 إلى 28 جويلية 2009، ص 11**
[2]- **هوارية شعبان ، المرجعية الثقافية و الطقوس الاحتفالية للزواج بمنطقة تلمسان، المرجع السابق، ص 110**

عذريتها في منديل و يتم إعلام الجميع حيث يطلق الرجال البارود و تطلق النساء الزغاريد.."[1]. و العريس بعد الدخلة يبقى مع عروسته بالغرفة و لا يظهر إلاّ بعد يومين. و هذا ما كان سائدا في الأسرة التلمسانية، و رغم أن هذه العادة تتميز بنوع من الإحراج فهي تعطي انطباعا برجولة العريس و بمدى عفة و طهارة زوجته أمام الجميع.

إلاّ أن هذا الطقس بدأ في الاندثار و بدأت تنحصر بشكل ضيق بين العريس و العروس و أحيانا والدة العريس و والدة العروسة فقط، و هذا راجع لعدة أسباب منها انتشار التديّن و توسع نظام التعليم، أكسب كلا الجنسين ثقافة جديدة ،و أعطى توجها آخر لقيمة الشرف و يرون أن الإعلان عن شرف الفتاة أمام الملأ يوم زفافها فضيحة و جهل.كما أن العريس لم يعد يختفي مثل السابق بعد الدخلة، بل يستقبل ضيوفه و يرقص و يفرح معهم و يتنقل هنا و هناك، و بعد انتهاء الحفل مباشرة يأخذ عروسته إلى فندق محجوز مسبقا يقضيان تلك الليلة أو إلى سكنهما الخاص، أما عن الدليل المادي لعذرية العروس فإن الأسرة لم تعد مثل السابق، إذ أصبحت تحترم خصوصية الأزواج، حتى و إن تحرت عن الأمر فيكون ذلك بطريقة مهذبة. ما يفسر " استمرارية العرس على الرغم من اختفاء أهم طقوس المصاحبة له و هي طقوس ليلة الدخلة"[2]، فالعادات و القيم القديمة انحسرت و أُدخلت عادات جديدة.

***يوم (السّابع):**

و هو اليوم الذي يلي يوم الزفاف مباشرة، حيث جرت العادات أن تذهب أحباب العروس لزيارتها و الاطمئنان عليها في الصباح و تقوم بتلبيسها الفستان الأبيض (**La Robe Blanche**) و تبقى في الغرفة و لا تظهر، في حين أن العريس في الخارج مع أهله و أصدقائه و مع جماعة من الموسيقيين (**الطبَّالِين**) ويشرعون في مراسيم "**النُّوبَة**" التي هي مخصصة للرجال فقط، حيث يجلس العريس فوق كرسي

[1]- ناصر قاسمي، المرجع السابق، ص 47
[2]- فريال عباس، المرجع السابق، ص 58

موضوع وسط الموسيقيين الذين يؤدون على شرفه قطعا موسيقية ، و كل الشباب المدعوين يجلسون بدورهم لدقائق قليلة في كرسي العريس، وتمسح وجوههم بالوشاح الذي استعمل لمسح وجه العريس ليلة زفافه لجلب الحظ لهم أيضا. عندما تنتهي القطعة الموسيقية، يقوم الفرد منهم ويلقي مبلغ من المال أمام الموسيقيين كل حسب قدرته المالية.

في حين تقوم النسوة بتحضير وجبة الغذاء المتمثلة في (**مَرْقَة بالعْسَلْ**)، فيقدم للرجال أولاّ و بعد انتهاء الوجبة أي بعد الظهر، تبدأ مراسيم (**التَّقْيِيلْ**) و فيها يتم تلبيس العروس القرفطان و هذه المرة مزودة بملحقاته و هو ' **الَحْزَامْ**' و '**الفُوطَة**' و' **مَنْدِيلْ لَفْتُولْ**' رمز لمركزها الجديد كامرأة متزوجة و غالبا من كان يقوم بعملية ' **الَحْزَامْ**' ولد صغير يكون عمره من (10 إلى 15 سنة) و هو رمز إنجاب المولود الأوّل (الذّكر) .

***الحمّام:**

و بعد ذلك تتفق النسوة على يوم '**الحَمَّامْ**' و يكون اليوم الثامن (08) أو يوم (15) و غالبا ما كان اليوم الخامس عشر بعد الزفاف و لهذا سمي بـ'**لخَمْسَتَاشْ**' و فيه يتم أخذ العروس مع أهلها و أهل زوجها، و فور الانتهاء يتم تلبيسها بما يسمى (**الشَّدَة عْلَى الجَصْ**).

إذ أن هذه العادات بدأت تتلاشى شيئا فشيئا نظرا لاختزال أيام حفل الزفاف الذي أصبح يقام في ليلة فقط، ما أثر على التقاليد و القيم، و نظرا لضيق الوقت أصبحت العروس تقوم بعملية '**الَحْزَامْ**' قرابة انتهاء الحفل و تقوم بدورها بتقديم مبلغ مالي لمن يقيم بهذه العملية و ليس شرط على لباس (**القرفطان**) كما كان سائد بالماضي، بل على (**بلوزة**) و أمام الملأ، و تختم الحفلة بـ (**الفستان الأبيض**).

أما عن عادة '**الحَمَّامْ**' فلم تعد ضرورية مثل السابق نظراً لتوفر (**المرشات –Les Douches**)، عملت على تناقص العادة إذ أصبحت العروس تأخذ أخواتها مع أخوات زوجها فقط، و حتى ارتداء اللباس

التقليدي الخاص بهذه العادة لم يعد مثل الماضي إذ أصبحت العروس تفضل ارتداء لباس تقليدي خفيف مع بعض المجوهرات. ما يفسر أن هذه العادات تناقصت بشكل ملحوظ خلال السنوات الأخيرة و هذا ما لاحظناه من خلال الميدان.

6. تحوّلات في العادات المتبعة لحفل الزفاف بين الماضي و الحاضر:

أ. ***الوجبة المقدمة خلال الحفل:***

كان الحفل في الماضي يسير كخلية النحل، بحيث يقدم الجميع المساعدة دون استثناء، فبعد دخول العريس، تتكاثف العائلة و تبدأ بمهمة تقديم وجبة العشاء وفق ترتيب اجتماعي، و تكون الأولوية للرجال أولاً ثم النساء ثم الأطفال، و هذه الوجبة كانت تتكون من (**الحريرة – سلطة – فلفل–برقوق باللحم– فاكهة الموسم**)، و كان يتم تقديمها في طاولات صغيرة في الأرض أو ما تسمى بـ **' الْمِيدَة'** وكان الالتقاء حول النوعية هذه الطاولات ليس فقط من أجل الأكل و الشرب و إنما لجمع الأشخاص لم تلتق منذ زمن و لتوثيق العلاقات الاجتماعية.

أما اليوم فإن العصرنة أثرت بشكل كبير على طريقة تقديم الأكل و هي أيضا فرصة للتفاخر والتنافس للبروز أحسن من الآخر، و هذا ما لاحظناه من خلال تنوع و تعدد في وجبة العشاء حتى وصل لحد الإسراف و التبذير، فبعض العائلات التلمسانية تفضل أن تكون مميزة في هذه المناسبات من أجل إبراز مكانتها الاجتماعية. و بما أن المجتمع التلمساني يحتوى على شرائح و طبقات اجتماعية لا نستطيع التعميم على كل الأسر، فمنهم من لا يستطيع أن يتماشى مع التطورات العصرية و هذا راجع للظروف الاقتصادية، و منهم من لا يزال يحافظ على نفس أصناف الوجبة القديمة و لكن بإدخال بعض التعديلات و الأغلبية منهم من تفضل مواكبة العصر و كل ما هو الجديد .

تحتوي وجبة العشاء اليوم من (**مقبلات 'Les entrées' أو بَسْطِيلَة – سَلَطَة منوعّة–فِلْفِلْ– حْرِيرَة– بَرْقُوقْ باللَّحْم مزين باللُّوزْ 'كطبق رئيسي'– مشروبات غازية– و ثلاث أنواع من فاكهة الموسم**) و هناك من يعوض (**بَرْقُوقْ باللَّحْم**) بـ (**الدجاج مشوي بالزيتون الأخضر**) و لكن بانعدام (**المقبلات و البَسْطِيلَة**) ، و بعض العائلات من تقوم بتقديم (**لحم مشوي**) كطبق رئيسي و يبقى هذا حسب القدرة المادية لكل شريحة.

أمّا عن طاولات التقديم العشاء، فظهور قاعات الحفلات انجر منها معايير جديدة، وبعض العائلات يركّزون أكثر على قاعة العشاء و كيفية ترتيب الطاولات و الكراسي من حيث العدد وطريقة تزيينهم. و هناك من يشترط أن تقدم وجبة العشاء أمام المسبح (**La piscine**) لكون بعض القاعات تتوفر على مسبح كقاعة (**بريكسي أو بوعلي**) و هذا كلّه من أجل التباهي و التفاخر.

ب. نوعية الموسيقى:

بعدما كانت موسيقى أعراس في تلمسان بالماضي تقتصر على الأغاني الأندلوسية و الحوزي في جو من الهدوء و الاستماع حتى نهاية الاحتفال و أحيانا بالطبل و الدربوكة، حتى و إن كانت تتخللها رقصات فتكون من دون اختلاط. أصبحت الموسيقى العصرية المختلطة أو ما يسمى بـ (**DJ**) هو الأكثر طلبا اليوم نتيجة الانفتاح و غزو الآلات التكنولوجية،" الذي أصبح هوس الكثيرين في الأعراس، خاصة وأن الحفلات أصبحت عبارة عن كوكتيل من طبوع الغناء الجزائري و حتى العربي و الأجنبي ..و دونه يعتبر الحفل غير مكتمل أو دون طعم"[1] ، و حتى المدعوين أصبحوا يحضرون في ساعة متأخرة لأن الإعلان عن بداية الاحتفالية تبدأ مع (**DJ**). و نوعية هذه الموسيقى عملت على غياب الغناء القديم، كذلك عدم مراعاة الجانب الأخلاقي من خلال بعض السلوكات مثل الاختلاط بين الجنسين و هذا ما يرفضه الكثير

[1]- جريدة الخبر، المرجع السابق، ص 11

من جيل الآباء حيث تصرح المبحوثة رقم (09) " **أعْرَاسْنَا بَكْرِي خِيرْ.. كنَّا غِيرْ بالأَنْدَلُسْ...وْ كَانْ لَحْيَاء بَصَّحْ كِي عَمْلُو هَذَا 'DJ' فَسْدُو الْحَالَة و كْثَرْ لُخْلاَطْ**" أي**[أعراسنا في الماضي أحسن من أعراس اليوم.. كانت الأغاني أندلوسية فقط..و كان الحياء، و لكن عندما أدخلوا ما يسمى بـ'DJ' أفسدوا الحفل و كثر الاختلاط.]** و تضيف المبحوثة رقم (03) " **زَادُونا هَذَا 'DJ' و لُوكَانْ غِي نَفَهمُو حَاجَة غِي الفَوْضَى كْثَرْ مَنْ الصَّحْ" أي [أضافوا تقنية 'DJ' و حبذا لو نفهم شيء، الفوضى أكثر من الصّح.]** فيظهر من خلال تصريحاتهم عدم اندماجهم الكلي للموسيقى العصرية وشعورهن بنوع من التهميش و معارضتهم لمثل هذه الأنماط الثقافية المختلطة.

جـ. الأيام المخصّصة للاحتفال بالزواج:

في الماضي كان العرس التلمساني يدوم سبعة أيام متتالية، و كان يُقام في البيت أو السطوح، وبالرغم من ضيق المكان إلاّ أنّ العائلة كانت تجتمع و تتكاثف مع بعضها البعض من أجل المساهمة في هذه الوليمة، فكانت الاحتفالية تبدأ من يوم السبت إلى يوم الجمعة، بمعنى أن يوم الدخلة كانت ضرورية يوم الخميس و ليس يوم آخر ثم يليه **'السَّابَعْ'** بيوم الجمعة و لهذا سمي بهذا الاسم لكون الاحتفالية سبعة أيام. أما اليوم أصبح كراء قاعات الحفلات موضة العصر في المجتمع التلمساني، بالرغم من وجود بعض العائلات مرتاحة ماديا و تستطيع قيام حفل الزفاف في بيتها بدل قاعة الحفلات لكونها تتوفر على بيوت واسعة أو فيلات، إلاّ أنها تُصر على قاعة الحفلات رغم غلائها، أما عن الأيام المخصصة لحفل الزفاف فلم يعد مثل السابق لأن هذه القاعات عملت على اختزال سبعة الأيام الماضية في يوم واحد و بالتالي تحديد يوم الزفاف يكون مُخيّر من طرف صاحب القاعة عكس ما كان سابقا و حسب جدول زمني خاص لكل مقبل على الزواج، و من بين أسباب كراء هذه القاعات اقتصاد الجهد أو الرغبة في التفاخر أو بغية ترك البيوت نظيفة أو لتجنب أي سرقة أو كسر خاصة من طرف الأطفال. و ما يمكننا قوله هو أن هذه

القاعات كمنتوج ثقافي و إن لها جوانب إيجابية من حيث تجهيزها فسلبياتها تكمن في غياب روح المبادرة الجماعية التي كانت في السابق، و أصبحت تؤثر حتى في العلاقات الاجتماعية، من خلال التقسيم اللاّواعي لمجموعات صغيرة من خلال الانتماءات الاجتماعية و الطبقية، كذلك اللّقاءات أصبحت قصيرة و سريعة و تفترق مجرد انتهاء الحفل بعدما كانت تدوم هذه السهرات أيام و ليالي حتى يقترب الصباح. ما لم يعجب الجيل السابق خاصة شريحة النساء الكبيرات في السن.

د. لباس العروسين:

1. لباس العروس (الشدة التلمسانية):

هو لباس العروس التلمسانية ، حيث تنتقل به من حياة العزوبية إلى الحياة الزوجية، ويبقى الوحيد الذي يزين أعراس ومناسبات المجتمع التلمساني المعروف بالمحافظة على أصالته وعاداته وتقاليده العريقة، ، فقد حافظ هذا اللباس التقليدي التلمساني الشهير على تواجده، منذ عصور طويلة.

مكوّناته و وظيفة رموزه:

'الشدة التلمسانية' أو 'الأَرْفطَانْ (باللهجة التلمسانية)– القرفطان': يعتبر لباس ملكي، و هو زيّ تقليدي مشهور في مدينة تلمسان و يُعد حلة العروس التراثية يوم زفافها. و سمي بـ(**الشّدة**) لكون الخيوط والمجوهرات مشدودة ومتماسكة مع بعضها مع بعض. والواقع أن لباس الشدة يتألف من 12 قطعة متناسقة فيما بينها ومحكمة أبرزها (**الشَّاشِيَة و القَرْفطَانْ والبْلُوزَة و الفُوطَة**) و استطاع أن يجمع عدة حضارات متعاقبة و الحفاظ عليها عبر الأجيال.

يعود تاريخ هذا اللباس العريق إلى القرن **الحادي عشر** (**11**) ، و تتألف الشدة التلمسانية حسب تصريح بعض السيدات التي تعملن في هذا المجال و أحد الصّناع (71سنة) من :

- **'القَرْفطَانْ'**: (**من الحضارة العثمانية**) و هو لباس ملكي في عهد العثمانيين، و كان يلبسه الملوك وحاشيته فقط، و بعد ذلك سُمح لبسه لعامة الناس حسب قول أحد الملوك " دعوه للعامة".و هو فستان حريري قصير واسع الأكمام مصنوع من قماش (**القَطِيفَة**) مطرز بخيوط ذهبية تسمى بـ (**الفَتْلَة**). و يقال عليه " **خَمْسَة وَ خَمْوُسْ** " لأنه مليء بطرز شكل "**الخَامْسَة** " التي يقال أنه يحمي العروس من عين الحاسود، و كان يتوفر على اللون (**الأحمر القاتم Grenen**) فقط.

- **'البْلُوزَة المَنْسُوجْ'**: (**من الحضارة العربية**) و ظهرت قبل سيدنا عيسى عليه السلام أي قبل 2000 سنة و كانت تلبس من طرف الرجال فقط ، و سمي **'بالمنسوج'** نسبة إلى كلمة النسج أو النسيج أي مصنوع من **6.500 خيط** ذهبي منسوج لتكوّن (**البلوزة**)، و بعد ظهور الإسلام أصبح محرم على الرجال لاحتوائه على الحرير و الذهب و لهذا شاع لبسه من طرف النساء فقط. و قيل له ثلاث وظائف:

1. تزيد المرأة جمالاً.
2. تحفظها من العين (لأنه مصنوع من الذهب و هو مرآة يعكس السحر على فاعليه).
3. تحميها من السحر (لأنه مصنوع من الحرير المالح و الملح هو عدو السحر).

- **'الفُوطَة'**: (**من الحضارة الآمازيغية**) عبارة عن قماش يوضع فوق 'القرفطان' يربط من خصر العروس إلى القدمين، و هو مصنوع من قماش (**المنسوج**) و تستعمله العروس لستر حذاؤها حتى لا تظهر خطواتها.

- **'الشَّاشِيَة'**: (**من الحضارة الأندلوسية**) و كانت تطرز بخيوط من (الفضة و الذهب الخالص) و مع مرور الزمن و ارتفاع أسعار الذهب و الفضة، أصبحت تصنع من خيوط (**الكْرَادْبَلْ وَ الفَتْلَة**). ويقال على وظيفة ' الشاشية' " **حَتَّى لَعْرُوسَة تَرْصَى فِي دَارْ رَاجَلْهَا**" أي تدوم عشرتها في بيت زوجها.

- **'الْمَنْدِيلْ'**: كذلك مصنوع من قماش (المنسوج) و يوضع على رأس العروس و له معنيين " **الأول يمثل الشعر الطويل و الثاني كي لا تسمع قول الناس**".

- **'التَّحْوِيقَة'**: مصنوع من قماش شفاف من الدانتيل و مرصّع بحبات العقيق المذهب،و تصنع (**الأَكْمَامْ**) من نفس هذا القماش. و يقال " **بَاشْ لَعْرُوسَة مَا تْشُوفْشْ مَنَّا و مَنَّا**" أي حتى لا تتلفت يمينا و شمالاّ.

- **'الَحْزَامْ'** : مصنوع أيضا من (المنسوج الحر) يوضع على خصر العروس و يقال "**بَاشْ كِي تَحْمَلْ لَعْرُوسَة بِمَوْلُودُهَا الأَوَّلْ مَا يْطِيحْش**" أي رمز الإنجاب. كما يحتوي 'الحزام' على ما يسمى بـ (**الَقْطَامَرْ**) و عددهم أربع (04) تُلصق إثنان منهم على جانبي ' الحزام' و وظيفتها " **تقوم بتنظيف أي شيء سيّء أمامها**" .

- **'الحايَكْ'**: و هو ستر العروس عند خروجها من بيت أهلها و هو أبيض اللون و غالبا ما يحتوي على خيوط ذهبية رفيعة، و وظيفة (الحايك) يكمن في "**حمايتها من أعين الناس حين خروجها**".

أما عن الحلي الذي يوضع على (الشدة التلمسانية) فتتمثل في: تاج يوضع على جبين العروس ويسمى بـ(**الْجَبِينْ**) و أيضاً (**الزَّرُوفْ**) و يكون عددهم من سبعة إلى تسعة توضع بالترتيب فوق (**الْجَبِينْ**)، كما تتزين الأذن بأقراط كبيرة مخرزة تسمى بـ (**الخُرْصَة**)، أما المجوهرات فكان (**الجُوهَرْ**) يرصّع فوق (**القَرْفطَانْ**) و يغطي منطقة الصدر ثم يرتب فوقه نوع من الحلي الذهبية يسمى (**اللُّوِيزْ**) أو(**الكْرَافَاشْ بُولَحْيَة**) فقط و كانت ضرورية و مطلوبة أكثر في (الشدة التلمسانية). علما أن في الماضي كانت التلمسانيات تحرصن على أن يكون كل شيء سواء اللباس أو باقي الأكسسوارات، والجوهر، وقطع الحلي الذهبية، (**حرًّا**) وأصليا، غير مقلد. لأجل ذلك، فإن كثيرا من العائلات التلمسانية، تتوارث على وجه الخصوص المجوهرات التي تتناقلها جيلا بعد جيل بين بنات العائلة.

ويقال كذلك، إن مصدر التسمية (**الشّدة**) يعود إلى الشدة، أي اختبار شدة العروس وقدرتها على تحمل ذلك اللباس الجميل، وأيضا ثقله لفترة طويلة، منذ خروجها من بيت أهلها إلى منزل زوجها، ويستغرق لبسه للعروس حوالي الساعتين إلى ثلاث ساعات تقريبا، وتقوم نساء متخصصات بذلك أو بعض قريبات العروس، اللواتي يعرفن الطريقة الصحيحة في تلبيس الشدة التلمسانية، وتبقى العروس التلمسانية ترتديه لمدة 6 أشهر على الأقل بعد زاوجها، في مختلف المناسبات والأعراس التقليدية العائلية.

وصنفت الشدة لباساً إنسانياً عالمياً من جانب منظمة اليونسكو عام 2012، لقيمته التاريخية والجمالية والحضارية، ولأنه لباس ملكي كان يرتديه قديماً الملوك الزيانيون في المدينة العريقة. ومن مزايا هذا اللباس أنه يجمع بين حضارات عدة تعاقبت على مدينة تلمسان وشكلت في نهايتها **'الشدة التلمسانية'**.

بالرغم من أن هذا الزي العريق حافظ على أصالته و موروثه عبر الزمن إلاّ أنه لم يستثني من التغيرات و التحولات العصرية. و كنتيجة للعولمة و تأثير وسائل الإعلام و القنوات الفضائية سمح بالاحتكاك بعالم الموضة ما خلف مزيج و تنوع ثقافي ، فبعدما كان (القرفطان) باللون (الأحمر القاتم) أصبح متعدد الألوان، كذلك لاحظنا التغير حتى في نوعية قماشه فبعدما كانت (**القطيفة**) أصبح بـ (**Sari**) أي القماش الهندي الأصلي و كذا أنواع أخرى من الأقمشة. تقول المبحوثة رقم (**03**) " **الشَّدَة تْبَدْلَتْ بَزَّافْ و Le charme مْشَالْهَا** " أي [**'الشدة' انقلبت كثيرا في مضمونها و جوهرها**.].

أما فيما يخص المجوهرات و الحلي، فلم تعد الأصلية مطلوبة مثل الماضي إلاّ عند بعض العائلات الذين حافظوا عليها، إذ التمسنا التغيير في شكلها و نوعيتها خاصة مع التبادل التجاري بين بعض المدن كالترك و الجزائر عمل على بروز ما يسمى بالمجوهرات (**تركية**) من نوع (**Bronze**) حلت محل المجوهرات

الأصلية بل أصبحت الأكثر طلبًا في الأسواق. إضافة إلى أن بعض الحرفيين وأصحاب محلات الألبسة التقليدية يعرضونها للكراء بأسعار أقل نسبيا عن سعرها، ما سهّل عملية الاختيار.

كما برزت عادة جديدة و هي ظهور نساء (**تَشُدْ**) أي تقوم بتلبيس (الشدة) للعروس مقابل مبلغ مالي يصل إلى حتى 12.000 دج و هذه العادة لم تعجب أغلب المبحوثات فتقول المبحوثة رقم (**01**) " **بَكْرِي كَانُو يْشَدُّو بالآجَرْ و الْيُومْ رَاهُمْ يْشَدُّو بالدْرَاهَمْ c'est grave**!"أي**[في الماضي كان تلبيس 'الشدة' مجاني ، و اليوم مقابل أجر، هذا خطير!]**.و تقول المبحوثة رقم (**07**) " **الذَّهَبْ بَكْرِي كَانْ يَتْسَلّفْ مَا كَانْش يَنْكْرَى" أي [في الماضي الذهب كانوا يقومون بتسليفه و ليس كراءه.]** . ما يفسر أن (الشدة التلمسانية) و إن حافظت على شكلها من رياح التغيير، فإن مضمونها لم يعد مثل الماضي له أحكام في طريقة تلبيس العروس، فقد أدخلت إليها تعديلات عملت على الإنقاص من قيمتها الأصلية و هذا ما تعتبره أغلب المبحوثات تشويهاً للأصالة.

بالرغم من أنّ التمسك بهذه الرموز و دلالاتها طالما اعتبرت بمثابة التمسك بالهوية و الأصالة والانتماء، إلاّ أنّ التحولات العصرية سمحت بانتقال هذه الرّموز إلى مستوى آخر يختلف عمّا سبق.

2. **لباس العريس:**

في الماضي كان العريس يرتدي طقم رجالي (**Costume**) و هو زي غربي متكون من عدة قطع (بنطلون و سترة و قميص أبيض) و يوضع فوق القميص(**La cravate**) أو (**Papillon**) و كان يشترط أن يكون الطقم باللون الأسود فقط ، و يضع فوقه (البرنوس الأبيض) حين يمتطي الحصان فقط.

أما اليوم و نتيجة التغيرات ، أصبح العريس يرتدي هذا الطقم بعدة ألوان (اللون البني القاتم والفضي) و شاع اللون الأبيض مؤخرا. كما برزت عادة جديدة و مطلوبة أيضا هو جلوس العريس في

(الطيفور) مع عروسته مرتديا زيّ يسمى بـ (**جَابَادُورْ**) و هو زي مغربي عبارة عن سروال عريض و قميص طويل.

الخلاصة:

في هذا البحث الميداني الذي استهدف دراسة موضوع "**التحولات الثقافية و الرمزية لمراسيم الزواج في الأسرة التلمسانية**" كشف لنا أنه رغم وجود مرجعية للطقوس الاحتفالية للزواج التلمساني إلاّ أن التقاليد و الأعراف عرفت تراجعا ملحوظا بفعل التحولات الراهنة، ذلك بتدخل عناصر ثقافية جديدة تبناها جيل الأبناء دون الآباء نتيجة الحداثة و الغزو التكنلوجي الحديث، عملت على التغيير في طريقة الاحتفال و حلت محلها ثقافة جديدة دو رموز جديدة بما في ذلك التغيير في الأدوار .

و عليه فالزواج دائما اعتبر نظاما اجتماعي قائم بذاته ذو أبعاد ثقافية و رمزية و يمتزج بين ما هو تقليدي و ما هو عصري أو حداثي، كما أن المكانة الاجتماعية الراهنة و الوضع الاقتصادي في المجتمع التلمساني دور كبير في عملية التحول و التغير لهذه المراسيم.

خاتمة

الخـــاتمة

إن بحثنا المؤسُوم "**بالتحولات الثقافية و الرمزية لمراسيم الزواج في الأسرة التلمسانية**" يدخل ضمن الدراسات السوسيولوجية و الانثروبولوجية و الذي حاولنا من خلاله إلقاء الضوء على إحدى أهم المناسبات بمنطقة تلمسان و هو الزواج ، وحاولنا من خلال هذه الدراسة التركيز على التحولات التي طرأت على الممارسات الاحتفالية للزواج التلمساني و ما انجر منه من تغيرات الرمزية على مستوى الطقوس والعادات و التقاليد التي هي نتاج هذا المجتمع العريق و الذي طالما اعتبر كمقاوم للتغيير، و اعتمدنا في الوصول إلى أهدافنا فرضية رئيسية تمثلت في:

- **إن الممارسات الاحتفالية للزواج في المجتمع التلمساني تخضع لسلسة من التحولات و التغيرات الثقافية عميقة نتيجة العصرنة و الحداثة، و هو تعرض الثقافة المحلية للأسرة التلمسانية لتنوع ثقافي متفاوت أدى إلى التغيير في بعض الطقوس الاحتفالية من حيث مدلولها الاجتماعي و الرمزي و انجر عن ذلك بروز ثقافات جديدة حلت محل الثقافة القديمة.**

اتضح لنا أنه نتيجة للتغيرات و التطورات التي حدثت في السنوات الأخيرة، لاسيما في الألفية الثالثة، نجد أن الأسرة التلمسانية قد تغيرت في بعض القيم و الوظائف و حلت محلها قيم و وظائف أخرى تحاول أن تتماشى و تتكيف معها.

كما تغيرت أساليب التنشئة الاجتماعية، حيث أصبح الآباء أكثر وعيا و إدراكا بأمور أبنائهن، و خلق لغة مشتركة بينهم، ما سهل عملية الاتصال و التفاهم بين الجيلين.

أيضا نجد النمط النووي في الأسرة التلمسانية هو الغالب، فلم تعد العائلات تحوي على جيلين أو أكثر في البيت الواسع،خاصة مع توفر السكنات الفردية عمل على تدهور العلاقات الاجتماعية و العائلية.

الزواج دائما كان مسألة عائلية تخص الأسرة فقط و هي التي تتكفل باختيار الزوجة المناسبة، و كانت تشترط أن تكون من دائرة القرابة ،كما أنها تتكفل بباقي عادات الزواج حسب التقاليد و الأعراف المتوارثة بين الأجيال، و مع التحولات الراهنة لم يعد زواج الداخلي مثل السابق بل لاحظنا أن حتى جيل الآباء أصبحوا يشجعون عملية الاختيار الشخصي للأبناء، فالشاب يختار زوجته المستقبلية من خارج دائرة القرابة بل تعداها من خارج المدينة و حتى الوطن.

كما لاحظنا ظهور ممارسات جديدة في الطقوس الاحتفالية و اختفاء بعض العناصر التقليدية، ما سبب صراع بين جيل الآباء و جيل الأبناء من حيث ما هو تقليدي و ما هو عصري، و بالرغم من رفض جيل الآباء لهذا التغيير إلاّ أننا لاحظنا خضوعهم التام، و لكن هذا لا يعني الغياب الكلي لسلطة الأب بل يظهر ذلك من خلال التكفل بالمصاريف الخاصة بالحفل و كذا تحديد قيمة المهر.

كذلك التمسنا التحولات في لباس العروسين خاصة لباس العروس'القرفطان أو الشدة التلمسانية' الذي يعتبر جزءا من الهوية الثقافية المحلية، فهو لم يعد يحافظ في جوهره على مكوناته المادية مثل السابق فقد أدخلت عليه تعديلات عصرية جعلته يفقد قيمته الجمالية الأصلية.

أيضا لاحظنا أن المكانة الاجتماعية دور كبير في توظيف طقوس الزواج خاصة من الجانب الاقتصادي، و يبرز ذلك من خلال الإسراف و التبذير في المأكولات و قاعة الحفلات و هذا كله من أجل التفاخر و التباهي.

إن لهذه الطقوس الجديدة دور فعال في المجتمع التلمساني حيث تظهر قيمتها و مكانتها بممارستها و تبنيها لثقافة جديدة تحمل دلالات جديدة. و استخلصنا أيضا أن هذه الطقوس أصبحت تعكس تفاوتا كبيرا بين جيل الآباء و الأبناء من حيث درجة الارتباط بالثقافة التقليدية. و رغم أن هذه التغيرات مست وسائل الحياة في الأسرة التلمسانية إلاّ أنها تتعايش مع هذا التغيير .

الملاحق

دليـل المقابلة

1. السن:
2. نوع الأسرة: ممتدة/ نووية/
3. هل كانت المرأة التلمسانية تعمل؟ و ما هو عملها؟
4. ما هو السن الذي تم فيه زواجك؟
5. هل الزوج من الأقارب؟ أم ينتمي إلى منطقة تلمسان؟ أو أجنبي؟
6. كيف تمّ اختيار زوجك؟
7. ماهي معايير اختياره لك؟
8. هل تعتقدين أن العلاقات الأسرية اليوم لازالت تشبه العلاقات الأسرية بالماضي؟ لماذا؟
9. ما هي العادات المتبعة في الخطوبة؟
10. هل تسنى لكي رؤية الخطيب؟ كيف تمّ ذلك؟
11. ما هي العادات المتبعة في الملاك؟
12. كيف يتم التحضير لحفل الزفاف التلمساني؟
13. أين يتم التحضير لحفل الزفاف؟
    - ✓ في البيت العائلي
    - ✓ في بيت خاص
    - ✓ قاعة الحفلات
14. كم كانت المدة المخصصة للاحتفال بالماضي؟
15. ما كانت الأيام الاحتفال؟ و هل بقيت؟
16. ما هي التجهيزات المستعملة في الاحتفال؟
17. ما هي العادات و التقاليد المتبعة في الاحتفال؟
18. كيف كان لبس العروسين؟

19. كيف كان لباس الشدة التلمسانية (القرفطان)؟ و هل هو أساسي في بدلات العروس التلمسانية؟

20. كيف كان يصنع القرفطان؟ و ما كان لونه؟

- ✓ هل تغير؟ لماذا؟

21. ما هي نوعية المجوهرات التي كانت توضع على العروس خلال لبسها 'الشدة'؟

22. برأيك هل بقيت 'الشدة التلمسانية' كما كانت بالماضي؟ لماذا؟

23. ما هي نوعية الأكل و الحلويات التي كانت سائدة في حفل الزفاف بالماضي؟

- ✓ هل هي نفسها أم تغيرت؟

24. كيف كانت الموسيقى؟

25. ما رأيك في ظاهرة ' السهرة الليلية **La soirée**'؟

26. برأيك هل هناك اختلاف في طقوس الزواج بين الماضي و الحاضر؟

27. ما هي طريقة الزواج المفضلة لديك؟ و لماذا؟

- ✓ الطريقة التقليدية؟
- ✓ الطريقة العصرية؟

سنوضح من خلال الجدول البيانات الشخصية لكل مبحوثة حتى نمكن قرّاءنا من الاطلاع على خصائص المبحوثات

البيانات / المبحوثات	السن	الحالة العائلية	مقر السكن	الملاحظات
المبحوثة رقم (01)	58 سنة	متزوجة	أقادير	كل المبحوثات من أصول تلمسانية
المبحوثة رقم (02)	60 سنة	متزوجة	العباد	
المبحوثة رقم (03)	62 سنة	أرملة	الكيفان	
المبحوثة رقم (04)	64 سنة	متزوجة	أقادير	
المبحوثة رقم (05)	66 سنة	متزوجة	سيدي الحلوي	
المبحوثة رقم (06)	67 سنة	أرملة	الكيفان	
المبحوثة رقم (07)	71 سنة	متزوجة	سيدي الحلوي	
المبحوثة رقم (08)	74 سنة	أرملة	سيدي الحلوي	
المبحوثة رقم (09)	74 سنة	أرملة	أقادير	
المبحوثة رقم (10)	75 سنة	أرملة	أقادير	

صورة رقم (01) يوضح لباس ' الرَّدَا' في حفلة 'الملاك'

صورة رقم (02) يوضح مقتنيات حفلة 'لَمْلاَكْ'

صورة رقم (03) يوضح شكل تزيين جهاز العروس

صورة رقم (04) يوضح لحظة خروج العروس بـ ' الحايك'

صورة رقم (05) يوضح علامة 'لَعْكَرْ' على خدي العروس

صورة رقم (06) يوضح جلوس العروس على 'الطِيفُورْ' قبل مجيء العريس

صورة رقم (07) يوضح العريس و هو يمتطي الحصان

صورة رقم (08) يوضح كشف العريس عن وجه العروس أمام الملء

صورة رقم (09) يوضح الأكسيسوارات المستوردة من الخارج بدل الذهب

صورة رقم (10) يوضح التغيير في قماش 'المنسوج للبلوزة' بقماش بـ (Sari) الهندي

صورة رقم (11) يوضح شكل 'القرفطان' اليوم و تعدد ألوانه

المراجع

قـــائمة المراجـــع

القرآن الكريم

الأحاديث النبوية

أولاً. كتب باللغة العربية:

1. ابراهيم عيسى،عثمان، مقدمة في علم الاجتماع، دار الشروق للنشر و التوزيع، ط 2، عمان، 2012
2. التجاني، ثريا،وسائل التغيير الاجتماعي و مؤشراته في الجزائر،شركة دار أمة للطباعة و النشر، ط1، الجزائر، 2003
3. الجولاني عمر، فادية ، الأسرة العربية – تحليل اجتماعي لبناء الأسرة و تغير اتجاهات الأجيال– ،ب ط، الإسكندرية، 1995
4. الجولاني عمر، فادية ، التغير الاجتماعي، مدخل للنظرية الوظيفية لتحليل التغير، مركز الكتاب، الاسكندرية، ب ط، 1997
5. الجوهري، محمد، دراسات الأنثروبولوجية معاصرة، دار المعرفة الجامعية ، ب ط، الاسكندرية، 1993
6. أحمد فراج حسين، أحكام الزواج في الشريعة الإسلامية ، الدار الجامعية ، ب ط، بيروت ، 1988
7. أحمد زايد، اعتماد علام، التغير الاجتماعي، مكتبة أنجلو المصرية، ط2، مصر، 2006
8. الحسن، احسان محمد، مناهج البحث الاجتماعي، دار وائل للنشر، ب ط، عمان، 2005
9. الخولي ، سناء، الأسرة و الحياة العائلية، دار المعرفة الجامعية ، ب ط، الأزاريطة، 2008
10. الخولي ، سناء ، الزواج و العلاقات الأسرية ، دار النهضة للطباعة العربية، ب ط، بيروت ، 1983
11. الخزار، عبد الحميد، فلسفة الزواج و بناء الأسرة في الإسلام، دار الشهاب للطباعة و النشر، ط2، الجزائر، 1987
12. الخشاب ، مصطفى، دراسات في علم الاجتماع العائلي، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، ب ط، بيروت، 1981
13. الأخرص ،محمد صفوح، تركيب العائلة العربية و وظائفها – دراسة ميدانية لواقع العائلة في سوريا، منشورات وزارة الثقافة
و الارشاد القومي، ب ط، 1976
14. الساعاتي ، سامية، الاختيار للزواج و التغير الاجتماعي ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، ب ط، بيروت ، 1981

15. الساعاتي، سامية،علم اجتماع الأسرة،رؤية معاصرة لأهم قضاياها، دار الفكر العربي، ب ط،القاهرة،1999
16. السويدي ،محمد ، مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري، تحليل سوسيولوجي لأهم مظاهر التغيير في المجتمع الجزائري المعاصر ،دار الديوان للمطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1999
17. السويدي، محمد، مفاهيم علم الاجتماع الثقافي و مصطلحاته، المؤسسة الوطنية للكتاب، الطبعة1،الجزائر، 1991
18. العليوات، محمد، القيم و الأعراف – قراءة في التحولات الاجتماعية–، دار المحجة البيضاء، ط 1، بيروت، 2003
19. العثيمين، محمد صالح ، عبد العزيز بن محمد بن داود، الزواج في الشريعة الاسلامية، مكتبة دار السلفية، ب ط، الجزائر ، 1989
20. العمر،معن خليل ، علم اجتماع الأسرة ، دار الشروق للنشر و التوزيع، ط 1، عمان،2000
21. القصير،عبد القادر، الأسرة المتغيرة في المدينة العربية، دار النهضة العربية، ط 1، بيروت، 1999
22. القصاص ،مهدي محمد ، علم الاجتماع العائلي، عامر للطباعة و النشر،ب ط، المنصورة ، 2008
23. الميلي، مبارك بن محمد ، تاريخ الجزائر القديم و الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، الجزائر، 1986
24. الوحيشي ،أحمد بيري ، الأسرة و الزواج، مقدمة في علم الاجتماع العائلي، ب ط، ، دار الجماهيرية العظمى للنشر و التوزيع، 1998
25. بوفلجة، غيات، تحولات ثقافية، دار الغرب للنشر و التوزيع، ط 1، وهران ، 2005
26. بوشلوش ، الطاهر محمد، التحولات الاجتماعية و الاقتصادية و آثارها على القيم في المجتمع الجزائري (1967–1999)، دار بن مرابط للنشر و الطباعة، ط1، الجزائر، 2008
27. بيومي ،محمد أحمد محمد ، عفاف، عبد العليم ناصر ، علم الاجتماع العائلي ، دراسات التغيرات في الأسرة العربية ، دار المعرفة الجامعية ، ب ط، مصر 2003
28. بركات، حليم، المجتمع العربي في القرن العشرين – بحث في تغير الأحوال و العلاقات، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1،بيروت، 2000
29. بوخالفة، عزي ، تلمسان منارة إشعاع فكري و حضاري، دار السبيل للنشر و التوزيع، ب ط، تلمسان، 2011
30. بوسماحة ،عبد الحميد ، تلمسان تاريخ و ثقافة، منشورات الريان، ب ط، تلمسان، 2011
31. بوعزيز، يحي ، مدينة تلمسان – عاصمة المغرب الأوسط–، دار الغرب للنشر و التوزيع ، ط2، الجزائر ، 2003

32. تيماشيف، نيقولا، نظرية علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، ط2، الأزاريطة، 1989
33. جيلالي، أبو بكر، البناء الحضاري عند "مالك بن نبي"، دار المعرفة للنشر و التوزيع، ب ط، 2010
34. حامد، خالد، منهجية البحث العلمي، دار ريحانة، ط 1، الجزائر ، 2003
35. حامد، خالد ، مدخل إلى علم الاجتماع، جسور للنشر و التوزيع، ط1، الجزائر،2008
36. حرز الله ،محمد الحربي ، تلمسان مهد الحضارة و واحة ثقافة، دار السبيل للنشر و التوزيع، ط1، الجزائر، 2011
37. حساني ، مختار، تاريخ الدولة الزيانية، منشورات الحضارة للنشر، ط1، الجزائر ، 2009
38. حميش، عبد الحق ، أعلام تلمسان، دار التوفيقية للنشر، ط1، 2011
39. خواجة ، عبد العزيز ، مبادئ في التنشئة الاجتماعية، دار الغرب للنشر و التوزيع،ب ط، وهران، 2005
40. خليل أحمد، خليل، المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع، دار الحداثة للطباعة و النشر، ط 1، بيروت، 1984
41. دعبس ،محمد يسري ابراهيم، الأسرة في الثرات الديني و الاجتماعي، دار المعارف، ب ط، مصر
42. دياب ،فوزية، القيم و العادات الاجتماعية مع بحث ميداني لبعض العادات الاجتماعية، دار النهضة العربية للطباعة و النشر،ب ط، بيروت، 1980
43. زايد، نادية، تلمسان عاصمة التراث و التاريخ، منشورات CDSP، ب ط ، 2010، الجزائر
44. شكارة ،عادل عبد الحسن ، نظرية هوبهارس في التنمية الاجتماعية، مطبعة دار السلام، ب ط، 1975
45. شكري ،علياء،الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة، دار المعرفة الجامعية ، ب ط، الأزاريطة ، 2003
46. علي غانم، كلثم، اتجاهات الشباب نحو قضايا الزواج –دراسة استطلاعية على عينة من الشباب القطري، المجلس الأعلى لشؤون الأسرة، قطر، 2010
47. عدنان إبراهيم، احمد، محمد المهدي الشافعي، علم الاجتماع التربوي والأنساق الاجتماعية، منشورات جامعة سبها،ط 1، ليبيا، 2001
48. عماد ،عبد الغني ، سوسيولوجية الثقافة – المفاهيم و الإشكاليات من الحداثة إلى العولمة – ، مركز دراسات الوحدة العربية، ب ط، بيروت، 2008
49. عبد الرحمان، عبد الله محمد، السيد رشاد غنيم، مدخل إلى علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ط1، 2008

50. عبيدات محمد و آخرون، منهجية البحث العلمي– القواعد و المراحل و التطبيقات –، كلية الاقتصاد و العلوم الإدارية، الجامعة الأردنية،الأردن، 1999
51. قاسمي، ناصر، سوسيولوجية العائلة و التغيير الاجتماعي، دار الكتاب الحديث، ط1، القاهرة، 2012
52. كفافي ،علاء الدين، الإرشاد و العلاج النفسي ، دار الفكر العربي، ب ط، مصر ، 1999
53. لبديري ، مليكة، الزواج و الشباب الجزائري إلى أين...؟ ،دار المعرفة للنشر، ب ط، الجزائر، 2005
54. مجموعة من الأساتذة قسم علم الاجتماع، المرجع في مصطلحات العلوم الاجتماعية، المعرفة الجامعية، ب ط، الاسكندرية،ب ت
55. محمود حسن، الأسرة و مشكلاتها، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، ب ط، بيروت، 1981
56. محمد عمران، فارس ، الزواج العرفي و صور أخرى للزواج الغير رسمي، . دار الجامعة الجديدة للنشر، ب ط، الأزاريطة،
الاسكندرية ، 2001
57. مجموعة من الأساتذة، التغير الاجتماعي و الثقافي، دار المسيرة للنشر و التوزيع و الطباعة، ط 1،الأردن، 2010
58. محجوب ، محمد عبده ، المرأة و القيم في المجتمعات العربية، دار المعرفة الجامعية، ب ط، الإسكندرية، 2011
59. معيرش، موسى، المعرفة و البحث العلمي– مدخل إلى المنهجية العامة، دار الكتاب الحديث،ط1، القاهرة، 2009
60. محدة، محمد ، الخطبة و الزواج، ج1، مطبعة الشهاب، باتنة ، ط2، 1994
61. نخبة من أساتذة قسم علم الاجتماع، المرجع في مصطلحات العلوم الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية ، ب ط، الاسكندرية، ب ت
62. نخبة من الأساتذة و المؤرخين، مآثر تلمسان – ماضيا و حاضرًا– ، القافلة للنشر و التوزيع، ب ط، الجزائر، 2011
63. وصفي ،عاطف ، الأنثروبولوجيا الثقافية، دار النهضة العربية ، ب ط، بيروت، 1964

ثانيا. الكتب المترجمة:

1. أنجرس، موريس ، منهجية البحث العلمي في العلوم الانسانية ،تدريبات عملية ، دار القصبة للنشر، ب ط ، الجزائر، 2006
2. بوتفنوشت، مصطفى ، العائلة الجزائرية تطور و الخصائص الحديثة، ترجمة أحمد دمري، ديوان المطبوعات الجامعية، ب ط، الجزائر، 1984

3. ركس، جون، مشكلات أساسية في النظرية الاجتماعية ، ترجمة محمد الحسيني و محمد الجوهري، منشأة المعارف، الاسكندرية، د ط، د ت
4. غيدنز، أنتوني، علم الاجتماع ، ترجمة د فايز الصياغ، مركز دراسات الوحدة العربية للتوزيع، ط 1، بيروت

ثالثا. قواميس و معاجم:

1. ابراهيم مصطفى ، المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، ط 3 ، 1960
2. الحجازي، سمير سعيد، معجم المصطلحات الحديثة في علم النفس و الاجتماع و نظرية المعرفة، دار الكتب العلمية، ط1، 2005، بيروت
3. العمر، معن خليل، معجم علم الاجتماع المعاصر، دار الشروق للنشر و التوزيع، ط2، 2006
4. بدوي، أحمد زكي ، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، 1995
5. دوروتي، جان فرنسوا ، معجم العلوم الانسانية، ترجمة د. جورج كتورة، المؤسسة الجامعية للنشر و التوزيع، ب ط، 2009

رابعا. مذكرات:

1. بويعلي، وسيلة ، زواج الأقارب في المجتمع الحضري و انعكاساته على الأسرة ، رسالة ماجستير في علم اجتماع العائلة، جامعة باتنة ، 2005
2. شعبان، هوارية ، المرجعية الثقافية و الطقوس الاحتفالية للزواج بمنطقة تلمسان ، رسالة ماجستير في علم الاجتماع، جامعة تلمسان، 2008
3. مكاك، ليلى، دور وكالة التنمية الاجتماعية في تحسين ظروف الأسرة الجزائرية، رسالة ماجستير في علم الاجتماع العائلي، جامعة،باتنة ، 2010
4. ناصر، نجاة ، ظاهرة زواج الأقارب و علاقاته بالأمراض الوراثية – منطقة تلمسان نموذج، مذكرة ماجستير في أنثروبولوجية الصحة، جامعة تلمسان، 2012

خامسا.المواثيق:

1. وزارة العدل ، قانون الأسرة ، (المادة الرابعة)، ديوان الوطني للأشغال التربوية، ط3 ، 2002

سادسا. المجلات و الجرائد باللغتين (العربية و الفرنسية):

العربيـــة:

1. **أبو حمدان ، ماجد ملحم ، "طرائق التنشئة الاجتماعية الأسرية و علاقتها بمدى و مشاركة الشباب في اتخاذ القرار داخل الأسرة"، مجلة جامعة دمشق، المجلد 27، العدد الثالث و الرابع 2011**
2. **العطار، بنان الطنطاوي، "الأسرة في الإسلام"، مجلة الرائد، العددان 54-55، 1981**
3. **بن غبريت، سي قدور، تلمسان لؤلؤة المغرب، مجلة (Richesse de France) ، العدد 18، دلماس، بوردو، 1954، فرنسا**
4. **بركو، مزوز، "التنشئة الاجتماعية في الأسرة الجزائرية"، مجلة شبكة العلوم النفسية العربية ،العدد 21-22 شتاء 2008**
5. **بوتفنوشت، مصطفى ، مجلة شبكة العلوم النفسية، العدد 21-22، 2009**
6. **جريدة الخبر،"زواج المظاهر يفرغ الجيوب"، العدد 543 من 22 إلى 28 جويلية 2009**
7. **عباس، فريال، "مراسيم الزواج بمدينة قسنطينة، مقاربة انثروبولوجية"، في إنسانيات عدد مزدوج، 29-30 جويلية ديسمبر 2005**
8. **مجلة الجوهرة، " تلمسان,, في القمة"، صدرت عن وزارة الثقافة، العدد 21 إلى 31 جانفي 2012**

الفرنسية:

1. **Bienêtre , le magazine de toute la famille- N°18, janvier 2006**

سابعا. محاضرات و ملتقيات:

1. **بويعلي، وسيلة، فرج الله صورية، ملتقى الوطني الثاني حول: الاتصال و جودة الحياة في الأسرة أيام 10/09 افريل 2013**

ثامنا. كتب باللغة الفرنسية:

1. **ADDI , Lahouari, les mutations de la société algérienne, famille et lien social dans l'Algérie contemporaine, éd la découverte, Paris, 1999**
2. **BOUDJEDRA, Rachid, Vies quotidienne contemporaine en Algérie, Librairie Hachette, Paris, 1971**
3. **BALANDIER ,Georges, sens et puissance, PUF, 4ème édition, 2004**
4. **BOUDON ,Raymond, Traité de sociologie, 1ère édition, presses Universitaire de France , 1992**
5. **BOUTEFNOUCHET ,Mostafa, La Société Algérienne en Transition,Office des publications Universitaires , Alger, 2004**
6. **GRAWITZ, Madeleine, Lexique des sciences sociales, 7ème ed, ed Dallez, France, 1999**
7. **KHALIFA Abderahmane, Tlemcen capital du grand Maghreb central, Colorset, Alger, 2011**
8. **ROCHER. Guy, Introduction à la sociologie générale. Le changement social ,Ed H.M.H, 1968**
9. **SEGALENE, Martine , Rite et rituels contemporains, ed NATHAM, Paris, 1998**
10. **TOUALBI, Radia, les attitudes et les représentations du mariage chez la jeune fille algérienne, éd ENAL, 1984**

تاسعا. الأنترنت:

1. الموسوعة الجغرافية، **ghttp://www.4geography.com/vb/t2842.html**
2. ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، مفهوم 'الطقوس'